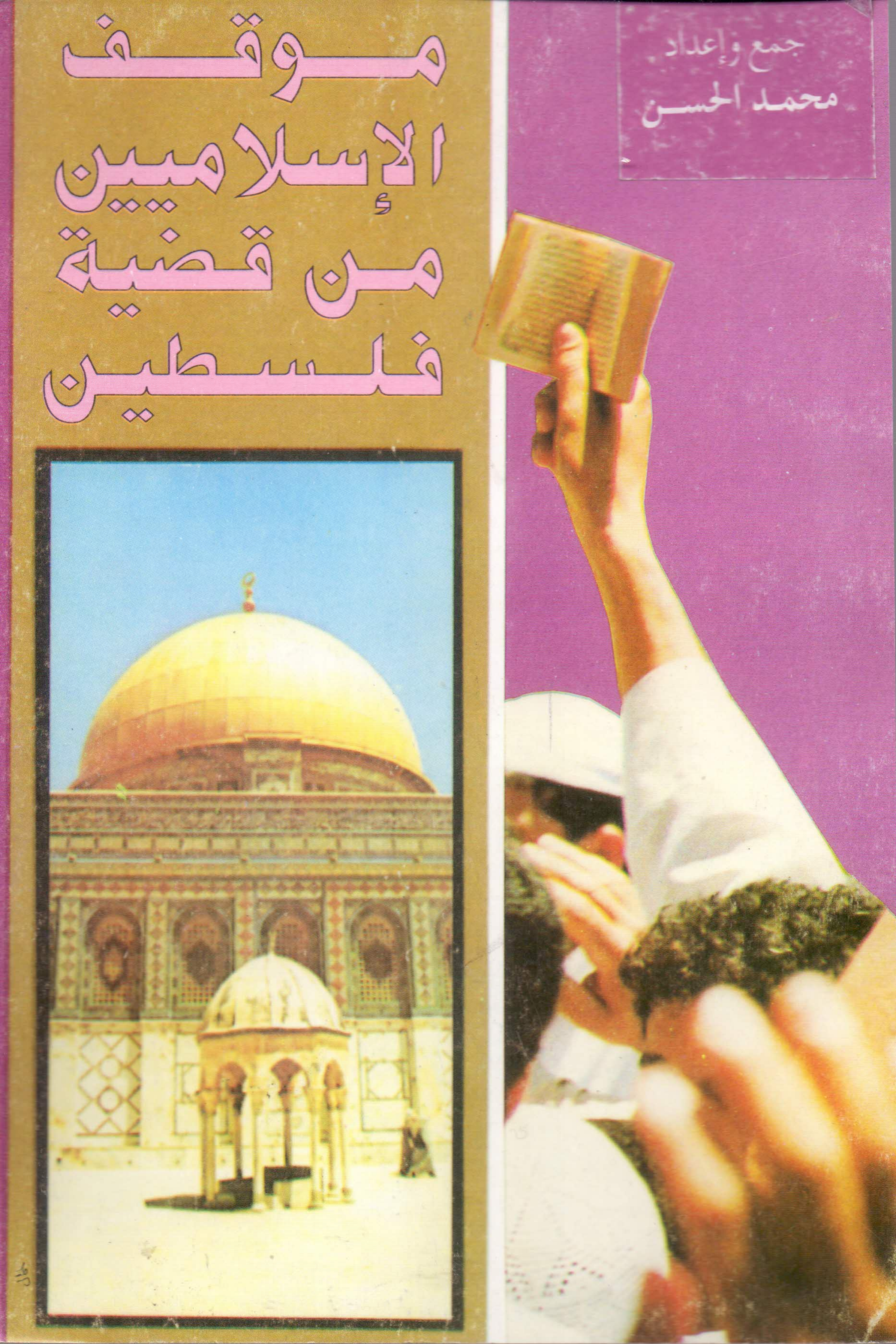


موقف
الإسلاميين
من قضية
فلسطين
جمع وإعداد
محمد الحسن

نشر مكتبة الغزالى
توزيع مكتبة دار الفتح

موقف الإسلاميين
من قضية فلسطين

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م

موقف الإسلاميين من قضية فلسطين

كامل إسماعيل الشريف — عبد المنعم عبد الرؤوف
دكتور مصطفى السباعى — محمد محمود الصواف
محسن محمد صالح — عونى جدوع العبيدى
عبد المعز عبد الستار — عمر بهاء الدين الأميرى
محمود عبد الحليم — دكتور عبد اللّه عزام

جمع وإعداد
محمد الحسن

نشر مكتبة الغزالى
توزيع مكتبة دار الفتح

أيدي عصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ يرجع إلى ارتباط معظم الأنظمة العربية آنذاك بمخططات الدول الاستعمارية التي قررت إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والتي لم تسمح للطاقات المسلمة المخلصة أن تأخذ دورها في التحرير، ففرضت عليها الابتعاد عن المعركة بالقوة. وزجت خيرة المجاهدين في معتقلات التعذيب جزاء عدم انصياعهم لأوامر أسيادهم من أعداء هذه الأمة الإسلامية المغلوبة على أمرها.

ولا زالت هذه الأمة الحية عازمة على غسل عار الهزيمة ولا زالت تتمتع بإمكانيات ضخمة تمكنها من استرداد الأرض السليبة ولا زالت تنتظر ساعة الفرج ووحدة الأمة ليتصدى من بيدهم زمام المبادرة لقيادة الجماهير المتشوقة للتضحية والفداء، لرد الديار والتخلص من العار ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

ومع علم الإخوان بالمؤامرات الدولية وخضوع أولئك الحكام للضغوط الأجنبية إلا أنهم لم يتخلوا عن واجبهم فقاموا بدورهم في توعية المسلمين وتدريبهم ودخولهم المعركة بأمانة وإخلاص شهد بيطولتهم الأعداء قبل الأصدقاء والتحق بهم المجاهدون من كافة الأقطار لثقتهم بإخلاصهم وصدق جهادهم لذلك ضمت معسكراتهم الكثيرين من الإسلاميين من غير الإخوان وتعاونوا بدورهم مع الجامعة العربية وجيش الإنقاذ والهيئة العربية العليا فأبلوا بلاء حسناً في القتال وقاموا بدور مشرف في التدريب والتسليح والتوجيه المعنوي والإعداد لمعركة المصير.

ولقد كثرت الكتابات في هذا الموضوع وكم كنت أتمنى أن تقوم جهة رسمية بجمع ما كتب وتنقيته وإخراجه من جديد غير أن شيئاً من هذا لم يحدث فما كان مني إلا أن سارعت لسد هذه الثغرة فجمعت كل ما نشر عن جهاد الإسلاميين في حرب فلسطين ودورهم في كافة الأقطار

موقف الإسلاميين من قضية فلسطين

كامل إسماعيل الشريف — عبد المنعم عبد الرؤوف

دكتور مصطفى السباعى — محمد محمود الصواف

محسن مخمد صالح — عونى جدوع العبيدى

عبد المعز عبد الستار — عمر بهاء الدين الأميرى

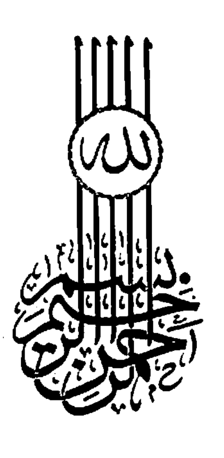
محمود عبد الحليم — دكتور عبد الله عزام

جمع وإعداد

محمد الحسن

نشر مكتبة الغزالى

توزيع مكتبة دار الفتح



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

الحمد لله الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المرسلين وقائد المجاهدين والهادي إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وبعد. . .

فإن قضية فلسطين قضية عربية إسلامية تهم كل عربيٍ يشعر بانتمائه لهذه الأمة العربية الكريمة، وقضية كل مسلم ينبض في قلبه الإيمان الصادق وتجيش في نفسه عزة الإسلام العظيم، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. في فلسطين أولىٰ القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الإسلام ومعراجه. فيها نشأ أنبياء الله موسى وعيسى عليهما السلام، فهي مهبط الرسالات وملتقى الحضارات وهي جزء من الوطن العربي الكبير وقلب الوطن الإسلامي الشاسع يتوجب على كل عربي ومسلم العمل على تحريرها، والدفاع عنها، والذود عن حياضها، لذا فليس غريباً أن يوليها المسلمون اهتمامهم ويعتبرها الإخوان المسلمون قضيتهم يحشدون لتحريرها طاقاتهم متعاونين مع المخلصين لهذه القضية الكبرى حاكمين ومحكومين ومنظمات عربية ودولية أداء للأمانة وقياماً بالواجب لا يطلبون الأجر إلا من الله تعالى وحده دون سواه.

لم يعد سراً أن إخفاق سبعة جيوش عربية باسترداد فلسطين من

أيدي عصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ يرجع إلى ارتباط معظم الأنظمة العربية آنذاك بمخططات الدول الاستعمارية التي قررت إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والتي لم تسمح للطاقات المسلمة المخلصة أن تأخذ دورها في التحرير، ففرضت عليها الابتعاد عن المعركة بالقوة. وزجت خيرة المجاهدين في معتقلات التعذيب جزاء عدم انصياعهم لأوامر أسيادهم من أعداء هذه الأمة الإسلامية المغلوبة على أمرها.

ولا زالت هذه الأمة الحية عازمة على غسل عار الهزيمة ولا زالت تتمتع بإمكانيات ضخمة تمكنها من استرداد الأرض السليبة ولا زالت تنتظر ساعة الفرج ووحدة الأمة ليتصدى من بيدهم زمام المبادرة لقيادة الجماهير المتشوقة للتضحية والفداء، لرد الديار والتخلص من العار ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

ومع علم الإخوان بالمؤامرات الدولية وخضوع أولئك الحكام للضغوط الأجنبية إلا أنهم لم يتخلوا عن واجبهم فقاموا بدورهم في توعية المسلمين وتدريبهم ودخولهم المعركة بأمانة وإخلاص شهد ببطولتهم الأعداء قبل الأصدقاء والتحق بهم المجاهدون من كافة الأقطار لثقتهم بإخلاصهم وصدق جهادهم لذلك ضمت معسكراتهم الكثيرين من الإسلاميين من غير الإخوان وتعاونوا بدورهم مع الجامعة العربية وجيش الإنقاذ والهيئة العربية العليا فأبلوا بلاء حسناً في القتال وقاموا بدور مشرف في التدريب والتسليح والتوجيه المعنوي والإعداد لمعركة المصير.

ولقد كثرت الكتابات في هذا الموضوع وكم كنت أتمنى أن تقوم جهة رسمية بجمع ما كتب وتنقيته وإخراجه من جديد غير أن شيئاً من هذا لم يحدث فما كان مني إلا أن سارعت لسد هذه الثغرة فجمعت كل ما نشر عن جهاد الإسلاميين في حرب فلسطين ودورهم في كافة الأقطار

العربية وأبرزت دور كل الجماعة في هذا السبيل ففي لقاء مع الأستاذ الأميري كتبت خلاصة دور الإخوان السوريين الدبلوماسي ومع الشيخ عبد المعز عبد الستار كتبت خلاصة دور الإخوان الفلسطينيين في هذا الشأن، أنشره لأول مرة لأكمل الحلقات المفقودة وأسجل للتاريخ الدور الفعال للإسلاميين في معركة فلسطين ولأبين أثر الإيمان في تعبئة الطاقات والإستعداد لمعركة التحرير ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ لأن فلسطين لا يحررها الشباب المائع الماجن ولا الشباب المنحرف الفكر إنما يحررها المؤمنون الصادقون فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

محمد الحسن

دور الإخوان المسلمين المصريين التعبوي والسياسي في خدمة القضية الفلسطينية

بدأ اهتمام الإخوان بفلسطين منذ أرسل حسن البنا وفداً إخوانياً من الأستاذين عبد الرحمن البنا الساعاتي ومحمد أسعد الحكيم برفقة الزعيم التونسي الثعالبي وذلك بتاريخ الرابع من جمادى الأولى عام ١٣٣٥ حيث غادر الوفد القاهرة إلى القدس وهناك قابلوا سماحة المفتي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى وتبادلوا وجهات النظر في القضية الفلسطينية وعرضا عليه تعاون الجماعة بهذا الصدد فرحب سماحته بهذا التعاون ورد لهما الزيارة وزودهما بكتاب توصية لأعوانه في المناطق التي سيزورونها وخطبا في المسجد الأقصى وقابلا زعماء الحركة الإسلامية في الأماكن التي زاراها، ويؤرخ ميتشل بداية إهتمام الإخوان بالقضية الفلسطينية في كتابه (الإخوان المسلمون) يوم زار عبد الرحمن البنا المتحدث الرسمي باسم الإخوان في القاهرة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني عام ١٩٣٥ في فرنسا مبيناً له استعداد الجماعة للمساهمة في تحرير فلسطين وتأكد هذا الاهتمام حين خشي الإخوان على حياة الحاج أمين الحسيني من أن تسلمه فرنسا التي منحته حق اللجوء السياسي، إلى انكلترا حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين والتي أصدرت حكماً عليه بالإعدام. ويلغوا مخاوفهم إلى أمين سر الشيخ أمين الحسيني الأستاذ علي رشدي وطلبوا منه إبلاغ سيادة المفتي وجهة نظرهم. وأبدوا استعدادهم لنزوله ضيفاً

عليهم في القاهرة مع تحملهم مهمة حراسته فوافق الحاج أمين نتيجة ثقته بهم غير أن الإخوان استطاعوا أن يقنعوا السلطة المصرية آنذاك بقبول مفتي فلسطين لاجئاً سياسياً في مصر. وحضر الحاج أمين إلى مصر سراً بحراسة الحكومة المصرية وضيافتها. يقول الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه (أحداث صنعت التاريخ، ١/٨٨) منذ حملتني قدماي إلى المركز العام للإخوان المسلمين في شارع الناصرية لاحظت من المرشد العام ومن القلة القليلة من الإخوان بهذا المركز توجيه اهتمام خاص إلى قضية فلسطين وقرأت في مجلتهم الكثير عن فلسطين كما وجدت بالمركز العام مجلات واردة إليه من فلسطين وسورية بها أخبار فلسطين فهمت مما قرأت أن الإنكليز يقومون بحملة مدبرة للقضاء على الكيان الإسلامي في فلسطين وتمكين اليهود من الإستيلاء عليها. ثم رأيت مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني ومعه مساعده الشيخ صبري عابدين ومجموعة من قادة فلسطين يحضرون إلى المركز العام ويتبادلون مع المرشد العام ومع الإخوان الطلبة الكلمات الملتهبة إلى أن يقول حين دس الإخوان صحفياً كان عضواً بالجماعة إلى رئيس الوزراء سأله عما سيفعله إزاء تصرفات الإنكليز الظالمة في فلسطين أجابه: إنني رئيس وزراء مصر ولست رئيس وزراء فلسطين (مما يؤكد أن الإخوان كانوا الجهة الوحيدة المهتمة بقضية فلسطين) وفهمت بعد ذلك أن الإخوان أخذوا على عاتقهم النهوض بمهمة محددة هي أن يقوموا بجمع التبرعات لمجاهدي فلسطين فكان الأستاذ المرشد في كل جمعة يوزعنا على عدة مساجد في القاهرة يخطب أحدنا بعد الصلاة يشرح ما يقترفه الإنكليز من مظالم في فلسطين ويبين أن هدفهم تسليم فلسطين والمسجد الأقصى لليهود بينما يجمع الآخر التبرعات في صندوق) وبهذا يتحقق هدف توعية المسلمين إلى المخاطر التي تحيط بفلسطين ويتحقق هدف الدعم المادي للمجاهدين الفلسطينيين.

حين انفجرت الثورة الكبرى في فلسطين (١٩٣١ - ١٩٣٩) وأعلن الإضراب العام فوجىء الإنكليز الذين كانوا يسعون لعزل الشعب المصري عن كل ما يمت إلى العروبة والإسلام بصلة، بمساندة الإخوان المسلمين لهذه الثورة حيث دعاهم مرشدهم حسن البنا في آذار ١٩٣٦ لبحث خطة تحركهم لدعم القضية الفلسطينية فشكلوا لجنة مركزية برئاسته لمتابعة دعم الثورة الكبرى ومساعدتها.

قام الإخوان بحملات توعية لشرح القضية الفلسطينية ودور الإنكليز في التآمر عليها وفوجىء المحاضرون بمن يسألهم من المثقفين: وأين تقع فلسطين؟ كما ألفوا لجاناً لجمع التبرعات والمؤن ودعوا إلى مشروع (قرش فلسطين) كما ألفوا لجاناً سياسية لتوزيع المنشورات وإرسال برقيات الاحتجاج والاتصال بكبار الشخصيات لمساندة عرب فلسطين مما نبه الإنكليز إلى خطر الإخوان فأوعزوا إلى الحكومة المصرية لرصد نشاطات الإخوان. وفي عام ١٩٣٨ داهمت قوات الأمن المركز العام للجماعة فعثرت على ٧٥٠ نسخة من كتاب النار والدمار في فلسطين والذي أصدرته اللجنة العربية العليا وفيه تعدد ألوان العذاب الذي تعرض له مجاهدو فلسطين بعد أن وزع الإخوان منه عشرة آلاف نسخة في كافة أنحاء مصر فصادر رجال الأمن المتبقي ولما سأل قائد الحملة عن صاحب الكتاب أجابه المرشد العام حسن البنا أنا أتحمل المسؤولية ليفوت على رجال الأمن غرضهم فأوقفوه في السجن ورفع التحقيق إلى السفير البريطاني فخشي أن يكشف المرشد العام مظالمهم وإنحيازهم لليهود أمام المحكمة إن هم أحالوه إلى القضاء فتتحدث بها الصحف ويصبح للبنا شعبية قوية لذا امروا بحفظ التحقيق وإطلاق سراح حسن البنا (عن أحداث صنعت التاريخ ٣/١٧٦) وقد بدأت اللجنة المركزية الإخوانية نشاطها بتوجيه نداء إلى الشعب المصري والأمة الإسلامية لمناصرة فلسطين

المسلمة وأرسلت برقيات احتجاج إلى المندوب السامي البريطاني في كل من مصر وفلسطين تستنكر فيها المظالم التي توقعها السلطات البريطانية بشعب فلسطين كما أرسلت برقية إلى مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني بتاريخ ١٨/٣/١٩٣٦ تؤكد فيها وقوف الإخوان المسلمين إلى جانب إخوانهم أهل فلسطين وأذاعت بياناً إلى عموم الإخوان تدعوهم فيه للمساهمة ببذل المال والمشاركة بجمع التبرعات (عن مذكرات الدعوة والداعية ٢٠٧).

وقد رد سيادة المفتي الحاج أمين الحسيني على برقية الإخوان وأمين سر اللجنة العربية العليا بالرسالتين التاليتين:

رسالة شكر من الحاج أمين الحسيني إلى جماعة الإخوان المسلمين ١٩٣٦ م[1]

من سماحة المفتي الأكبر السيد الأمين الحسيني إلى الإخوان المسلمين:

حضرات السادة الأفاضل رئيس وأعضاء جمعية الإخوان المسلمين المحترمين ـ القاهرة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فقد كتب إلينا عدد من الأصدقاء في القاهرة عن الجهود المشكورة والأعمال المبرورة التي تقومون بها في سبيل هذه البلاد الإسلامية العربية المقدسة (فلسطين) التي تقوم بجهادها في سبيل حريتها واستقلالها لتراث الإسلام والعروبة الخالدة فيها. كما أننا اطلعنا في الصحف المصرية على كثير من تلك الجهود والأعمال المباركة التي تقومون بها بكل حمية ونشاط، فحق علينا أن

---

(١) حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص ٢١١.

نشكركم بما أنتم أهله ونقدر لكم شعوركم الفياض وحميتكم الإسلامية حق تقديرها، ونعلمكم أن الرأي العام العربي في فلسطين قد تلقى مقرراتكم الحكيمة ومساعيكم الحميدة بالشكر الجزيل والثناء الكثير، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكلل أعمالكم المباركة بالفوز والنجاح ويجزيكم الجزاء الأوفى على أفضالكم وشهامتكم.

ولسنا نشك في أن جهودكم المشكورة في سبيل نصرة هذه البلاد المقدسة ورفع الحيف والظلم عنها سيكون لها أثر فعال وسينتج عنها خير كثير بإذن الله، وثقوا أنكم بذلك تقدمون أعظم خدمة للمسلمين والعرب جميعاً الذين تهوي أفئدتهم إلى القبلة والمسجد الأقصى في هذه البلاد الصابرة المجاهدة التي تعاني ما تعـاني من الشدائد وتتحمل ما تتحمل من المكاره والخطوب في سبيل الاحتفاظ بتراث الإسلام الخالد في فلسطين.

فنكرر الشكر لحضراتكم جميعاً ونسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الخير والفلاح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد أمين الحسيني
رئيس اللجنة العربية العليا

* * *

رسالة شكر من اللجنة العربية العليا إلى الإخوان المسلمين ١٩٣٦ م (١)

من السيد عوني بك عبد الهادي

السكرتير العام للجنة العربية العليا بالقدس

إلى الإخوان المسلمين:

وقد ورد عليها هذا الخطاب من السيد عوني عبد الهادي:

---

(١) عن مذكرات الدعوة، ص ٢١٠.

حضرة الأخ المفضال والوطني الغيور السيد حسن البنا حفظه الله
مرشد الإخوان المسلمين ـ مصر.

إن اللجنة العربية في فلسطين تشكر لحضرتكم هذه العواطف النبيلة التي تضمنت برقيتكم المؤرخة ١٨ مايو سنة ١٩٣٦ الإعراب عنها تجاه قضية فلسطين المجاهدة، وثقوا بأن الروح الطيبة التي أوحت بها برقيتكم قد زادت نفوسنا قوة وقلوبنا تصميماً على المضي إلى النهاية في جهادنا ضد الظلم والاستبداد، وقد كان لها أكبر وقع في نفوس الشعب العربي الفلسطيني الذي تيقن بأن إخوانه في مصر وغيرها لن يتخلفوا عن نصرته عند الحاجة.

وإني لأرجو أن تتقبلوا عظيم تقدير وشكر اللجنة العربية العليا لهذا العطف والإحساس الشريفين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمين السر العام

* * *

وعن نشاط الإخوان الصحفي في مصر تحدثنا الدكتورة عواطف عبد الرحمن في كتابها (مصر وفلسطين صفحة ٢٤١ ـ ٢٤٢) فتقول موضحة دور الصحف المصرية في دعم القضبة الفلسطينية بما يلي:

(كما توجه صحيفة المصري نقداً قاسياً لموقف الحكومة المصرية التي اكتفت باتخاذ موقف الوسيط لحمل الحكومات العربية على قبول وجهة النظر البريطانية. وتعزو الصحيفة فشل مؤتمر لندن إلى موقف الحكومة المصرية منه. وتنتهز الصحيفة هذه الفرصة كي تعقد مقارنة بين موقف الحكومة المصرية التي كان يرأسها آنذاك محمد محمود باشا من

القضية الفلسطينية وذلك الموقف الذي اتخذته وزارة النحاس باشا الذي أقسم بالالتزام ومساندة القضية الفلسطينية. وقد أولت «المصري» اهتماماً كبيراً لموضوع الكتاب الأبيض وحرصت على نشر مقتطفات من الصحف البريطانية وردود فعل الساسة العرب والانجليز. كما فندت الكتاب الأبيض وعرضت المقترحات التي يتضمنها عرضاً نقدياً مفصلاً.

أما صحيفة (الإخوان المسلمون) لسان حال جماعة الإخوان المسلمين فقد اهتمت بنشر أخبار المعارك وتفاصيل سفر أفواج المتطوعين، بالإضافة إلى نشر قوائم التبرعات. وكانت تنشر أنباء المعارك ضمن الأبواب الخاصة بالدعوة الإسلامية. وكانت جريدة الإخوان المسلمين تدعو العرب في مصر وفلسطين إلى مواجهة الخصوم الدينيين، وتقصد بهم اليهود، بسلاح الإيمان بالحق. وكانت تركز على الأهمية الدينية لفلسطين وأن الفلسطينيين ليسوا إلا حرساً للمقدسات الإسلامية. وقد نشرت جريدة الإخوان المسلمين نداء من مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين بالقاهرة إلى شعب الجماعة بالقطر المصري والشعوب الإسلامية عامة أوضحت فيه قلقها بسبب الحوادث التي كانت تجري في فلسطين، وتهيب بالشعوب العربية مسلميها ومسيحييها أن يمدوا يد العون لفلسطين المجاهدة الباسلة. ثم تذكر أهم القرارات التي اتخذتها جماعة الإخوان المسلمين في هذا الصدد مثل تأليف لجنة مركزية من الإخوان لتلقي التبرعات وإرسال برقية احتجاج إلى المندوب السامي البريطاني في فلسطين..

وإرسال برقية تأييد ومساندة لقادة الثورة الفلسطينية. وتوالي جريدة الإخوان المسلمين نداءاتها لنصرة الشعب الفلسطيني مذكرة القراء بالدور البطولي الذي يقوم به أبناء فلسطين لدفع الشر عن إخوانهم الشرقيين، فضلاً عما يقومون به في حراسة المقدسات نيابة عن أربعمائة مليون

مسلم. وتوجه الصحيفة لومها إلى العالم الإسلامي في افتتاحية تخصصها للحديث عن اليوم الخامس عشر بعد المائة بمناسبة مرور مائة يوم على الإضراب الكبير في فلسطين. وتشير (الإخوان المسلمون) إلى تقصير العالم الإسلامي في مد يد العون إلى الشعب الفلسطيني وتحثهم على تعويض ما فات. وقد كانت هذه الإفتتاحية موقعة بإمضاء حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين. كذلك تواصل الصحيفة الإشادة ببطولة الثوار الفلسطينيين والتذكير بتضحياتهم والتنديد بالسياسة البريطانية في فلسطين وذلك في عدة افتتاحيات شغلت الصفحات الأولى من الصحيفة حتى نهاية عام ١٩٣٦.

أما بالنسبة لصحيفة مصر الفتاة فإنها لم تعاصر المرحلة الأولى من ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ولكن أتيحت لها فرصة التعبير عن اتجاهاتها في هذا الصدد بعد صدور تقرير اللجنة الملكية الذي تضمن مشروعاً لتقسيم فلسطين. وقد قامت صحيفة مصر الفتاة بنشر البيان الشهير عن القضية الفلسطينية الذي يتضمن معارضتها الحادة لمشروع التقسيم والمطالبة بضرورة مقاومته بكل السبل وذلك لعدد من الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وقد لخصتها الصحيفة وأبرزت من خلالها خطورة مشروع التقسيم على مصر ذاتها وليس فلسطين فقط.) انتهى.

* * *

وبمناسبة ذكرى وعد بلفور حرك الإخوان مظاهرات في كافة أنحاء مصر بتاريخ ١٩٣٨/١١/١٧ مما دفع السلطة إلى سجن مدبريها، ولم يثن ذلك الإخوان عن عزمهم فاستأنفوا نشاطهم الإعلامي فوزعوا منشورات تفضح مخططات الإنكليز ومظالمهم وتدعو إلى مقاطعة اليهود ودعم المجاهدين الفلسطينيين كما وزعوا منشورات تكشف أسماء الصحف التي

تناصر الصهيونية مما أزعج الاستعمار الإنكليزي فراحت تستعدي الحكومة المصرية على الإخوان وفي نفس العام دعا المرشد العام حسن البنا إلى مؤتمر عقد في المركز العام للإخوان بالعتبة حضرته شخصيات رسمية تحدث فيه فارس الخوري رئيس وزراء سورية وهو مسيحي منصف ووطني مخلص وشخصيات أخرى. انتهى هذا المؤتمر بتوصيات إلى الحكام العرب تدعوهم للتدخل من أجل انقاذ فلسطين وكان من نتائج هذا المؤتمر توافد كبار الشخصيات العربية الرسمية إلى مركز الإخوان منهم الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود نيابة عن والده والأمير أحمد بن يحيى حميد الدين إمام اليمن وكانت نتيجة هذا الإتصال والتشاور بينهم وبين الإخوان والحكومة المصرية الاتفاق على عقد مؤتمر برلماني دولي وجه الدعوة إليه لجنة برلمانية مصرية برئاسة محمد علي علوبة باشا المتعاطف مع القضية الفلسطينية وانعقد المؤتمر في سراي آل لطف الله بالقاهرة حضرته وفود شعبية من المغرب والهند والبوشناق اليوغسلاف واليمن والصين، كان من مقرراته الطلب من انكلترا والدول الكبرى تسوية القضية الفلسطينية بما يضمن حقوق أهل فلسطين واعتبار وعد بلفور باطلاً من أساسه ورفضوا تقسيم فلسطين وطالبوا بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين فوراً.

واهتمت بريطانيا بهذه المؤتمرات فعدلت عن سياستها القمعية تجاه فلسطين ودعت إلى مؤتمر في لندن عام ١٩٣٩ يضم العرب واليهود حضره الأميران فيصل بن عبد العزيز آل سعود والإمام أحمد بن يحيى حميد الدين واثنان من الإخوان المسلمين كمترجمين للاميرين أحدهما الأخ محمود أبو السعود (أحداث ١٧٧ ـ ١٨٢/٣).

ونتيجة لهذا المؤتمر أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الذي قررت فيه على الورق وضع حد لهجرة اليهود إلى فلسطين ومنعهم من شراء

أراضي عرب فلسطين وذلك لكي تمتص نقمة العرب وتكسب الرأي العام العالمي.

ولكن اليهود تخوفوا من الكتاب الأبيض فلجأوا إلى أمريكا التي اتفقت مع إنكلترا على تشكيل لجنة تحقيق انكليزية أمريكية لتنسف بواسطتها الكتاب الأبيض وقد كان، فقد طافت اللجنة في البلاد العربية تدعي الحياد والعدل. وفي آخر لقاءاتها في مصر عام ١٩٤٦ تحدث امامها السيد مراد البكري وعبد المجيد صالح باشا وصالح حرب باشا والدكتور منصور فهمي باشا والمرشد العام للإخوان حسن البنا الذي تولى الترجمة له وكيل الجماعة الأستاذ أحمد السكري.

وقد أشادت جريدة المصري آنذاك بكلمة المرشد العام التي اختتمها بطلب الإفراج عن الحاج أمين الحسيني الرجل الأول في القضية مع إخوانه المجاهدين والإستماع إلى أقوالهم كي يثبتوا بذلك حيادهم.

ولكن قرار اللجنة مع الأسف كان يقضي بالسماح لمئة ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين مع الأدعاء بأن اللجنة تهدف إلى ضمان حقوق العرب المدنية والدينية.

ولكن ماذا ننتظر من لجنة هي الخصم والحكم. وقد صرح الرئيس الأمريكي ترومان في ذلك الوقت بأنه سعيد جداً بقرار اللجنة بالسماح لمئة ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين في الحال (عن أحداث صنعت التاريخ ٤٠٩/ ٤١١/٣) وفي ١٩ اكتوبر ١٩٤٦ عقد الإخوان مؤتمراً في حيفا ضم ستين ألفاً من الإخوان وأنصارهم أعلنوا فيه مسؤولية بريطانيا عن جميع ما حدث في فلسطين وحذروها من مسؤولية استمرار سياستها الجائرة تجاه عرب فلسطين (قافلة الإخوان ص ٩).

مؤتمر بلودان عام ١٩٤٦ :

بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية دعي مجلس الجامعة العربية

للإنعقاد في بلودان في شهر حزيران ودرس اقتراحاً بتشكيل لجنة موحدة تمثل شعب فلسطين وتنطق باسمه. ولم يغب عن فكر حسن البنا أن يرسل برقية للمؤتمرين يعلن فيها استعداد الإخوان للدفاع عن فلسطين بدمائهم وأموالهم، بعد ذلك تم تشكيل اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني وعضوية الدكتور حسين الخالدي وأحمد حلمي باشا وجمال الحسيني وإميل الغوري، قام سماحة المفتي بتأسيس مكتب لرئاسة الهيئة العربية العليا في القاهرة وافتتح مكتباً في القدس ودمشق وبيروت وبغداد وضم إلى أعضاء الهيئة خمسة أعضاء آخرين وبدأ بتنظيم العمل وتوزيع المسؤوليات على اللجان استعداداً للجهاد وكلف لجنة من الموثوقين لشراء السلاح وكان مصدره من مخلفات الحرب العالمية في صحراء مصر الغربية ومن تبرعات بعض الدول العربية والإسلامية وساهم الإخوان في جمع السلاح وإدخاله إلى فلسطين بإشراف يوسف طلعت ورشاد مهنا. أما السلاح الآخر الذي تجمعه الهيئة العليا فكان يشرف على تخزينه عبد القادر الحسيني في صوريف وبيرزيت يساعده في تهريبه إلى فلسطين رشاد مهنا والقائمقام أحمد سيف اليزل محافظ مرسي مطروح الذي أصبح خلفاً للشهيد أحمد عبد العزيز. وأسند سيادة المفتي قيادة المجاهدين إلى عبد القادر الحسيني وكون حرساً وطنياً في المدن والقرى وأنشأ منظمة الشباب الفلسطيني وأسند قيادتها للمجاهد الصاغ محمود لبيب أحد قادة الإخوان العسكريين. كما تسلل عدد من شباب الإخوان إلى شمالي فلسطين والتحقوا بثورة الشيخ عز الدين القسام وبعد الحرب العالمية الثانية أرسل الإخوان دعاتهم سعيد رمضان، عبد الرحمن البنا الساعاتي والشيخ عبد المعز عبد الستار، وعبد العزيز الأحمد لتعبئة القوى الإسلامية واستثارة روح الجهاد إستعداداً لمعركة المصير.

قضية فلسطين بعد إعلان التقسيم ودور الإخوان تجاهها:

أصدرت الأمم المتحدة قراراً بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية بدعم من الدول الكبرى إنكلترا وأمريكا وروسيا بموافقة ٢٥ دولة ومعارضة ١٣ دولة عربية ومسلمة وإمتناع ١٧ دولة عن التصويت. فوقع هذا القرار على العالمين العربي والإسلامي وقوع الصاعقة فتجاوبت أصداؤه في كل صقع وأعلنت الدول العربية وشعوبها رفض قرار التقسيم واجتمع رؤساء وزراء الدول العربية في القاهرة فاستفاد الإخوان من هذه المناسبة فدعوا إلى مظاهرة اهتزت لها جنبات القاهرة في ١٩٤٧/١٢/١٥ اشترك فيها الأزهر الشريف والجامعات وكافة فئات الشعب مسلمين ومسيحيين خطب فيها رياض بك الصلح رئيس وزراء لبنان وكان صديقاً للإخوان والأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود والشيخ محمود أبوالعيون وجميل مردم بك رئيس وزراء سوريا وصالح حرب باشا والقس متياس الأنطوني والسيد إسماعيل الأزهري رئيس وزراء السودان والمرشد العام للإخوان المسلمين حسن البنا ومما قاله: أيها الزعماء أنتم القادة وهؤلاء الجنود لقد وقفوا دماءهم للدفاع المقدس، إن هذا الشباب ليس هازلاً ولكنهم جادون عاهدوا الله وعاهدوا الوطن أن يموتوا من أجله. إنني أعلن من فوق هذا المنبر أن الإخوان المسلمين قد تبرعوا بدماء عشرة آلاف. متطوع للاستشهاد في سبيل فلسطين. ثم قررت الدول العربية إعلان الحرب على الصهاينة لتحرير فلسطين العربية ولم يلتفتوا إلى النصائح والاقتراحات بترك حرب التحرير الفلسطينية للشعوب الإسلامية والاكتفاء من جانبهم بالدعم المادي والمعنوي. لقد أدرك حسن البنا رحمه الله تعالى ـ ببعد نظره ـ أن الدول العربية في ذلك الحين لا بد وأن تقع تحت ضغوط دولية تؤثر على استمرارها في معركة الشرف والكرامة فنقل رأيه إلى جامعة الدول العربية

بواسطة صديقيه الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وعبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية. يطلب فيه إعلان نفير عام إسلامي لتحرير الأرض المقدسة يوكل فيه إلى المتطوعين القيام بحرب تحرير شعبية تدعمهما الدول العربية بالمال والسلاح. فلم يستجب لطلبه لضغوط أجنبية كما صرح بذلك كامل الشريف حيث قال: إنه من الإنصاف للواقع أن تقرر أن زعماء الدول العربية قد فكروا أخيراً بسلوك هذا الطريق طريق حرب العصابات وكلفوا الهيئة العربية العليا لاختيار عدد من الشباب من مختلف الجهات لتدريبهم وإعادتهم للإشراف على تنظيم المقاومة ولكن ذلك كان بعد فوات الأوان فقد احتجت بريطانيا على هذا التصرف فانكمشت الدول العربية أمام هذا الاحتجاج فماتت الخطة في مهدها.
ودخلت الدول العربية المعركة لتنتهي حيث بدأت، وأعلنوا عروبة المعركة لا إسلاميتها فرفضوا تطوع المجاهدين الباكستانيين المسلمين بحجة أن الدول العربية .بجيوشها السبعة كافية لتحرير الأرض المقدسة وحاولت الجامعة العربية من جانبها أن تعمل لتنظيم المقاومة فعينت الفريق العراقي طه باشا الهاشمي واللواء إسماعيل صفوت باشا ومعهم عدد كبير من الضباط ووضعوا تحت تصرفهم أموالاً كثيرة ومنحتهم سلطات واسعة وبدل أن يجمعوا الشباب الفلسطيني لتدريبهم أخذوا يجمعون المتطوعين من البلاد العربية ويغدقون عليهم بالأموال في الوقت الذي يضيقون فيه على المجاهدين الفلسطينيين. فقد طلب قائد مجاهدي القدس عبد القادر الحسيني أن يمدوه بالمال والسلاح فلم يستجب لطلبه وبعد جهود ووساطات أعطوه (٣٧٠ جنيهاً ليوزعها على ثلاثة آلاف مجاهد يعملون تحت قيادته فقدم تقريراً إلى جامعة الدول العربية في ١٩٤٨/٤/٦ يحملها فيه ضياع فلسطين، واستشهد بعدها بقليل في معركة القسطل سعيداً بلقاء ربه، وبالاتفاق بين فضيلة المرشد العام والأمين العام لجامعة الدول

العربية عبد الرحمن عزام باشا شكل الإسلاميون لجنة وادي النيل للعمل على جمع التبرعات وشراء الأسلحة وتدريب المجاهدين لإرسالهم إلى فلسطين وكان أبرز أعضائها صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين وعلوبة باشا وصالح أبو رقيق ممثلاً عن الإخوان.

حين أحس اليهود بخطر الإخوان وبدأت صحفهم الصهيونية تستعدي حكومة الإنتداب الإنكليزي على الإخوان وتنبه لخطورتهم. فقد كتبت الفتاة الصهيونية روث كاريف مقالاً في جريدة الصنداي عام ١٩٤٨ نقلته جريدة المصري المصرية جاء فيه: والآن أصبح الإخوان المسلمون ينادون بالاستعداد للمعركة الفاصلة التي توجه ضد التدخل المعادي للولايات المتحدة في شؤون الشرق الأوسط وأصبحوا يطلبون من كل مسلم ألا يتعاون مع الأمم المتحدة فقد حان الوقت للشعب الأمريكي أن يعرف أي حركة هذه وأي رجال يستترون وراء هذا الأسم الرومانتيكي الجذاب اسم الإخوان المسلمون. وختمت مقالها بقولها: وإذا لم يدرك العالم هذه الحقيقة في وقت قريب فإن أوروبا ستشهد ما شهدته في العقد الماضي من القرن الحالي إمبراطورية إسلامية فاشية تمتد من شمالي إفريقيا إلى الباكستان ومن تركيا إلى المحيط الهندي «عن الإخوان في حرب فلسطين ص ٣٢، ٣٣».

أرسل الإخوان عدداً من المدربين العسكريين سراً إلى فلسطين لتدريب المجاهدين الفلسطينيين بقيادة الضابط المتقاعد محمود لبيب الذي كلف بدوره بالسعي للتوفيق بين منظمتي الفتوة والنجادة الفلسطينيين وكلف الأخ يوسف طلعت بتهريب الأسلحة والذخيرة إلى داخل فلسطين. ولما تنبهت حكومة الإنتداب إلى نشاطهم أصدرت أمراً بتسفير الضابط محمود لبيب بعد أن تمكنت من التعرف إليه عام ١٩٤٧.

طلب الإخوان من حكومة النقراشي السماح لفوج من مجاهديهم ليرابط في الجزء الشمالي من صحراء النقب فرفض طلبهم فطلبوا القيام برحلة علمية إلى سيناء ومن هناك تسلل أفرادها سراً إلى فلسطين وتبعهم آخرون بأساليب مختلفة وفي فبراير عام ١٩٤٨ بدأ المجاهدون المسلمون بمهاجمة المستعمرات بقيادة الضابط الأخ محمود لبيب الذي طلب إجازة للمشاركة في الجهاد المقدس وتبعه من زملائه الضباط كمال الدين حسين وصلاح سالم وبعد شهرين من القتال طلبت الحكومة المصرية من الإخوان سحب قواتهم من النقب فرفض المجاهدون هذا الطلب فشددت الحكومة المصرية الرقابة على الحدود لتضطرهم إلى الإنسحاب ولكنهم ثبتوا حتى دخل الجيش المصري فلسطين بشكل رسمي (عن الإخوان في حرب فلسطين ص ٤٠) ثم تلت هذه الفرقة فرق أخرى سجل أحداثها الأستاذ كامل إسماعيل الشريف في كتابه الإخوان في حرب فلسطين وعبد المنعم عبد الرؤوف في مذكراته.

ولم يقصر الإخوان في المجال الطبي فقد تطوع من أطباء الإخوان الدكتور أحمد الملط وحسان حتحوت وأحمد سعيد خطاب وقد أرسل بطلبهم عزمي باشا مدير الهلال الأحمر المصري وعرض عليهم مرتبات مغرية للعمل في فلسطين فقالوا: نحن لا نريد غير المأوى والطعام فقال: إننا خصصنا لكل طبيب عند استشهاده دية تسلم إلى أهله وقدرها ثلاثة آلاف جنيه فأوصى الدكتور الملط تسليمها للمرشد حسن البنا يتصرف بها لصالح الجماعة بعد استشهاده.

دور الإخوان المسلمين المصريين العسكري في حرب فلسطين

سفر متطوعي الإخوان المسلمين إلى فلسطين

من مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف ص ٤٧

في الفترة ما بين ١٩٤٨/٤/٢٥، ١٩٤٨/٥/٥ تم تدريب وتنظيم كتيبة[١] معظمها من متطوعي جماعة الإخوان المسلمين، في معسكر هاكستيب، بلغ عددهم ٢٨٠ مجاهداً وأشرف على تدريبهم المقدم أركان حرب حسين أحمد مصطفى والرائد أركان حرب على الخضاوي، والملازمون أحمد رأفت بسيوني وأبو بكر المنزلاوي وحسن زكي عليش وغيرهم.

وشمل التدريب الأسلحة الصغيرة، وطرق النسف والتدمير وضرب النار واختراق الضاحية والمصارعة اليابانية.

---

(١) ويقول الدكتور عبد الله عزام في كتابه حماس ص ٦٧ ما يلي:
وكانت الكتيبة الأولى مكونة من ثلاثمائة مجاهد قسمت إلى أربع سرايا:
السرية الأولى ثلاثة أرباعها من شباب مصر الفتاة (جماعة أحمد حسين) وربعها من الإخوان.
السرية الثانية ثلثاها من الإخوان وثلثها من مصر الفتاة.
السرية الثالثة كلها من الإخوان المسلمين.
السرية الرابعة من الإخوان، اختير لقيادتها أحمد عبد العزيز، ضابط وطني وعبد المنعم عبد الرؤوف من ضباط الإخوان يساعدهم الضابط معروف الحضري من الإخوان، وكمال الدين حسين من المحسوبين على الإخوان، وضابطين آخرين.

أما الضباط الإخوان المتطوعون المدنيون قادة السرايا فكانوا الأخ أحمد حجازي من إخوان القاهرة شعبة العباسية، والأخ أحمد لبيب الترجمان من إخوان القاهرة شعبة الخليفة، والأخ نظيف عبد الحميد من إخوان القاهرة شعبة السيدة زينب والأخ إسماعيل الفرماوي قائد فصيلة النسف والتدمير من شعبة العباسية والأخ محمد نور الدين قائد فصيلة البويز (مضاد للدبابات) والأخ مصطفى جاد من الإسكندرية من جماعة مصر الفتاة.

كما تم تدريب مجموعة على استعمال اللاسلكي وتليفونات اَلْبَذَرْ.

وفي منتصف شهر مارس ١٩٤٨ وصلت كتيبة من إخواننا الليبيين والمراكشيين والتونسيين والجزائريين إلى معسكر هاكستيب بعد تدريبهم في معسكر أقيم في مرسى مطروح في صحراء مصر الغربية، وبعد وصولها تولى قيادتها ضباط مصريون ممن تطوعوا للجهاد في فلسطين بعد أن قدموا طلبات للإحالة إلى الاستيداع وكنت واحداً منهم.

السفر من العريش إلى خان يونس:

حضر إلى العريش الإخوة الشيخ محمد فرغلي عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، (أعدمه جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤) والصاغ محمود لبيب قائد عام جوالة الإخوان المسلمين وعضو مكتب الإرشاد، والأستاذ محمود عبده قائد متطوعي الإخوان المسلمين في بير السبع.

ونصحوا المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز بأن تدخل الكتيبتان فلسطين عند الحدود عبر السكة الحديد مطفئين أنوار السيارات، حتى لا تشعر القوات الإنجليزية بهم فتعترض قوات المتطوعين، وتم تنفيذ العبور

بمجهود شاق وصمت تام عبر رفح المصرية الفلسطينية، ثم انطلقت قواتنا المحملة بالسيارات متجهة صوب خان يونس التي وصلناها ليلاً، واستقبلنا بحفاوة من هيئة التدريس والسيد الناظر الأستاذ سامي أبو شعبان، الذي قدم لنا كل مساعدة ممكنة.

ومكثنا يومين في جمع المعلومات عن العدو بمعاونة شيخ العرب مصطفى أبو مدين.

الإصطدام الأول وأول شهيد:

في ١٩٤٨/٥/٩ أبلغنا الأخ الفلسطيني المجاهد عبد الله أبو مدين عن نشاط مصفحات العدو الصهيوني حول خان يونس.

فأمر المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز بتدميرها، وعيّن طاقماً مكوّناً من خمس بنادق بويز التي تحركت تحت قيادة الأخ فتحي الخولي من إخوان القاهرة شعبة القلعة، واصطدمت بالمصفحات اليهودية، وعند إطلاق نيرانها لم تحدث أي تأثير في مصفحات العدو، وأطلق العدو نيرانه فاستشهد القائد الأخ فتحي الخولي، وشيعت جنازته في خان يونس، وأبلغني أحد إخوان الشهيد الذين رافقوه أنه سمع الشهيد يتمتم بصوت مهموس: هبي يا رياح الجنة.

معركة كيفار ديروم أو خان يونس:

في فجر ١٩٤٨/٥/١٤ أراد المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز مهاجمة مستعمرة كيفار ديروم والتخلص منها نهائياً، فكلفني باستكشافها وتقديم تقرير بذلك.

وصف المستعمرة:

تقع كيفار ديروم على قطعة أرض زراعية مسطحة مساحتها ٢٠٠×

١٥٠ متراً مربعاً شرق سكة حديد رفح غزة، وكذلك شرق الطريق الزراعي الذي بينهما. والمسافة بين هذين الطريقين والمستعمرة حوالي ٨٠٠ ياردة، وتهدد هذه المستعمرة هذين الطريقين، وفي الشمال الشرقي للمستعمرة يوجد خزائن للمياه وثكنتان للجنود من ثلاثة طوابق.

وفي المستعمرة خنادق مواصلات تربط جميع أجزاء المستعمرة، وفي منتصف المسافة ما بين المستعمرة والسكة الحديد توجد غرفة ماكينة مياه، وفي جنوب المستعمرة يوجد واد طويل يربط غرب المستعمرة بشرقها، وتوصل إلى مستعمرات يهودية أخرى، ويمكن التقدم في هذا الوادي حتى الوصول لمسافة ١٠٠ ياردة من قوات العدو ومنع أي إمدادات تأتي للعدو من مستعمرات أخرى.

ويوجد حول المستعمرة ثلاثة أحزمة أسلاك شائكة.

واشتمل التقرير على خطتين ليختار إحداهما:

الخطة الأولى: حصار مستعمرة كيفار ديروم ومنع أي إمدادات تصل إليها أو تخرج منها حتى نضطرها للتسليم.

الخطة الثانية: اقتحام واحتلال مستعمرة كيفارديروم.

واختار المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز الخطة الثانية، ويصف كامل الشريف الهجوم فيقول:

هاجم الإخوان المستعمرة في وقت مبكر من صبيحة اليوم ونجحوا في المرور خلال حقول الألغام، عبر ممرات أعدوها طوال الأسبوع الذي سبق المعركة، واجتازوا عوائق الأسلاك الشائكة، كل هذا تم بدقة وسرعة دون أن ينتبه حراس المستعمرة لما يجري حولهم، ولم يفيقوا إلا على صوت انفجار هائل أطاح بأحد مراكز الحراسة، ثم بدأت المعركة داخل

الخنادق وعلى الأبراج و «الدشم».

وأبدى الإخوان في هذه المرحلة من ضروب البطولة والفدائية ما لا يمكن حصره وتصويره، واستطاع اليهود أن يسدوا الثغرات التي أحدثها المجاهدون في دفاعات المستعمرة، ثم حاصروا القوة الصغيرة التي نجحت في التسلل إلى أوكارهم ومضوا يحصدونها ببنادقهم ورشاشاتهم.

وهكذا فشلت المحاولة الأولى ومضى الإخوان يحملون شهداءهم وجرحاهم وكان عددهم يربو على العشرين، وانتهت المعركة على هذه الصورة المؤسفة ولكنها ظلت مثلاً فريداً للبطولة والتضحية.

ويستأنف عبد المنعم عبد الرؤوف حديثه (من كتابه ص ٥٠) ويحدد أسباب الفشل بما يلي:

١ ـ سوء التدريب على جميع المستويات.

٢ ـ ضعف تأثير مدفعيتنا الهاوتزر والهاونات والمدافع ٢ رطل على دشم ومدرعات العدو الإسرائيلي.

٣ ـ تفوق العدو الإسرائيلي على قواتنا في حرب العصابات، وتمسكنا بالعمليات الحربية النظامية.

وعندما مرت قوات الجيش المصري على الطريق الزراعي القريب من مستعمرة كيفار ديروم صبت عليها فصيلة الهاون ٣ رطل بقيادة محمد علي عبد الكريم نيرانا مركزة بأمر من قائد كتيبة المقدمة العقيد أركان حرب سيد طه (الضبع الأسود)؛ ولكن المستعمرة لم تستسلم لصلابة دشم العدو.

وبنظرة فاحصة لضباط كتيبة المتطوعين يتضح أن أغلبهم من أسلحة معاونة وليس منهم من درس كطالب بمدرسة المشاة حيث تلقى أحدث

أساليب الحرب العالمية الثانية، كالإعداد لمهاجمة وتدمير الدشم الحصينة وقتال المنازل، وتطهير القرى والتسلل ليلاً ونهاراً.

أصدر المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز أمراً بسحب وإنقاذ المصابين حول مواقع العدو، ونقل جثث الشهداء، فتحركت بفصيلتين بقيادة الملازم أول معروف الحضري، والأخ حسن الجمل قائد جماعة الهاون وهو من متطوعي الإخوان المسلمين ومن إخوان القاهرة شعبة منيل الروضة، واستطعنا بتوفيق الله وعونه سحب عدد كبير من المصابين وعدد قليل من الشهداء، وكان الطبيب المعالج والمشرف على تضميد جراح المصابين النقيب الجراح الأخ الطبيب محمد حسين غراب، رحمه الله، الذي أنشأ نقطة إسعاف في أول الحور تحت سقف السكة الحديد.

لم يتم الاستيلاء على مستعمرة كيفار ديروم، ولكن تم سحب جميع المصابين وكان من بينهم الملازم أول معروف أحمد الحضري، الذي أصيب بعدة طلقات نارية في رقبته وكتفيه من الأمام، كما أصيب الملازم أول كمال الدين حسين قائد مدفعية الهاوتزر من أثر دانة فاسدة على بعد ياردة، وتم ترحيل الضابطين، وباقي المصابين من الإخوان المسلمين إلى مستشفى غزة.

وبعد أسبوعين عاد إلينا الملازم كمال الدين حسين لاستئناف القتال، أما الضابط معروف أحمد الحضري فقد تم ترحيله إلى القاهرة حيث استغرق علاج جراحه حوالي شهرين عاد بعدها للقتال مع المتطوعين الفدائيين في بيت لحم.

وفي أثناء وجودنا في معسكر النصيرات قرر المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز تنفيذ الخطة الأولى التي سبق أن عرضتها عليه، وهي عملية حصار المستعمرة (كيفارديروم) ومنع وصول أي إمدادات إليها.

وأثناء حصارنا للمستعمرة شوهد شخص يخرج من شمال المستعمرة مرتدياً ملابس بدوية، وبالقبض عليه واستجوابه اتضح أنه يجيد اللغة العربية ويشبه اليهود اليمنيين، فجيء له بجهاز لاسلكي، والتقط لقواتنا إشارة فهمنا منها أن نجدة ستصل إلى المستعمرة حوالي الساعة الحادية والعشرين صباح اليوم التالي، فأمر المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز بالاستيلاء على القافلة، فتحركت مجموعتان من الإخوان المسلمين ومدفعان ٢ رطل، بقيادة الملازم أول حسن فهمي عبد المجيد، الذي صوب قذيفتين على عجلتي الونش الأمامي فتعطل الونش وتعطلت القافلة، وقفز جميع الراكبين اليهود محاولين الفرار إلى المستعمرة ولكن قوبلوا بنيران الحامية وأبيدوا عن آخرهم، وتم سحب جميع العربات المصفحة والونش إلى معسكر النصيرات ومن هذا المعسكر تحركنا إلى معسكر البريج بغزة، وهناك تم توزيع الفدائيين إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول بقيادة المقدم أركان حرب محمد زكريا الورداني ومعه النقيب عبد المنعم عبد الرؤوف، فاختار المقدم أركان حرب محمد زكريا الورداني موقع القيادة لنفسه في العوجة وأرسلني لاحتلال العصلوج، واستخدامها قاعدة للقيام بعمليات فدائية ضد مستعمرات العدو وطرق تموينه، وكان عدد قواتي في العصلوج ٧٤ متطوعاً منهم ٢٠ جزائرياً و ١٩ ليبيا والباقي من متطوعي الإخوان المسلمين.

وكان من بين هذا العدد طباخان وخبازان وسائقان، ولم يكن في هذا العدد أي ضابط مسؤول آخر، ولم يكن لدينا أي مدفع مضاد للدبابات والمصفحات والدشم الحصينة.

أما الاتجاه الثاني فكان بقيادة المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز ومعه جميع ضباط الجيش المتطوعين وهم ملازم أول كمال الدين حسين

وملازم أول خالد فوزي والإثنان من مدفعية الهاوتزر والملازم أول حسن فهمي عبد المجيد والملازم أول حمدي واصف للشؤون الإدارية، ومصطفى كمال صدقي للمخابرات.

ومن ضباط متطوعي الإخوان المسلمين الأخ حسين أحمد حجازي والأخ أحمد لبيب الترجمان، والأخ قطني عبد الحميد والأخ محمد كمال عامر والأخ مصطفى جاد، وقد تحركوا جميعاً إلى بير السبع.

وهناك عهد إلى المجاهد الكبير الأستاذ محمود عبده قيادة الإخوان، والقيام بأعمال حرب عصابات ضد العدو في منطقة بير السبع وما حولها، وواصل المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز السير إلى بيت لحم ولحقه معروف الحضري وكانت معه جميع مدافع الهاوتزر وعددها أربعة، وجميع المدافع المضادة للدبابات وتمركزوا جميعاً هناك.

ويعلق السيد كامل الشريف على هذه المعركة فيقول (عن كتابه ص ٥٩).

وظل الإخوان طوال فترة الحرب يتذاكرون المثل العليا التي سجلها المجاهدون فيها والتي أعادت للأذهان صوراً حية من جهاد الصدر الأول، فهذا أحدهم وهو المجاهد «محمد سلطان» من مجاهدي الشرقية، يزحف على بطنه حاملاً لغماً هائلاً وهدفه أحد مراكز الحراسة في المستعمرة يتنبه إليه الحراس وهو على قيد خطوات من هدفه، فيطلقون عليه رصاصات تصيبه في ذراعه، وتعجزه عن المضي في زحفه، ولكنه يتحامل على نفسه، ويزحف بصعوبة والدماء تنزف من جراحه. والرصاص يتناثر من حوله، ويظل يجاهد بعناد حتى يقترب من هدفه فيشعل اللغم فينفجر، ويدمر مركز الحراسة، ويقضي على البطل الفذ، ويمضي ليلاقي ربه شهيداً.

وهذا المجاهد «عبد الرحمن عبد الخالق» يقود إحدى جماعات الاقتحام في المعركة ويستمر في قتاله الرائع رغم أوامر الإنسحاب التي صدرت إليه، فيقول كيف ننسحب وإخواننا في داخل المستعمرة ثم يذكر من معه قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾ ويظل يقاتل بشدة حتى تصيبه رصاصة قاتلة في رأسه لتضع اسمه في عداد الشهداء الخالدين.

وهذا مجاهد آخر هو، «عمر عبد الرؤوف» تصيبه رصاصة في صدره فتبدو على وجهه إبتسامة مشرقة، ويهتف بمن حوله «أترون ما أرى؟ ثم يأخذ نفساً طويلاً، ويقول هذه هي الجنة... إنني أراها... وأشم رائحتها»، ثم يلفظ أنفاسه الطاهرة، ليمضي إلى جنة ربه الموعودة.

ولكل شهيد من شهداء هذه المعركة قصة في البطولة لا يزال إخوانهم الأحياء يرددونها بمزيد من الإعجاب والتقدير. (ويقول في ص ٦٢):

قلنا أن تجربتنا مع كفار ديروم قد انتهت بنا إلى إننا ـ لظروف تدريبنا وعددنا واسلحتنا ـ لم نستطع أن نهاجم المستعمرات المحصنة وأن خطتنا المقبلة كانت ستتضح في أكثر من مكان من هذه المذكرات:

أولاً: استدراج سكان المستعمرات للأرض المكشوفة وإرغامهم على القتال فيها.

وثانياً: فرض الحصار والعزل على المستعمرات وإرهاقها بأعمال الازعاج والقناصة ولقد سلكنا لتحقيق هذين الهدفين سبلاً شتى منها قطع طرق المواصلات وإقامة الكمائن ونسف أنابيب المياه وضرب المشاريع والمنشآت المنعزلة، وكان طبيعياً أن ينظم العدو غارات على مراكزنا المتقدمة في النقب وكانت تلك هي الفرصة التي نريدها ونهدف إليها،

ومع هذه الحركات أصبح النقب الجنوبي في مثلث واسع قاعدته تمتد من غزة إلى رفح ورأسه عند بئر السبع ميداناً لمعارك مستمرة ليلاً ونهاراً، وكنا سعداء بهذه «الحرب الخاصة» التي كانت كثيراً ما تبدو وكأنها معزولة عن الحرب الواسعة وقليلاً ما تتقيد بما طرأ عليها من قيود والتزامات كقرارات الهدنة ووقف إطلاق النار.

وأما عن مستعمرة كفار ديروم فقد ألزمناها بحصار محكم وإزعاج مستمر طيلة بضعة شهور، ولست أشك أن سكانها تعرضوا لأنواع شتى من الضيق والآلام ولكنهم صمدوا بشجاعة حتى اضطروا لإخلاء المستعمرة في منتصف يوليو عام ١٩٤٨، وكان ذلك نجاحاً بارزاً لخطتنا التي تقوم على الحصار من ناحية والاستدراج للأرض المكشوفة من ناحية أخرى، وقد شجعنا نجاح الحصار على كفار ديروم إلى فرض حصار مماثل على مستعمرات أخرى مثل (نيريم) و«بيرون إسحاق» أو «المشبة» كما يسميها البدو، ولقد حاول العدو في مناسبات عديدة اختراق الحصار بواسطة القوافل المصفحة ولكن النظام الذي وضعناه للإنذار المبكر عن طرق حلفائنا من البدو كان يمنحنا وقتاً كافياً للاستعداد وتحضير الكمائن وبث الألغام على طرق المواصلات، وفي مرات كثيرة كانت قوافل العدو تقع في هذه الكمائن وتكون سياراتها وأسلحتها وشحنات تموينها غنائم ثمينة كنا في أكثر الأحيان نقدمها هدية لأصدقائنا البدو. ولا شك أن هذه المعارك العديدة قد ساعدتنا على تطوير أساليبنا وابتكار وسائل جديدة حسب الظروف، وحين أيقن العدو أن لا أمل له في إختراق الحصار على المستعمرات التي نحاصرها ولا سيما كفار ديروم، لجأ إلى إنزال الإمدادات بالمظلات ولكن نيراننا الأرضية وضيق مساحة المستعمرة كانت تجعل عملية الإنزال غير محكمة وهكذا كانت الصناديق تنزل على رجالنا وعلى العشائر البدوية المجاورة وكأنها موائد مباركة من السماء!! ولكن

هذا الحصار لم يؤت نتائجه المرجوة في احتلال تلك المستعمرات فيما عدا كفار ديروم لأن أكثرها لم تكن معزولة تماماً عن المنطقة اليهودية كما أن الجيش المصري لم يلبث أن تصدع تحت الهجوم اليهودي الشامل مما جعل استمرار الحصار للمستعمرات أمراً غير عملي وغير مجد. (وفي ص ٦٨ يقول):

قلنا إن الدرس الذي استخلصه الإخوان من معركة «ديروم» الأولى أن يشرعوا في تنظيم حرب عصابات تشمل صحراء النقب كلها. ولقد باشروا تنفيذ هذه الخطة ومضوا يخرجون في عصابات قوية تدمر شبكات المياه وتنصب «الكمائن» على طرق المواصلات، حتى استطاعوا تدمير عدد كبير من المصفحات والسيارات.

ولقد حدث مرة أن قامت قوة منهم بقيادة المجاهد «حسن عبد الغني» بتدمير شبكات المياه بين مستعمرتي «بيري» و «أتكوما» وأباحت أنابيب المياه لأعراب المنطقة ينتزعونها من الأرض تحت حراستهم، حتى نزعت من الأنابيب مساحات شاسعة، ثم رابطت في المنطقة، لتمنع العدو من إصلاحها، وصبر اليهود يومين عسى أن تنصرف لشأنها، ولكن القوة العنيدة ظلت تواصل تدمير الأنابيب ونزعها والتعرض للمصفحات والقوافل التي تحاول إصلاحها، فلم تجد القيادة الإسرائيلية بداً من الدخول في معركة مباشرة، فجمعت عدداً كبيراً من المصفحات من جميع المستعمرات. وأحاطت القوة الصغيرة من جميع الجهات، وأخذت تقترب منها على أمل أن تظفر بها. وثبت الإخوان ثباتاً عجيباً، وأوقعوا في اليهود عدداً من القتلى قبل أن يبعثوا في طلب النجدات من معسكراتهم.

وجاءت مصفحات الإخوان وأقامت حول مصفحات العدو الذي

سقط في يده حين رأى نفسه محصوراً بين نارين، فاضطر إلى طلب نجدات أخرى من المستعمرات القريبة، وامتلأ ميدان المعركة بقوات كبيرة من الجانبين. واشتد القتال بين الفريقين شدة لم يسبق لها مثيل، حتى يئس العدو من زحزحة الإخوان عن موقفهم، فأخذ يطلق سحباً من الدخان ليستر انسحابه، وما كادت أطباق الدخان تنجاب عن ميدان المعركة حتى سارع الإخوان يجمعون غنائمهم من السلاح ويعودوا لتدمير الأنابيب من جديد.

وأيقن اليهود أنه لا قبل لهم بمواجهة هذه القوات المتفانية في حرب شريفة، وحاولوا تسميم آبار يستعملها الإخوان في منطقة «خزاعة» حيث كان المجاهد «نجيب جويفل» يرابط بها بسريته.

ولكن عين الله المبصرة ويقظة الإخوان مكنتهم من اكتشاف الجريمة قبل وقوعها، وذلك أنهم لمحوا رجلين يرتديان الملابس العربية ويتظاهران باستجلاء الماء، وكان منظرهما يدعو إلى الريبة، فاقترب منهم الجندي الحارس وأمرهما بالوقوف، فلاذا بالفرار، فتعقبهما الجندي الحارس وعدد من إخوانه حتى أدركوهما ولم يبق بينهما إلا خطوات، وأمروهما بالتسليم مهددين إياهما بإطلاق النار، فرفعا أيديهما بالتسليم، وحين اقترب الإخوان منهما إنبطحا على الأرض في سرعة، وقذفا على المهاجمين عدداً من القنابل اليدوية، وأسرع الإخوان بملاصقة الأرض ثم أطلقوا عليهما النار فأردوهما قتيلين. (في صفحة ٧٠ يقول):

وكان الواجب يحتم علينا منذ شرعنا في تنظيم حرب العصابات أن نتعاون مع أعراب المنطقة، غير أن الاشاعات التي كانت الدعاية اليهودية ترددها عن خيانة هؤلاء البدو ومدى تعاونهم مع العدو وقفت سداً منيعاً دون ذلك التعاون المنشود، ولم نكن نستطيع العمل في هذه المناطق

دون أن نتبين مدى صحة هذه الإشاعات. ودون أن نحيل بدو هذه المنطقة إلى قوة متعاونة معنا على الهدف والغاية. ولقد قمنا بمحاولات كبيرة إزاء هذه المشكلة أثبتها في هذا البحث كأساس لما جنيناه من نتائج.

بعثنا عدداً من دوريات الاستكشاف، وذهبت بصحبة الإخوان المسؤولين أكثر من مرة، فخيل إلينا أن هناك شبه تعاون فعلاً بين اليهود وبدو تلك المناطق. فهذه المصفحات اليهودية تنتقل بين المستعمرات بحرية وأمان، وتمر على خطوات من مضارب البدو وخيامهم دون أن يتعرضوا لها بشيء من الأذى، ولم تمض إلا أيام حتى فهمنا السبب - فبطل العجب - وعلمنا أن الخطأ يقع علينا لا على هؤلاء البدو.

كان اليهود يسترضونهم بشتى السبل ويحيطونهم بكثير من صنوف الرعاية والإغراء، فهذه أنابيب المياه تصل إلى خيام البدو، والماء عند البدو ضرورة عزيزة المنال، يسير من أجله ساعات طويلة على جمله ليحصل عليه، فإذا كان اليهود يمدونه به حتى خيمته فذلك جميل ما بعده جميل، وها هم قواد المستعمرات اليهودية يضيفون البدو، في خيامهم ويسامرونهم ويأكلون عندهم «العيش والملح» ويشاركونهم الأعياد والأفراح.

ولا أنكر أن بعض القبائل الأخرى كانت في حالة حرب مع اليهود من اليوم الأول لهذه الحركات، ولكن هذا لا يمنع من تصحيح هذه الأوضاع الفاسدة، فبدوي واحد ممالىء لليهود، يحدث ثغرة عميقة في خطط الدفاع ويكون أخطر من كتيبة معادية تقاتلنا وجهاً لوجه.

لا بد أن تصحح هذه الأوضاع ليعلم البدوي حقيقة هؤلاء الأصدقاء الألداء، ولقد جربت البدو بنفسي فوصلت إلى نتيجة آمنت بها إيماناً

عميقاً، تلك هي أن البدوي لا ينقصه الإيمان بقضيته والتعلق بوطنه، ولكنه في هذه الحالة، مضطر لسلوك هذا المسلك، فليس لديه السلاح الذي يواجه به قوى اليهود الموزعة في كل قطعة من وطنه، وهو في حالة من الفقر لا تسمح له بشراء الأسلحة وقد كانت تساوي مالاً كثيراً في ذلك الحين، ولا توجد على مقربة منه قوات عربية منظمة تستطيع أن تدفع عنه العدوان، وتحمي أولاده وغنمه من هجمات العدو الغادرة.

وإذن فليس الذنب ذنبه، ولكن الجرم يقع على تلك الفئة التي وضعتها الظروف في موضع القيادة من هذه الحرب، والذنب بعد ذلك يتركز في الزعامة الشعبية التي لم تكن تكلف نفسها مشقة التجول بين هؤلاء الأعراب وتنظيم حركة المقاومة في مناطقهم وتلقينهم ما يجب عمله إزاء هذه الحالة.

فعلى الذين يتهمون البدو بالخيانة، أن يتهموا أنفسهم بالتقصير والتضليل، وإذا قارنا بين جهل البدوي المطبق وبين علمهم ومسؤولياتهم وعظم التبعة المعلقة في أعناقهم أمكننا أن نحدد التهمة وأن نضع الأمور في نصابها الصحيح.

أما الذي صنعناه نحن لتصحيح هذا الوضع وإثارة أعراب المنطقة فقد كان من البساطة والسهولة بحيث لا يحتاج إلى كثير من التفكير والتدبير، ذلك أننا أوعزنا إلى بعض شباب الإخوان أن يتسللوا في ظلمة الليل ويبثوا الألغام على الطرق اليهودية القريبة من مضارب البدو دون أن يفطن أحد إلى وجودهم ففعلوا، وانفجرت الألغام في إحدى القوافل اليهودية ولم يكن العدو في حاجة إلى التفكير ليعلم أن هؤلاء البدو هم واضعوها أو على الأقل مشتركون في وضعها، فأخذوا يطلقون عليهم النار بلا حساب وكانت قوة من الإخوان مستعدة على مقربة من هذه المنطقة

فأغارت على مؤخرة اليهود، وكان طبيعياً أن ينحاز العرب إلى عرب مثلهم، وأخذوا يشاركوننا في قتال اليهود حتى أرغموهم على دخول المستعمرات.

وهكذا نجحت الخطة وتحولت هذه القبائل من ذلك الحين إلى قوة معادية لليهود. وعرف الإخوان كيف يستغلون ذلك. فجندوا عدداً كبيراً من شباب القبائل وأخذوا يدربونهم على استعمال السلاح حتى إذا أتموا تعليمهم وكلوا إليهم الأعمال الخطرة. والبدوي بطبيعته مقاتل قوي البأس فوق ما يتمتع به من مزايا تجعله بارعاً في الإخفاء والتمويه. ولقد أظهر هؤلاء الأعراب بعد ذلك إيماناً قوياً وتفانياً في العمل وكان لهم أبعد الأثر في نجاح العمليات الخطرة التي اضطلع بها الإخوان بعد ذلك.

ولقد أصبحت هذه القبائل لا تكلفنا إلا شيئاً يسيراً من الذخيرة. وأفراد من الإخوان يوجهونهم وينظمون حركاتهم. ولقد تداول على قيادتهم عدد من خيرة شباب الإخوان. ممن أبلوا بلاءاً حسناً وأظهروا كثيراً من الشجاعة والمقدرة أذكر منهم المجاهدين (نجيب جويفل) و (حسن عبد الغني) و (علي صديق) وغيرهم ممن تركوا آثاراً باقية، وذكريات طيبة، ولا يزال رجال القبائل حتى اليوم يمتدحون سيرتهم ويمجدون ذكراهم.

وحين تشعبت أعمال الإخوان واتسعت الجبهات التي يحاربون فيها. وزادت القيود التي فرضتها الحكومة لمنع دخول المجاهدين من مصر. اضطررنا لتشكيل مجموعات منظمة من رجال القبائل وفتحنا باب التطوع. فانهال جموع كبير من شبابهم. وفعلاً تشكلت منهم عدة (سرايا) وتركنا مهمة تدريبها وإعدادها للأخ (نصر الدين جاد) الذي بذل جهداً مشكوراً، في تنظيمها، حتى صاغ منها قوة مقاتلة استطاعت أن تثبت وجودها وأن

تشترك في معارك الإخوان الكبرى ويكون لها أثر كبير في نتائجها العامة.

ولم نترك هذه القبائل لمصيرها بعد أن وصلنا لأقصى ما نريد من نتائج في هذه المنطقة. فأقمنا في منطقتهم موقعاً (حصيناً) للغاية واخترنا لإقامته تلاً مرتفعاً يشرف على مساحات كبيرة من الأرض. وأحطناه بالأسلاك والألغام. وزودناه بالأسلحة والعتاد. وكان ضباط الإخوان يتداولون قيادته بنظام ويشرفون منه على تنظيم دوريات مسلحة تخرج بمعونة البدو وتتعرض لقوافل التموين اليهودية وتضطرها للدخول في معركة معها. تنتهي حتماً بتدمير غالبية وحداتها وقتل كثير ممن فيها. وتكررت هذه العمليات حتى روع اليهود وصمموا على محو هذا الموقع وتدميره، فهاجموه بمصفحاتهم أكثر من مرة غير أنهم لم يفلحوا في إقتحامه كما كانوا يقدرون.

ومما يدل على مدى اهتمامهم به وإصرارهم على احتلاله ذلك الهجوم الذي شنوه صبيحة يوم ٧/١٩ وحشدوا له قوات كبيرة من جميع المستعمرات القريبة ومهدوا لهجومهم بضرب شديد من مدفعيتهم ثم تقدموا تحت حماية المصفحات، واستطاع الإخوان أن يحيطوا بهم وسط التلال المتناثرة على مقربة من خربة «أبو معيلق»، ويوقعوا بهم هزيمة فادحة الخسائر، ويرغموهم على التقهقر بعد تدمير عدد من المصفحات، نظير شهيد واحد خسره الإخوان هو المجاهد «سيد حجازي»، وعدد من الجرحى منهم قائد الموقع في تلك الفترة المجاهد «محمد الفلاحجي» من إخوان الدقهلية.

لقد كان هذا الموقع بمثابة صورة بدائية لمستعمرة محصنة، وكان الهدف منه ـ كما أسلفنا ـ هو تثبيت القبائل البدوية في أماكن سكناها حتى لا تهاجر تحت عامل الخوف فتصبح المنطقة كلها تابعة لليهود دون قتال،

ولقد كنت شديد الاهتمام بقضية إبقاء العرب في النقب اعتقاداً مني أن جلاءهم عن أراضيهم وفرارهم يعني تسليمها للعدو ويعني أن تمتد رقعة المستعمرات ويصبح بإمكان الوحدات الإسرائيلية فيها أن تتنقل بحرية وأمان وأن تتجمع قواها لتساهم في المعارك الرئيسية ضد الجيش النظامي.

معركة العصلوج:

يرويها عبد المنعم عبد الرؤوف في ذكرياته ص ٥٣ وما بعد:

تقع قرية العصلوج (نسبة إلى بئر العصلوج) في وسط صحراء النقب الجنوبي، ويؤم هذه البئر رعاة الأغنام والإبل للشرب وملء القرب والفناطيس، وهي غير آهلة بالسكان مع وجود مسجد صغير بمئذنة، وكل ما عدا ذلك تلال وجبال ورمال وبقايا ثكنات الانتداب البريطاني.

وتأتي أهمية هذه القرية من بئر المياه، والطريق البري الذي يمتد في وسطها إلى بير السبع، والخليل والقدس ونابلس وصفد حتى الناقورة، ويمتد منها غرباً وادي غزة حتى البحر الأبيض المتوسط وشرقاً إلى وادي الأردن، ولذلك فهي تمثل موقعاً استراتيجياً هاماً.

وكان موقع قواتي في العصلوج يبعد مسافة خمسين كيلو متراً عن العوجة على الحدود المصرية، حيث موقع المقدم أركان حرب زكريا الورداني القائد الثاني للمتطوعين، وكل ما كان معه عربة إسعاف واحدة وبعض الجنود للصيانة ولوريان لنقل التموين والمياه كل أسبوع لنا، وليس معه أي قوات مقاتلة، كما تبعد العصلوج ٦٥ كيلو متراً عن ميناء غزة. وتبعد أيضاً عن مدينة بير السبع مسافة ٢٥ كيلو متراً وعن مدينة بيت لحم حيث توجد القيادة العليا للمتطوعين بقيادة المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز مسافة ١٢٠ كيلو متراً، ولم تكن لدى قواتي أجهزة اتصال لاسلكية بيني وبين القيادات العليا في بيت لحم، وبمجرد وصولي في

١٠/٥/١٩٤٨ إلى منطقة العصلوج قمت باحتلال موقع دفاعي وإجراء استكشاف في جميع الاتجاهات لمعرفة المستعمرات اليهودية القريبة وطرق الاقتراب للعدو، وخرجت من هذا الاستكشاف بوجود أربع مستعمرات معادية، وكثرة الحركة حولها، وتفوق العدو في المصفحات والأفراد وسهولة إمداداته وتموينه..

أما قواتي فلم يكن لديها مدفعية مضادة للدبابات أو الطائرات أو مدفعية ميدان، وكانت حاجتي للألغام سواء المضادة للأفراد أو الدبابات ملحة، والمتيسر منها قليل جداً.

وواجهتني صعوبة كبيرة في أعمال الصيانة وتوفير المواد التموينية؛ ولذلك قمت بإرسال ٦ تقارير كتابية إلى المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز عن طريق القائد الثاني الموجود بالعوجة، وكان كل ما وصلني من القيادة النقيب حسن فهمي عبد المجيد، الذي حضر ومعه مدفعان مضادان للدبابات، وهما كل ما لدى قيادة المتطوعين، وأمضى معي أربع ساعات في استكشاف الطرق المحيطة بنا وشاهد بنفسه سير مصفحات العدو، وعاد إلى القيادة في بيت لحم ومعه المدفعان.

وفي أحد الأيام جاءني رجل بدوي فلسطيني اسمه عقيل ومعه أربعة ألغام مضادة للمصفحات، وأبلغني أنه وجدها مبثوثة في الرمال التي جرفتها الرياح عن الطريق القادم من العوجة، وقد تمكن من إبطال مفعولها، فشكرته ووعدني بأن يبذل كل ما في وسعه لمساعدتي.

مع قائد سلاح الحدود:

وكنت أعلم مسبقاً أن قائد سلاح الحدود أحمد سالم باشا، ومعه المقدم أركان حرب محمود رياض (الأمين العام لجامعة الدول العربية فيما بعد) سيمران بي في اليوم التالي فأخبرتهما بقصة ذلك الأعرابي فرغبا

في زيارته، وأعطاني محمود رياض مبلغاً من المال لكي أعطيه لذلك الأعرابي، وقمت بشرح جميع جوانب موقفي العسكري واحتياجات قواتي الضرورية، وقد وعداني بإبلاغ ذلك إلى القيادة.

وكانت خطتي لمقاتلة العدو والدفاع عن العصلوج كالآتي:

أ ـ كمائن ليلية ضد دبابات ومصفحات ومشاة العدو.

ب ـ نقطة ملاحظة للإبلاغ عن تحركات العدو أولاً بأول لمعرفة نواياه.

جـ ـ احتلال الموقع الحيوي في العصلوج المشرف على الطريق البري شمالاً إلى بير السبع وجنوباً إلى العوجة.

د ـ احتلال مئذنة مسجد العصلوج بحملة القنابل اليدوية للضرب على أية تجمعات للعدو تنجح في التسلل إلى العصلوج.

وفي أحد الأيام من شهر مايو عام ١٩٤٨ فوجئت بوصول سيارة من قيادة المتطوعين تحمل أمراً بإرسال المتطوعين الجزائريين وعددهم عشرون جندياً إلى مقر قيادة المقدم أركان حرب أحمد عبد العزيز، وبمجرد تنفيذي لهذا الأمر طلب مني الجنود الليبيون اللحاق بإخوانهم الجزائريين، بحجة أن احتمال مقاتلة العدو اليهودي هناك في بيت لحم أكثر مما هو في العصلوج. فكان ردي أن مقاتلة العدو هنا أو هناك قد تحدث في أي لحظة، وأن حاجتي إليهم الآن خصوصاً بعد سفر الجنود الجزائريين هي بالتأكيد أكثر ضرورة، وأن أجرهم عند الله سيكون أكبر، نظراً لقسوة الحياة في العصلوج.

ولكن نصائحي لم تلق عندهم آذاناً مصغية وامتنعوا عن الاشتراك معنا في أي شيء بما فيه أداء واجبهم في خطة الدفاع وهو احتلال الموقع الحيوي للدفاع عن العصلوج.

اشتباك واستشهاد:

وفي الساعة الثامنة من مساء يوم ١٩٤٨/٦/١١، وهو يوم الهدنة الأولى، عدت من المرور على الكمائن فسمعت أصوات انفجارات، وأصوات رشاشات، وجاءني أحد المراقبين من المئذنة وأخبرني أن هذه النيران هي من مواقع كمائننا، وتلاه آخر من أحد الكمائن يؤيد ذلك، فتيقنت أن المعركة مع العدو قد آذنت، وبعد عدة ساعات اشتبكت قواتي القليلة العدد مع العدو بقواته الكثيرة العدد والعتاد وقد شاهدت بنفسي استشهاد الجنود الليبيين عندما أطلق عليهم المتسللون النار من الخلف.

كما شاهدت عشرات القتلى من العدو الذين لقوا مصرعهم من أثر القنابل التي قذفت عليهم من المئذنة، وكان آخر موقع انتقلت إليه أثناء المعركة هو بقايا جدران غرفتين في ثكنات الجيش البريطاني، وقد حدث أثناء وجودي داخل إحدى الغرفتين أن دخل أحد جنود العدو ليفتش المكان، فألقى قنبلة يدوية أثارت بعد انفجارها سحابة من الدخان، وبالتالي أخفتني ومعي جنديان أحدهما يدعى محمد منصور من متطوعي الإخوان المسلمين شعبة العباسية، وبعد انفجار القنبلة دخل اليهودي وفتش الغرفة الأولى بإطلاق طلقات سريعة في كل اتجاه من رشاشه، ثم خرج وسمعته يعيد تعمير رشاشه ويتكلم مع بعض زملائه.

وقد بزغ الفجر حينئذ فرأيت أشلاء القتلى للعدو تحت المئذنة، ورأينا جنود العدو يخلون المكان ويحملون جرحاهم في سيارات الإسعاف، ورأينا عشرات العربات المعادية تملأ أرض العصلوج.

وقد استشهد ثلاثة من قواتي التي كانت بالمئذنة وهم:

الأخ عبد الوهاب البتانوني من إخوان طنطا.

والأخ محمد زكي من إخوان حلوان.

والأخ محمود حامد ماهر من إخوان القاهرة.

الانسحاب من العصلوج:

من بقايا آخر موقع انتقلت إليه حددت طريق الانسحاب للجنديين اللذين كانا معي، وهو التحرك على وثبتين، الوثبة الأولى على مسافة ٢٠٠ ياردة مني، والوثبة الثانية على مسافة ٣٠٠ ياردة من الوثبة الأولى على أن نزحف على بطوننا بفاصل خمس دقائق بين كل واحد والآخر مبتدئا بنفسي.

وبدأنا التنفيذ بعد غروب الشمس مباشرة، وقبيل وصولي للوثبة الأولى - وهي عامود تليفون - شاهدت على يميني شخصين يتحركان، وكانت طبنجتي في يدي، فحولت فوهتها ببطء وحذر نحوهما، وضغطت على التتك فلم تنطلق الرصاصة (أسلحة فاسدة) فأخرجت خنجري بسرعة واندفعت بقوة نحو أقربهما مني لأقتله، وإذا بصوت باللغة العربية يستنجد منادياً: حضرة اليوزباشي! لتعريفي بأنه محمود منصور الذي كان معي في الموقع، فخارت قواي وحمدت الله كثيراً.

ولما سألته: لماذا تحرك هو ورفيقه قبل مضي الدقائق الخمس كان جوابه هو أنهما خشيا أن يضلا الطريق، لأنني الوحيد الذي على دراية كاملة بمسالك المنطقة، وقد نفذا الانسحاب للوثبتين الأولى والثانية حسب الأوامر الصادرة إليهما مني في البداية، وبعد أن تجمعنا عند الأسلاك زحفنا مسافة أخرى حتى أبتعدنا تماماً عن العصلوج.

وأكملنا السير بعد ذلك في اتجاه العوجة حتى بزوغ فجر اليوم التالي، فوجدنا أنفسنا قريبين من أحد مضارب البدو الذي كان مهجوراً

من صاحبه الذي تركه وبه إناء من الصفيح به نصف كوب من الماء، وكان العطش قد بلغ بنا أشده، وكنا أثناء انسحابنا ليلاً وقبل وصولنا لهذه الخيمة نرطب ألسنتنا بطل الندى الذي كان يكسو الزلط عند الفجر، فاقتسمنا الماء نحن الثلاثة.

ثم أكملنا السير بعد ذلك، وعند أذان العصر وصلنا إلى خيمة بدوي فلسطيني آخر رحب بنا وذبح لنا دجاجة، وأرسل ابنه على جواد إلى قائد ثاني المتطوعين بالعوجة الذي أرسل لنا سيارة نقلتنا إليها.

استجواب:

توافد إلى العوجة وبير السبع جميع أفراد الكمائن الذين حاربوا معي في العصلوج، بعد أن استطاعوا تدمير إحدى عشرة مصبفحة بأفرادها، وأما الجنود الثلاثة الذين كانوا فوق المئذنة فقد استشهدوا كما ذكرت بعد أن أنزلوا بالعدو خسائر كبيرة بالأفراد من أثر القنابل اليدوية التي ألقوها عليه.

وقد وجه لي قائد الجيش اللواء المواوي بك السؤال التالي:

ما أسباب هزيمتك في العصلوج؟!

فكان جوابي ما سبق أن كتبته في تقاريري الستة، وما قلته لمدير الحدود أحمد سالم باشا عند مروره بي في العصلوج قبيل المعركة. وألخصها في الآتي:

١ ــ وجود عدة طرق مؤدية إلى العصلوج خالية من الكمائن لقلة الأفراد خاصة بعد سحب القوات الجزائرية وإضراب القوات الليبية.

٢ ــ عدم وجود قوات خاصة مزودة بأسلحة خفيفة مضادة للمصفحات للقيام بالهجوم المضاد.

٣ــ سوء الشؤون الإدارية بمعنى نقص المياه للاستحمام والشرب

والغسيل، وعدم وجود نظارات لوقاية العيون من العواصف الرملية، فضلاً عن تعرض الجنود طوال النهار للهيب الشمس الحارقة، كذلك عدم وجود أطعمة طازجة مطهية.

٤ ــ خفة حركة العدو مع البطء الشديد في حركتي.

وكذلك أبلغت سيادة اللواء أحمد على المواوي القائد العام للقوات بأن قائد قوات المتطوعين في بيت لحم العقيد أركان حرب أحمد عبد العزيز بالرغم من علمه بسوء موقفي من واقع التقارير التي أرسلتها إليه (والتي قدمت منها نسخاً إلى المواوي بك) فإنه لم يزرني مرة واحدة للتأكد من خطورة موقفي، ولهذه الأسباب اقتنع المواوي بك بسلامة موقفي.

وقد طلبت من سيادته إعادتي إلى الجيش فتم نقلي إلى الكتيبة الرابعة مشاة بقيادة العقيد أركان حرب محمد كامل الرحماني بطل معركة نيتسليم.

مع أحمد عبد العزيز في جولته

(كامل الشريف)

كانت خطة أحمد عبد العزيز مهاجمة المستعمرات اليهودية، وكان يريد أن يسلك السبيل الخاطىء الذي سارت فيه قوات الإخوان الحرة من قبل، ولقد اتصل به الاستاذ «محمد فرغلي» وبين له خطورة هذا الإجراء متخذاً من كارثة الإخوان في (كفار ديروم) مثلاً لما يقول، لكن هذه النصائح لم تجد سبيلها في نفس أحمد عبد العزيز وعز عليه أن يتراجع في أمر أبرمه فصمم على مهاجمتها وقدر له أن يتلقى على يدها درساً قاسياً دفع ثمنه الفادح من خيرة شباب الإخوان وزهرة رجالهم.

اتجه تفكير أحمد عبد العزيز إلى مهاجمة مستعمرة (كفار ديروم) أول المستعمرات وأقربها إلى طرق المواصلات، فبدأ في ١٠ مايو بإرسال دورياته لتحصل على معلومات تكون أساساً لخطته حتى إذا تم له ما أراد نظم الخطة. وكانت كلها تدور على أن مدفعيته الضخمة ستدك الأبراج والحصون، ولن يجد مشاته أحداً في قلب المستعمرة لأن حماتها سيكونون جميعاً تحت الأنقاض!!.. وكانت خطته - بإيجاز - تقضي بأن تبدأ المدفعية في دك الحصون في الساعة الثانية صباحاً لمدة عشر دقائق، يبدأ الفدائيون بعدها في نسف حقول الألغام ومواقع الأسلاك الشائكة، ثم تهاجم المشاة المستعمرة من ثلاث جهات لتتم تطهيرها واحتلالها.

وأترك وصف هذه المعركة للأخ المجاهد (أحمد لبيب الترجمان) أحد قواد الإخوان في الميدان وقائد جماعات الاقتحام في هذه المعركة.

قال الأخ «لبيب»: إن أول الأخطاء التي تورطنا فيها كان تأخير الهجوم عن موعده المقرر. فبدل أن تبدأ المدفعية ضربها في الساعة الثانية، بدأت في الساعة الرابعة والنصف حين وضح النهار وأصبح في مقدور العدو مراقبة المهاجمين وحصدهم بالبنادق والرشاشات.

أما لماذا تأخر ضرب المدفعية فكان العذر أقبح من الذنب، ذلك أن الضابط المختص لم يسجل الأغراض التي تقرر ضربها بالنهار، ليسهل عليه ضربها بالليل، مما أضطره، إلى تأخير الضرب حتى يسفر النهار وتتضح الأغراض، وانطلقت المدافع بعشرات القنابل واستمرت الأبراج لا تتزعزع، وحيئذ وضح أمامنا أن الخطة فاشلة وأن الهجوم لو استمر فسيتحول لكارثة مروعة، وحاولنا تأجيل الهجوم ليوم آخر أو تحوير الخطة بحيث تتلاءم والأوضاع الجديدة ولكن الأوامر صدرت بمواصلة الزحف واحتلال المستعمرة، واطبقت المدفعية الكبيرة أفواهها، وانطلقت مدافع (الهاون) تلف المستعمرة بسحابة من الدخان.

ويدأ المجاهدون يزحفون إلى أغراضهم، والعدو الماكر يغري بالتقدم حتى أصبحنا على الأسلاك والمستعمرة لا تزال هادئة ساكنة وفجأة تشققت الأرض عن عيون كثيرة، وانسابت سيول دافقة من النيران وتساقط المجاهدون حتى امتلأت الساحة بالجرحى والشهداء.

وكان مقرراً أن يدمر الفدائيون الأسلاك الشائكة بألغام (البنجالور) غير أن حملتها أصيبوا جميعاً، ورأينا أنفسنا في وضع حرج، ونيران العدو لا تزال تشق طريقها في الجموع العارية، فجأة تقدم شاب أسمر طويل وصاح في إخوانه ليتراجعوا إلى الوراء، وتراجعت الجموع قليلاً للوراء، فقذف الشاب بنفسه على الأسلاك الشائكة المشحونة بالألغام، فانفجرت وتطايرت الأسلاك الشائكة وتطاير جسده معها أشلاء ممزقة، وفتحت

السماء أبوابها لتستقبل ضيفاً جديداً كان أهل الدنيا يعرفونه باسم (عمر عثمان بلال).

وقضي على البطل الجريء ولكن بعد أن حقق المعجزة وفتح لإخوانه ممراً في الأسلاك وفرجة لهم بدمه الطاهر، وتدفقت الجموع إلى المستعمرة وأخذت تحتمي من نيران العدو بحفر القنابل وخنادق المواصلات، ورأى العدو ذلك فجن جنونه وأخذ يركز الضرب على هذه الثغرة، وانطلقت مدافعه ورشاشاته تقيم أمامها سداً كثيفاً من النار والبارود، فارتبكت الجموع مرة أخرى ووجدها العدو فرصة سانحة فشدد النكير، وفجأة وصلت المهزلة إلى آخر مراحلها إذ انطلقت مدفعيتنا من الخلف وبدل أن تصب نيرانها على اليهود المختبئين في المستعمرة، أصابت المجاهدين الزاحفين حولها، وتسبب هذا الخطأ الشنيع في قتل عدد كبير، وكان طبيعياً أن يحل الذعر وتنهار الروح المعنوية وتتوقف المعركة عند هذه النهاية الدامية، وتفتح الجنة أبوابها لتستقبل سبعين ضيفاً جديداً من خيرة شباب مصر، وتستعد مستشفيات (غزة) و (القاهرة) لتستقبل خمسين جريحاً من جرحى هذه المعركة.

وكان ممن جرح فيها اليوزباشي البطل «معروف الحضري» فحمله الإخوان من داخل المستعمرة، حيث رحل للعلاج في القاهرة، وقبل أن يتماثل للشفاء عاد ليواصل جهاده ويلعب دوراً هاماً على مسرح الحرب.

ولا أنتهي من الحديث عن هذه المعركة بالذات دون أن أسجل خطأ فاحشاً وقع فيه المسؤولون عنها، ذلك أنهم تركوا الشهداء والجرحى حول المستعمرة دون أن يعملوا على نقلهم، مما أثر تأثيراً بعيداً في نفوس المجاهدين، ولكي أصور فداحة هذا الخطأ يكفي أن أقول أن جثث الشهداء الأبرار ظلت ملقاة حول المستعمرة أكثر من شهر حتى استطاع

كاتب هذه السطور ـ بمعونة نفر من إخوانهم نقلهم حين أعلنت الهدنة في ١٨ يونيو.

انتهت معركة (كفار ديروم) على هذه الصورة، ولم يكن أحمد عبد العزيز من شهودها. إذ كان يتلقى أنباءها أولاً بأول من مقر قيادته في (خان يونس)، وحين تلقى هذا النبأ جزع جزعاً شديداً. وألم لفقد هذا العدد الضخم من خيرة رجاله دون أن يحقق أدنى نتيجة فصمم على أن يوقع باليهود ضربة قاتلة وما كان إلا يومان حتى واتته الفرصة ولم يضيعها ولقن اليهود درساً مراً وأعاد لقوته روحها المعنوية التي كادت أن تتلاشى بعد هزيمتها في (كفار ديروم).

ضرب المجاهدون حصاراً محكماً حول المستعمرة، وفي اليوم التالي للمعركة حاول العدو تحطيم هذا الحصار وإدخال قافلة كبيرة محملة بالجنود والعتاد، وكانت هي الفرصة التي ينتظرها أحمد عبد العزيز ويسيل لها لعابه فنظم لها (كميناً) محكماً، وحشد مدافعه على سفوح التلال المشرفة على الطريق، وحين دخلت في الدائرة التي رسمها، أمر اليوزباشي «حسن فهمي» قائد مدفعيته فانطلقت المدافع من أبعاد قريبة، وحاول اليهود الدفاع عن أنفسهم بادىء الأمر، ولكنهم وجدوا أنفسهم محصورين داخل حلقة فولاذية، فاختاروا أهون الضررين وقذفوا أنفسهم في المصفحات وحاولوا النجاة بارواحهم والفرار إلى مستعمرة (كفار ديروم).

وكانت هذه خطوة محسوباً حسابها في الخطة، إذ كان الأخ المجاهد «علي صديق» يقود فصيلة من المشاة مختبئة بعناية وراء التلال القريبة، فلم يكد اليهود ينزلون من المصفحات ويتحركون تجاه المستعمرة، حتى انطلقت الرشاشات من كل صوب فحصدتهم حصداً ولم

ينج منهم أحد.

وحاول حماة المستعمرة نجدة إخوانهم، وتركهم الإخوان يغادرون الأسلاك الشائكة ويبتعدون عنها ثم بدأوا يطلقون عليهم النار من «أوكار» معدة بعناية حتى سقط منهم عدد كبير، وتراجع الباقون إلى المستعمرة، وسكتت المدفعية، وأطبقت الرشاشات أفواهها الملتهبة، وأخذ المجاهدون يحصون ما غنموه، فإذا هم أمام خمس عشرة مصفحة ضخمة مشحونة بأحدث طراز من الأسلحة والذخائر ومواد التموين ولأول مرة تعلو وجهوهم ابتسامات الفرح بعد هزيمة الأمس، حين فتحوا إحدى المصفحات فوجدوها مليئة بالدجاج والطيور في مختلف الأنواع والأحجام.

وكان نصراً رائعاً ردّ لهذه الكتيبة المجاهدة اعتبارها، وعوض لها خسارتها، وبعد هذه المعركة تغير الموقف واقتنع أحمد عبد العزيز بالنظرة الأولى، وهي أن مهاجمة المستعمرات دون أن يكون معه عدد من الدبابات الثقيلة، إن هو إلا ضرب من الانتحار، فأخذ يستخدم (تكتيكات) العصابات ويضرب المستعمرات بمدفعيته دون أن يهاجمها، ويعترض طريق القوافل المصفحة ويبيدها عن آخرها، حتى أزعج اليهود إزعاجاً شديداً وحرم عليهم التجول في صحراء النقب وكان مقدراً لهذه الحركة أن تحرز نجاحاً رائعاً لولا ما جدّ على الموقف الحربي من أحداث وتطورات.

لقد أشرت إلى قيامي بنقل جثث شهداء الإخوان في كفار ديروم، وهذه القصة لا تخلو من الطرافة على الرغم من كآبة المناسبة وجو الحرب المقبض في ذلك الحين، ففي صبيحة يوم ١٨ يونيو ظهر أحد جنود «الهاجاناه» من كفار ديروم وهو يحمل راية بيضاء وتقدم نحو مواقع

المراقبة التابعة لنا، وقد أبلغني قائد الموقع بأمره لاسلكياً وطلب الإذن باستقباله لمعرفة ما لديه فأذنت له، وحين وصل أبلغ رجالنا أنه يحمل رسالة شفوية من قائد المستعمرة مفادها أنه يرغب في الدخول معنا في بحث لإخلاء جثث الإخوان من حول المستعمرة مقابل «شروط معينة» وأن قائده مستعد لمقابلة أي مسؤول منا سواء في منطقتنا أو في منطقته لبحث هذا الموضوع الإنساني، ولما بلغني الخبر وافقت على الفور على مقابلة قائد المستعمرة وعرضت أن يكون اللقاء عند مستعمرته إذا لم يكن لديهم مانع، وتركت لقائد موقعنا أن يحدد مع الرسول بقية التفاصيل التي تتعلق بالوقت والمكان، ولم تكن لديهم أي شروط للقاء سوى ألا نحمل معنا أية أسلحة غير الأسلحة الشخصية التي لا تتعدى المسدسات.

والواقع أنني لم أدرك حقيقة المخاطرة التي انطوى عليها ذهابنا للمستعمرة دون أسلحة إلا بعد أن انتهى هذا الاجتماع الطريف، ربما لأنني كنت مشوقاً لرؤية هذا الحصن القاتل من قريب، وربما للتعرف على غريمنا في الجهة المقابلة في جو عادي بعد أن ظل اتصالنا به بواسطة القنابل والرشاشات! على أن أهم ما في الموضوع كان في الحقيقة نقل جثث إخواننا الأعزاء ودفنهم دفناً لائقاً بعد مرور أسابيع على استشهادهم، وفعلاً توجهت في الموعد المحدد ومعي أربعة من ضباطنا أحدهم يحسن اللغة الألمانية بعد أن علمنا أن قائد المستعمرة من أصل ألماني، والواقع أننا لم نحتج للترجمة حيث أننا وجدنا أكثر رجال الوفد اليهودي يحسنون اللغة العربية، ومع أننا احترمنا وعدنا بعدم أخذ أسلحة معنا سوى المسدسات إلا أننا لم ننس أن نحرك بطارية مدافع هاون ١٠٨ مم وعدداً من المصفحات إلى أماكن قريبة على سبيل الاحتياط فيما إذا تحرك الغدر اليهودي التقليدي ووجدنا أنفسنا مضطرين للدفاع عن حياتنا.

كان أول سؤال طرحه الضابط اليهودي هو عن مصير بعض الجنود

اليهود الذين وقعوا بين أيدينا خلال الاشتباكات السابقة مع القوافل المصفحة، وكان جوابي أنه لا يوجد لدينا أسرى وإنما وجدنا فعلاً بعض القتلى في داخل السيارات أو على أرض المعركة وأننا قد نقلناهم ودفناهم بصورة عادية، وهنا زعم اليهودي أننا قد أخذناهم أحياء ثم قتلناهم، وكاد هذا الاتهام الوقح وردي العنيف عليه أن ينهي البحث لولا أنه تصنع الهدوء وعرض أن نضع على القبور اليهودية «نجمة داوود» وهو شعار إسرائيل ولكنني رفضت هذا الطلب وعرضت أن نضع عليهم علامات مميزة حتى يمكن التعرف عليهم ونقلهم في نهاية الحرب فوافق على هذا العرض، وكان مطلبه الثاني هو السماح لقافلة تموين بالوصول إلى المستعمرة مقابل السماح لنا بنقل الجثث فرفضت هذا الطلب فوراً باعتباره يخرج عن مهمتي وعن الطبيعة «الإنسانية» المحضة التي جئت من أجلها، فلم يطرق هذا الموضوع مرة أخرى، ويبدو أن سكان المستعمرة كانوا لا يقلون عنا حرصاً على نقل الجثث من أرض المعركة مخافة أن تسبب لهم الأمراض فوافقوا على مطلبنا على أن ننقلهم دفعة واحدة في وقت معين، وعلى أن يكون الأفراد الذين ستوكل إليهم هذه المهمة غير مسلحين. وفي بعض اللحظات أدرك اليهودي أنني أكثر من النظر في المستعمرة وما يحيط بها من أسلاك وأبراج وكأنه أدرك ما يدور في خاطري فلفت انتباهي بأدب قائلاً: «ألا تعتقد أن المنظر في الجهة العكسية أجمل وأفسح» وخلال الحديث قدم لي قائد المستعمرة أحد مرافقيه الضباط وهو من أصل روسي واسمه «آصف» قائلاً: إن هذا الضابط هو الذي حاول قبل بضعة أيام إختراق الحصار على رأس فصيل من هاجناه ولكن نيران رشاشاتنا ردته فاشلاً، فقلت أن وجوده معنا الآن يدل على أنه محظوظ فعلاً ونصحته بألا يحاول اللعب بالنار مرة أخرى!! وأذكر أن الحديث بعد ذلك تحول إلى مبارزة كلامية وتهديدات مبطنة ومحاولات مستترة لكسر

المعنويات وإثارة المخاوف، وفي ختام الجلسة قال له أحد الإخوان مازحاً «إنكم يهود حقاً فلم تقدموا لنا شاياً ولا قهوة ولو جئتم عندنا لأكرمناكم» فرد اليهودي قائلاً «أنكم تحاصروننا منذ بضعة شهور فمن أين لنا القهوة والشاي؟ ثم أن مدافعكم أمس دمرت مطبخ المستعمرة وأتلفت الموقد الوحيد لدينا» وكان تعليقي على هذه المحاورة المازحة أن هذه الاخبار هي عندي أهم من القهوة والشاي!! وفي العودة من كفار ديروم انتابني شعور غريب وأنا أعبر عن نفس الأرض التي عبرتها قبل شهور زحفاً على البطن والرصاص يلفح وجهي كأنه صفير الأبالسة! والواقع أننا لم نحاول العودة إلى «كفار ديروم» حرباً وإنما عدنا إليها في منتصف يوليو بعد أن أفلحت خطة الحصار في إنهاك قوتها واقتنعت القيادة الإسرائيلية بسحب وحدة الهجاناه من هناك.

وفي اليوم التالي أرسلنا بضع سيارات لنقل جثث الشهداء بعد أن أعددنا لهم مدافن في (مقبرة الإخوان المسلمين القائمة على أحد التلال المشرفة على قرية دير البلح) وتم الدفن فعلاً في حفل رسمي حضره وجهاء البلدة والقرى المجاورة.

بعد هذه الحوادث بدأت القوة المصرية النظامية تزحف على فلسطين بقيادة اللواء «أحمد محمد علي المواوي» واحتلت في زحفها السريع كثيراً من المدن الساحلية، ثم توقفت في «غزة» لتنسق عملياتها المقبلة، وكان مفروضاً أن يبدأ التنسيق بتوحيد القيادة في الجبهة المصرية، ويبدأ التعاون الفعلي بين قوات الجيش وقوات المتطوعين وكان من رأي «المواوي» أن يخضع أحمد عبد العزيز لقيادة الجيش العامة. تنسيقاً للعمل وتوحيداً للجهد وكان يريد أن يجعل من كتيبته (قوة ضاربة) ترافق الجيش في عملياته.

غير أن أحمد عبد العزيز رفض هذه الفكرة وأصر على أن يستقل بالعمل بحجة أنه يقود جماعات من المتطوعين لا يلتزمون بالأوضاع العسكرية التي يلتزم بها الجيش النظامي.

وأخيراً رأى «المواوي» حسماً للنزاع أن يتولى أحمد عبد العزيز قيادة منطقة (بئر السبع) على ألا يتجاوزها شمالاً ـ فيدافع بذلك عن مفتاح فلسطين الشرقي، ويوزع قوات العدو بين جبهتين واسعتين، ويحمي ميمنة الجيش المصري من خطر الإلتفاف.

وقبل أحمد عبد العزيز هذا الرأي فجمع قواته واخترق بهم صحراء النقب ماراً بمستعمرة (العمارة) حيث ضربها بمدفعيته في ١٧ مايو، ودخل بئر السبع حيث قابله السكان مقابلة رائعة. ولم يكد يستقر بها حتى بدأ أول حركاته بضرب مستعمرة (بيت إيشل) الحصينة ثم شرع في توزيع قوته على هذه المنطقة. فأرسل جزءاً بقيادة البكباشي «زكريا الورداني» ليحتل (العوجة) و (العسلوج) العربيتين. وأبقى جزءاً آخر بقيادة اليوزباشي «محمود عبده» ليتولى الدفاع عن مدينة (بئر السبع) ومنطقتها.

أما هو فقد أتخذ قيادته في المدينة وأخذ يرسم الخطط لمهاجمة اليهود في كل مكان من الصحراء. ويبدا أن الخلاف فقد انتهى عند هذا الحد وحل محله التعاون والانسجام لولا أن جاء وفد من مدينة (الخليل) في ١٩ مايو وقابل أحمد عبد العزيز والتمس منه إرسال جزء من قواته للاشتراك مع الجيش الأردني في الدفاع عن الخليل وبيت لحم. وهنا نجد أحمد عبد العزيز يوافق على توزيع قوته. ويقرر الزحف إلى الخليل. غير عابىء بالتعليمات التي اتفق عليها مع القائد العام وغير عابىء بما قد تجره هذه الخطوة من مشاكل سياسية إذ أن هذه المناطق كانت تدخل ضمن الجبهة الأردنية حسب الخطة العربية العامة.

وفي يوم ٢٠ مايو زحف أحمد عبد العزيز إلى الخليل على رأس قوة صغيرة تاركاً مهمة الدفاع عن مدينة (بئر السبع) ومنطقتها لليوزباشي «محمود عبده» وفصائل الإخوان المسلمين التي تعمل تحت قيادته ولندع أحمد عبد العزيز يواصل زحفه إلى الخليل ولنقف نحن قليلاً مع حماة بئر السبع حيث نشهد طرفاً من أعمالهم الرائعة.

قرر اليوزباشي «محمود عبده» محاصرة المستعمرات وإنهاك قوى العدو بالغارات المتواصلة على مواصلاته ومراكزه. وأخذ يبعث بالدوريات المسلحة لتجوب الصحراء وتعترض طرق القوافل وترغمهما على الفرار تاركة خلفها الكثير من الأسلحة ومعدات الحرب.

ولقد حاول اليهود في ٧ مايو توصيل بعض المؤن إلى مستعمراتهم المحصورة. وكان الطريق الذي يسلكونه يمر فوق جسر مقام على أحد الوديان العميقة. فقرر الإخوان نسف هذا الجسر حين مرور القافلة فوقه. وفعلاً قامت قوة من بئر السبع بقيادة المجاهد «علي صديق» وبثت الألغام تحت الجسر. واختبأت داخل الشعاب والمنحنيات القريبة ولم يطل بها الانتظار إذ تقدمت قافلة العدو وهي جاهلة تماماً ما ينتظرها.

فما أن توسطت الجسر حتى انفجرت الألغام الهائلة وتطايرت أجزاء الجسر في الهواء. وانقلبت مصفحات العدو في الوادي السحيق. وانتهز الإخوان الفرصة فقاموا يقتلون كل من تظهر رأسه تحت الردم.

وأسفرت المعركة عن قتل عدد من جنود الأعداء، وأسر عدد آخر من المصفحات، أطلق الإخوان على أكبرها اسم قائدهم (محمود عبده) وكما أرهب محمود عبده (الضابط) اليهود بخططه وكمائنه، فقد أرهبت محمود عبده (المصفحة) اليهود بعد ذلك حين كانت تشترك عملياً في جميع الدوريات الناجحة!

أما أحمد عبد العزيز والإخوان الذين معه فما كادوا يدخلون مدينة (الخليل) حتى استقبلهم السكان في مظاهرات حماسية واجتمع الناس بهم في مسجد (الخليل) إبراهيم حيث وقف الأعيان ورؤوس القبائل يرحبون بمقدمهم ويبدون سرورهم البالغ لدخول هذا النوع المؤمن من المجاهدين إلى ديارهم. وما كاد الجمع ينفض حتى ركب أحمد عبد العزيز في دورية إلى مدينة بيت لحم.

ولقد بدأ النزاع بين الأردنيين والمتطوعين في اليوم الأول إذ كانت قوة من الجيش الأردني تحتل المدينة وتتخذ من مركز البوليس فيها قيادة لقوات الاحتلال. وكانت هذه القوة ترفع علمها على سارية المركز، وأراد المتطوعون أن يرفعوا علمهم فمنعهم الأردنيون بحجة أن هذه المدينة تدخل ضمن جبهتهم، ويبدأ الصراع بين الفريقين، وانقسم أهل المدينة إلى معسكرين، هذا يشايع المصريين، وذاك يشايع الأردنيين، ووجدتها عناصر الفتن فرصاً سانحة لبذر بذور الجفاء، واستغلها الجنرال «كلوب» أسوأ استغلال فأخذ يوغر صدور المسؤولين في حكومة شرقي الأردن ويتخذ من هذا الموقف دليلاً على نوايا مصر إزاء جارتها العربية. قرر أحمد عبد العزيز تخفيف القوات التي تركها في العوجة والعسلوج وبئر السبع وسحب معظمها إلى الخليل وبيت لحم حيث أخذ ينظم خطط الدفاع عن المدينتين متخذاً مقر قيادته في خندف (وندسور) في أحد أحياء مدينة (بيت لحم) الساحرة.

الدفاع عن بيت لحم

كنت التقي ببعض رؤساء الطوائف المسيحية واسألهم عن نظرتهم للإخوان وحركتهم، وكانت نفسي ترتاح كثيراً حين استمع إلى إجاباتهم وكلها مزيج من الحب والاطمئنان، وكيف لا تكون كذلك وهم يرون

بأعينهم مقدار الجهود التي يبذلها الإخوان دفاعاً عن عرب فلسطين لا يفرقون في ذلك بين عربي ومسيحي، ولقد ظل الإخوان في مدينتهم عاماً كاملاً دون أن تقع حادثة واحدة من تلك الحوادث التي تقع عادة بين الجنود والمدنيين من أهل البلاد.

كان الجيش العربي الأردني يحتل مدينة «بيت لحم» قبل دخول أحمد عبد العزيز، وكان يتخذ مقر قيادته في (مار الياس) الواقع شمالي المدينة، وكان هذا الجيش مشتبكاً مع مستعمرة (رامات راحيل) الواقعة على طريق بيت لحم ـ القدس، غير أنه لم يتمكن من اقتحامها وبقيت (رامات راحيل) كما كانت دائماً مصدر خطر كبير.

فهي تقع على ربوة عالية، وتتحكم في الطريق الرئيسي الذي يصل بيت لحم بالقدس. فوق أن المدافعين عنها يمكنهم مراقبة القوات الموجودة ببيت لحم وإحصاء حركاتها وسكناتها، لذلك كله نرى أحمد عبد العزيز يتجه إلى اقتحامها منذ أن هبط أرض المدينة.

ولقد بدأ في ٢٤ مايو فأرسل قوة من جنود الإخوان بقيادة (لبيب الترجمان) لتقوم باستكشاف المستعمرة وكتابة تقرير وافٍ عن تحصيناتها، وقامت الدورية بعملها خير قيام ونجحت في التسلل إلى مكان قريب من المستعمرة حيث أخذت تراقب تحصيناتها، ومواقع الدفاع عنها، وظلت في موضعها يوماً كاملاً حتى فطن اليهود لوجودها وأخذوا يطلقون عليها النار من قمم الأبراج، واشتبكت معها الدورية غير أن قائدها أمر بالانسحاب إذ كان هدفه هو «الاستكشاف» فحسب وليس الدخول في معركة مباشرة. وحين وصل إلى بيت لحم عكف على كتابة تقريره وضمنه ما وصل إليه من معلومات عن المستعمرة ونقاط القوة والضعف في الدفاع عنها وقدمه إلى أحمد عبد العزيز الذي جعله أساساً لخطته المقبلة.

كانت الخطة الجديدة لا تختلف كثيراً عن الخطة التي اتبعت في (كفار ديروم) إذ تقرر أن تبدأ المدفعية بقصف الحصون والأبراج ثم يزحف المشاة تحت غلالة من نيران مدفعية (الهاون) وقنابلها الدخانية، ثم تتقدم جماعات الفدائيين من حملة ألغام (البنجالور) لنسف العوائق السلكية وحقول الألغام.

غير أن هذه الخطة نجحت في إحتلال (رامات راحيل) وكان سر نجاحها أن الأرض المحيطة بالمستعمرة كانت جبلية مليئة بالمنحنيات والفجوات، حين كانت الأرض المحيطة بكفار ديروم سهلاً منبسطاً يمتد إلى مسافات شاسعة.

وفي مساء يوم ٢٦ مايو كان كل شيء هادئاً حول مستعمرة (رامات راحيل) وكان جنود (الهاجاناه) فيها ينامون ملء أجفانهم مطمئنين إلى حصونهم القوية، حتى انتصف الليل - أو كاد - وبدأت أشباح كثيرة تنطلق في مركز رئاسة أحمد عبد العزيز حيث يبتلعها الظلام الكثيف، ثم تلتقي في سكون في مناطق مختلفة في الجبال المحيطة بالمستعمرة، ثم انطلقت إشارة ضوئية زحف بعدها المجاهدون ثم توقفوا عند نقط معينة تحددت في الخطط المرسومة.

وعندما دقت ساعة الكنيسة الكبيرة دقتين بعد منتصف الليل ارتجت الأرض تحت دوي المدافع، وتمزقت حجب الليل المظلم من وهج القنابل المحرقة التي انقضت كالشهب على المستعمرة الساكنة. ولم تمض إلا دقائق حتى شبت الحرائق في اكشاكها الخشبية وتفجرت حقول الألغام التي لف بها العدو مستعمرته، ثم سكتت المدافع، وأصدر (لبيب الترجمان) أوامره لقوته فبدأت تزحف تحت غلالة كثيفة من قنابل الهاون المتفجرة وقنابل الدخان، وفي لمح البصر اندفع الفدائيون يفجرون

الغامهم تحت الأسلاك الشائكة، ومن ورائهم فصائل الاقتحام تعبر مسرعة لتحتل الأغراض التي خصصت لها.

ويدأ الاشتباك الرهيب عند الخنادق «والدشم» واستمات اليهود في الدفاع عن مستعمرتهم، ولم يضيع الإخوان الوقت فتسلل نفر منهم إلى الأبراج العالية يفجرون تحتها الألغام ويحيلونها أنقاضاً وركاماً، وأثرت هذه الإنفجارات المفاجئة تأثيراً سيئاً في نفوس المدافعين عن المستعمرة، وأسقط في أيديهم، فبدأوا يجلون عبر ممراتهم السرية إلى مستعمرة (تل بيوت) على مقربة من القدس الجديدة.

وعكف المجاهدون على الخنادق يتمون تطهيرها وحين كان آخر يهودي يغادر المستعمرة هارباً، كان صوت المؤذن يتهادى مع النسيم من أعلى قمة فوق أعلى برج - الله أكبر... الله أكبر... اشهد أن لا إله إلا الله! أشهد أن محمداً رسول الله.

سقطت المستعمرة أمام هذه الخطة وأخذ الإخوان يجوسون خلال أبنيتها وأبراجها فرأوا ما أذهلهم من الخيرات والمؤن المكدسة، إذ كانت هذه المستعمرة هي مركز التموين الذي يشرف على إمداد المستعمرات الواقعة في جنوبي القدس.

وكان عدد القتلى من اليهود في هذه المعركة كبيراً للغاية إذ وجدت تحت الردم ما يزيد على المائتين، عدا ما نجح اليهود في أخذه معهم عند إنسحابهم، أما خسائر الإخوان فلم تتجاوز تسعة من الشهداء والجرحى وشهيداً واحداً من قوة الإخوان الأردنيين، التي كانت ترابط في (صور باهر) بقيادة المجاهد (عبد اللطيف أبو قورة) رئيس الإخوان في عمان.

لم يكن انسحاب اليهود نهائياً من المستعمرة إذ كانوا يبيتون النية لاستردادها وطرد الإخوان منها، فصعدت طائراتهم في اليوم التالي

تستكشف الحالة فيها فلم تجد إلا عدداً قليلاً من المجاهدين، وكان الخطأ الذي يؤخذ على قيادة المتطوعين أنه لم تعزز الإنتصار الذي أحرزته.

ولم توضع الخطة السليمة للمحافظة على المستعمرة، وكان عذر أحمد عبد العزيز في هذا الخطأ أن قوته الصغيرة كانت موزعة في خط طويل يمتد من (العوجة) إلى (بيت لحم) وأن أسلحته وذخائره كانت قليلة تافهة ولقد طالب مراراً بتزويده بالسلاح والذخيرة، غير أن «المواوي» رفض إمداده بها وسبب ذلك ـ كما سمعته من ضباط هذه القوة ـ أن أحمد عبد العزيز تخطى أوامره وتجاوز الحدود التي رسمها له!

وفي اليوم التالي تجمعت قوات يهودية كبيرة من القدس الجديدة ومستعمرات (تل بيوت) و (أرنونة) فطالب الإخوان بتعزيز القوة وإرسال عدد آخر يشترك معهم في الدفاع عن المستعمرة.

لكن القيادة قلبت كفها محتجة بعدم وجود قوات لديها، حتى يوم ٢٨ مايو إذ حسم اليهود المعركة فأغاروا بقوات كبيرة قدرت بخمسة آلاف، تؤيدها المدفعية والعربات المدرعة، واستبسلت القوة الصغيرة من الإخوان في الدفاع على أمل أن تنجدهم القيادة بالقوات اللازمة، وطال بهم الانتظار زمناً طويلاً دون جدوى فقرروا الانسحاب بعد أن دمروها تدميراً تاماً ولم يتركوا فيها بقعة واحدة تصلح للإيواء.

حاصر الإخوان المستعمرة وما جاورها، وتولوا الدفاع عن قرية (صور باهر) العربية. ولقد حدث في أوائل شهر يونيو أن حلقت طائرة يهودية تحمل أسلحة وذخائر. وأرادت إلقاءها على (رامات راحيل) وكان الوقت ليلاً، ورأى الإخوان أن المستعمرة تطلق إشارات حمراء لتدل الطائرة على موضعها، فما كان منهم إلا أن أطلقوا إشارات حمراء

مشابهة، فاختلط الأمر على الطائرة وألقت حمولتها فوق (صور باهر) وكانت صناديق ضخمة مليئة باجزاء المدافع وأنواع الرشاشابت الحديثة والأدوية الثمينة.

أراد اليهود تعزيز النصر الذي أحرزوه في ختام معركة (رامات راحيل) فأرسلوا قوة من جنودهم هاجمت الجيش العربي الأردني في مقر قيادته في (دير مار الياس) واضطرته لإخلائه، وكان هذا الدير يقع على مقربة من (صور باهر) حيث ترابط فصائل من الإخوان فوق أن احتلاله باليهود كان يؤثر تأثيراً بعيداً في موقف القوات المرابطة في (بيت لحم)، فلم يجد الإخوان بداً من معاودة احتلاله، وتقدمت قوة منهم بقيادة المجاهد «حسين حجازي» تعاونه قوة فلسطينية من جيش الجهاد المقدس يقودها المجاهد العربي جاد الله وهاجمت اليهود على غرة واضطرتهم للانسحاب موقعة بهم كثيراً من الخسائر.

وكان هذا النجاح حافزاً على القيام بحركة جديدة، ذلك أن مستعمرة (تل بيوت) دأبت على إطلاق النيران من برجها الضخم وتسبب عن ذلك كثير من الخسائر والأضرار مما اضطر أحمد عبد العزيز إلى إصدار أوامره للأخ المجاهد (حسين حجازي) ليتولى تدمير هذا البرج الخطر.

وفي ليلة ٤ يونيو انطلقت جماعة من بيت لحم وأحيط انطلاقهم بتكتم كبير، حتى أن زملاءهم في القوة لم يعلموا حقيقة المهمة التي سيقومون بها، حتى لمعت برقة خاطفة أضاءت صفحة السماء وأعقبها إنفجار هائل أرتجت له أركان المدينة، وشاهد الناس أحجار البرج الضخم تتناثر في الهواء ثم تتهاوى لتصنع من تراكمها قبراً كبيرةً يضم نخبة من رجال الهاجاناه.

ولقد علقت جريدة (أخبار اليوم) في عددها الصادر في ٥ يونيو تصف هذه العملية الجريئة فقالت بعد كلام طويل«وفي الليل تسلل (حسين) ومعه أربعة جنود... وزحفوا على الأشواك في صور باهر أربعة كيلومترات تحت تهديد الرصاصِ الطائر في الهواء والحيات الزاحفة بين الأحجار.

وقرب الفجر سمعت بيت لحم إنفجاراً مدوياً وتهدمت ثلاثة حصون من (تل بيوت).

وفي الصباح عاد (حسين حجازي) ليتلقى تهنئة قائده... ومعها لقب بطل (تل بيوت)! »

وبينما كان المجاهدون يوجهون ضربات مركزة في كثير من المناطق ويعدون أنفسهم للوثوب على القدس الجديدة إذا بالدول تقبل الهدنة الأولى، وتصدر أوامرها لجيشها بوقف إطلاق النار لمدة أربعة أسابيع تبدأ من ١١ يونيو سنة ١٩٤٨. ولم تكن الهدنة في حقيقتها إلا أسلوباً جديداً ابتكرته هيئة الأمم لمساعدة اليهود وتمكينهم من جلب الأسلحة الثقيلة والذخائر، ولقد كان قبولها من جانب العرب إقراراً بالأمر الواقع واعترافاً فعلياً بقيام إسرائيل.

ولم تقف فائدة الهدنة لليهود عند حد جلب السلاح والعتاد فحسب، ولكنها أيضاً كانت وسيلة لإحتلال المواقع الهامة، إذ أن أغلب المراكز الخطيرة لم يستطع اليهود احتلالها إلا بهجمات غادرة قاموا بها خلال الهدنة، وكانت الحجة دائماً عند هيئة الأمم وعند حكومة إسرائيل، أن أصحاب هذه الحركات الغادرة ليسوا إلا عصابات فوضوية متطرفة.

وكانت الدول العربية تصدق هذا الزعم، وتشفق على هيبتها وكرامتها أن تجاري عصابات فوضوية، وهي الدول المحترمة ذات المركز

والسلطان وعن هذا الطريق الوضيع أحتل اليهود أغلب المناطق التي وقعت في أيديهم. ولقد نجح الإخوان في تكبيل المستعمرات اليهودية حول «بئر السبع» عن طريق الدوريات الكثيرة التي كانوا يبعثون بها، وعن طريق المواقع الحاكمة التي احتلوها على طرق المواصلات. فحاول اليهود اغتنام الهدنة ـ كعادتهم دائماً ـ وهاجموا قرية (العسلوج) حيث كانت ترابط قوة صغيرة يقودها اليوزباشي (عبد المنعم عبد الرؤوف).

ولم تصمد القوة الصغيرة طويلاً، أمام هذا الهجوم المباغت فتسرب أفرادها إلى الصحراء مذعورين، حين رأوا أنفسهم أمام قوات كبيرة من العدو تؤيدها حشود من المدرعات والمدفعية، ومما يذكر في هذه المعركة، أن ثلاثة من الإخوان هم المجاهدون رشاد زكي ومحمود حامد ماهر وعبد الله البتانوني من إخوان القاهرة، كان القائد وكل إليهم مهمة حراسة مخازن الذخيرة، وكانت المخازن مليئة بالأسلحة والذخائر ـ إذ كانت هذه القرية هي مستودع الذخيرة الذي يمون المنطقة ـ وأفاق المجاهدون على أنفسهم فوجدوا العدو في داخل المواقع، وسمعوه يحاول احتلال المخازن فأخذوا يتدبرون موقفهم. إنها كارثة كبرى أن يضع العدو يده على هذا السلاح الكثير في وقت يحتاج فيه إلى طلقة الذخيرة الواحدة. لا بد من عمل شيء ما، ولم يدم تفكيرهم كثيراً إذ قرروا نسف المخازن حين يدخلها العدو، واختبأوا خلف كومة من الصناديق حتى امتلأ المخزن بالجنود اليهود، ثم أشعلوا النار في صناديق المفرقعات. وفي لحظة واحدة استحال البناء الضخم إلى كومة من الإنقاض، ومات الأبطال الثلاثة بعد أن ثأروا لأنفسهم وجروا العدو الغادر إلى كارثة مدمرة.

كان احتلال هذا الموقع يعني قطع مواصلات الجيش المصري في الجبهة الشرقية، مما دعا القيادة العامة إلى تنظيم خطة لاسترداده، وفي

اليوم التالي تحركت قوة كبيرة من الجيش النظامي تعاونها المدفعية والسيارات المدرعة ولكنها فشلت في الاقتراب من القرية، لاستماتة العدو في الدفاع عنها.

فاستنجدت القيادة العامة بالبكباشي أحمد عبد العزيز الذي وكل الأمر لليوزباشي محمود عبده قائد الإخوان في «صور باهر» ليتولى إرسال قوة من رجاله تسترد هذه المواقع، وأترك وصف النتيجة لسعادة اللواء أحمد محمد علي المواوي (بك) القائد العام للقوات وهي مقتبسة من شهادة أدلى بها بين يدي القضاء في إحدى قضايا الإخوان المسلمين التي عرفت باسم (قضية سيارة الجيب).

وكانت إجابته رداً على سؤال وجهه إليه الدفاع في القضية المذكورة.

ـ هل كلفتم المتطوعين بعمل عسكري خاص عند مهاجمتكم العسلوج؟

ـ نعم. العسلوج بلد تقع على الطريق الشرقي واستولى عليها اليهود في أول يوم الهدنة، ولهذا البلد أهمية كبرى بالنسبة لخطوط المواصلات وكانت رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذا البلد، حتى أن رئيس هيئة أركان الحرب أرسل إلي إشارة هامة يقول فيها (لا بد من استرجاع العسلوج بأي ثمن) فكانت الخطة التي رسمتها لاسترجاع هذا البلد هي الهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين فكلفت المرحوم أحمد عبد العزيز بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين وكانت صغيرة بقيادة ملازم وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الأسلحة، ولكن القوة الصغيرة هي التي تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها.

ولما سأله المحامون عن السبب في تغلب القوة الصغيرة أجاب: ـ

القوة الغربية كانت من الرديف وضعفت روحهم المعنويه بالرغم من وجود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليست مسألة ضباط، المسألة مسألة روح، إذا كانت الروح طيبة يمكن للضابط أن يعمل ما يشاء ولكن إذا كانت الروح ميتة لا يمكن للضابط أن يعمل شيئاً، لا بد من وجود الروح المعنوية، وهكذا تحررت (عسلوج) وكان تحريرها على يد قوة من الإخوان بقيادة ضابط ملازم، هو الأخ المجاهد «يحيى عبد الحليم» من إخوان القاهرة.

ورغم هذا النجاح الباهر الذي أحرزه الإخوان، وعظم الخسائر التي مني بها العدو، كانت خسائرها صغيرة جداً لا تتجاوز عدداً من الجرحى من بينهم قائد القوة المهاجمة المجاهد (عبد الحليم).

بدأ أحمد عبد العزيز خلال الهدنة يجمع قواته المبعثرة ويحشدها في (بيت لحم)، ويبدو أن القيادة العامة المصرية رضخت للأمر الواقع فأمدته ببعض الأسلحة والذخيرة وزودته بعدد من الجنود، فأخذ يحصن نفسه داخل المدينة، وأقام خطاً دفاعياً حولها يمتد من (صور باهر) إلى (كرمزان) ماراً بقرى (مار الياس) و (بيت صفافا) و (شرفات) و (الولجة)، إلى جانب ما أثبته الإخوان من بطولة ومقدرة في الأعمال الهجومية، فإن مقدرتهم على الدفاع والتحصين كانت مثار إعجاب الضباط والمراقبين، وكانت مواقع (صور باهر) الحصينة وما أقيم بها من خنادق (ودشم) نحتت ببراعة في الأرض الصخرية الصلبة، تشهد بعظم الجهد الذي بذله الإخوان لتحصين هذه القرية العربية، والاحتفاظ بها حتى آخر مراحل القتال رغم الهجمات المتوالية التي شنها العدو، وحاول فيها احتلالها ليضع القوات المرابطة في بيت لحم والخليل كلها تحت رحمته.

وكانت أولى المحاولات التي قام بها العدو هي إقدامه على محاولة

احتلال مرتفعات (جبل المكبر) في ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨.

يقع جبل المكبر إلى الجنوب الشرقي من القدس القديمة، وهو مرتفع منيع يستطيع من يحتله أن يهيمن على القدس كلها، ويقطع الطريق الرئيسي الذي يصلها بعمان فوق أنه يتحكم في القوات المتطوعة التي ترابط في جنوب القدس، وكان هذا المرتفع إحدى حلقات الدفاع التي يتولاها الإخوان المسلمون المرابطون في قرية (صور باهر).

ولقد كان اليهود يؤملون في مهاجمة الإخوان على غرة، فبدأت جموعهم تتحرك في الساعة الثامنة من مساء ١٨ أغسطس من أحياء القدس اليهودية ومن المستعمرات الواقعة في جنوبيها، ثم بدأوا يزحفون في سكون وهدوء غير أن نقط المراقبة الأمامية فطنت لهذه الحركة وأرسلت تخبر قائد (صور باهر) بهذا النبأ وتطلب توجيهاته السريعة، وبدأ (محمود عبده) يفكر في الموقف ويضع خطته على أساس الأنباء التي تصل إليه تباعاً، ولم يكن يعنيه وقف الزحف اليهودي والاحتفاظ بالموقع، ولكنه كان يريد إبادة هذه القوات وتلقين اليهود درساً قاسياً يحفظونه عن الإخوان وشدتهم في القتال.

وحين بدأ يتحرك بقوته من (صور باهر) كانت عواصف الرصاص تثور في قمة الجبل وكان التليفون يخبره أن طلائع العدو قد اشتبكت مع مواقع الإخوان الأمامية.

وما أن وصل حتى كانت المعركة في أعنف مراحلها، وكان واضحاً أن العدو يستميت في احتلال هذا الموقع ويقذف كتلاً هائلة من قواته لتحقيق الغرض في أقصر وقت ممكن، وكلما تكسرت موجة تحت أقدام الأبطال المؤمنين تدفقت في أثرها موجة أخرى.

ولا عجب في ذلك فقد كان طريق الإمداد مفتوحاً على مصراعيه،

والقدس اليهودية وفيها عشرات الألوف على مرمى حجر من أرض المعركة. فصمم (محمود عبده) على التصرف السريع وكانت أولى الخطوات التي أقدم عليها أن أمر فصيلة من جنوده فدارت إلى اليمين واقتربت من الطريق الذي يستخدمه العدو في تحركاته وأخذت تطلق النار على القوافل التي تتحرك صوب المعركة، وفي نفس اللحظة كان يصدر أمره للمدافعين عن الجبل بالانسحاب إلى الوراء فظن العدو أن المقاومة قد انتهت، فتقدم ليحتل المواقع التي أخلاهـا المجاهدون وفي نفس الوقت كانت أفواه المدافع تنفتح من كل صوب وتقذف كتلاً من اللهب على قمة الجبل، ولم يكن لليهود ما يحتمون فيه، فقتل منهم عدد كبير، فبدأوا يتراجعون في ذعر وارتباك.

تقدمت بعد ذلك قوات من المشاة وحاصرت قمة الجبل، واشتبكت مع العدو في قتال عنيف، وحاول اليهود التراجع إلى القدس بعدما يئسوا من وصول النجدات المطلوبة، ولكن القوة الخلفية فاجأتهم بالنيران الحامية. وبينما كانت المعركة تسير على هذا النحو المرسوم إذ أصيب اليوزباشي (محمود عبده) بطلقات طائشة فحمله مرافقوه للخلف دون أن يفطن أحد، وبعثوا برسالة مستعجلة لقيادة بيت لحم يخبرونها فيها بإصابة القائد، ولم تمض إلا لحظات حتى جاء الأخ المجاهد (لبيب الترجمان) ليتولى قيادة المعركة في مرحلتها الختامية.

أخذ اليهود يتسللون فرادى إلى المنطقة الحرام ودار الحكومة حيث يوجد بعض مراقبي الهدنة ورجال هيئة الأمم وفطن الإخوان للأمر فتابعوهم إلى هناك، وضربوا حصاراً محكماً حول دار الحكومة وهددوا بتدميرهم، مما اضطر رجال هيئة الأمم إلى الإستغاثة بالبكباشي (أحمد عبد العزيز) الذي جاء لتوه، واستجاب لرغبة مراقبي الهدنة بوقف إطلاق النار، ولكنه أصر على أحتلال مرتفع يدعى (رأس الأحرش) يشرف على

دار الحكومة والحي اليهودي بالقدس. وبذلك أصبح الإخوان خطراً شديداً يهدد القدس الجديدة واتخذوا من هذا الموقع نقطة يراقبون منها حركات اليهود وسكناتهم.

وحاول اليهود في اليوم التالي القيام بهجوم كبير على نفس هذه المواقع أملاً في احتلالها ورد اعتبارهم بعد هزيمة الأمس، ولكن يقظة الإخوان واستماتتهم في الدفاع وقفت سداً منيعاً دون وصولهم لهذه الغاية، مما اضطرهم إلى التراجع في ذلة وانكسار؛ وكانت خسائرهم في هذه المرحلة تتجاوز المائتين حسب تقدير مراقبي الهدنة عدا فقدانهم لجميع الأسلحة والمعدات التي دفعوا بها في هذه المعارك.

بدأت بعد هذه الفترة مرحلة مفاوضات طويلة لتخطيط حدود المنطقة الحرام وكان أحمد عبد العزيز فخوراً بجنود الإخوان وبما أحرزوه من انتصار رائع، مما جعله يملي إرادته على اليهود ويضطرهم للتخلي عن منطقة واسعة مهدداً باحتلالها بالقوة، وكانت المفاوضات تدور في مقر قيادة الجيش العربي بالقدس ويحضرها الكولونيل (عبد الله التل) القائد العربي في المدينة المقدسة، وحين انتهت المفاوضات في ليلة ٢٢ أغسطس أراد أحمد عبد العزيز أن يحمل نتائجها إلى القيادة المصرية العامة في (المجدل) وأصر على أن يذهب في ليلته، وكانت المعارك في ذلك الحين تدور بشدة على الطريق المؤدي للمجدل مما جعل ضباطه يلحون عليه في التريث وعدم الذهاب، ولكنه قطع هذه المحاولات حين قفز إلى سيارته (الجيب) وهو يردد: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتبَ الله لنا﴾ وانطلقت السيارة في طريق المجدل ولم يكن معه إلا اليوزباشي (الورداني) واليوزباشي (صلاح سالم) من ضباط رئاسة المواوي، وسائق سيارته.

وكانت «عراق المنشية» في ذلك الحين تستهدف لهجمات متواصلة مما دعا القيادة العامة إلى منع السير على هذا الطريق بالليل.

وما أن وصلت السيارة إلى مواقع عراق المنشية حتى صاح الحارس يأمر، السيارة القادمة بالوقوف، ولكن سوء الحظ تدخل هذه المرة، إذ ضاع صوت الحارس في ضجيج السيارة فأطلقت نقطة المراقبة النار، وتدخل سوء الحظ مرة أخرى حين أصابت أول رصاصة البكباشي (أحمد عبد العزيز) في جنبه، وحمله مرافقوه إلى عيادة طبيب بمدينة (الفالوجا) ولكن قضاء الله سبقهم إليه، فصعدت روحه إلى بارئها.

ولم يكد الخبر يذاع على الناس حتى عم الوجوم الجميع، وبكاه كل فرد في الجيش، وكان أكثر الناس حزناً عليه وألماً لفراقه أولئك الجنود الذين زاملوه في الميدان وقاسموه مرارة الهزيمة ونشوة النصر، ونعته وكالات الأنباء ومحطات الإذاعة العالمية وأسف لفقده الحلفاء والأعداء، ونعوه للناس بمزيد الإعجاب والإكبار، وبموت أحمد عبد العزيز طويت صفحة من أمجد صفحاتنا العسكرية، وأفل نجم لامع كان في سمع الناس وبصرهم، وخلا بذلك مكانه في الميدان، وصعدت روحه الطاهرة لتحتل مكاناً مرموقاً في ملكوت الله وجنته ورفع اسمه من كشوف الجيش المصري ليحفظ في سجل التاريخ، كأبرز شخصية عسكرية أنجبته حرب فلسطين.

مات أحمد عبد العزيز فعينت القيادة العامة ضابطاً جديداً لقيادة (بيت لحم) هو البكباشي «محمد فكري» من سلاح المدفعية لكنه عاد بعد أيام قلائل، حين لم يستطع التفاهم مع ضابط المتطوعين، فرأت القيادة أن تبعث البكباشي «عبد الجواد طبالة» قائد كتيبة المتطوعين الثانية. والتي كانت تتولى محاصرة المستعمرات وحراسة بعض النقط على خطوط

المواصلات.

ولقد أتمت هذه الكتيبة تدريبها في معسكر (الهاكستب) بعد سفر الكتيبة الأولى، وكانت هذه الكتيبة تحوي عناصر طيبة من الإخوان كان على رأسهم الأخ المجاهد (صلاح البنا) الذي كان له أبعد الأثر في تنظيمها وتدريبها، وكان مقرراً لهذه الكتيبة أن تحتل مدينة (بئر السبع) وتدافع عنها غير أن قائدها أشار باستحالة تنفيذ ذلك، لنقص مرتبها في الأسلحة، وخلوها تماماً من مدفعية الميدان والمدفعية المضادة للدبابات وأخيراً أستقر الرأي على أن تحاصر بعض المستعمرات الواقعة في منطقة غزة - رفح فأبلت في القيام بهذا الدور أحسن البلاء.

وظلت على هذا الوضع حتى موت أحمد عبد العزيز وحين استدعت الحالة ذهاب قائدها لتولي القيادة في (بيت لحم) تقرر انتقالها للانضمام لزميلتها (الأولى)، وتكونت من الكتيبتين وممن انضم إليهما من جماعات المناضلين والسودانيين والليبيين القوة التي عرفت باسم (القوة الخفيفة) والتي كان لها الفضل في المحافظة على منطقة الخليل وبيت لحم وتسليمها لقوات شرق الأردن بعد نهاية الحرب وإعلان الهدنة.

وصل القائد الجديد وافتتح نشاطه بالمرور على خطوط الدفاع. وكانت الحالة في المنطقة هادئة نسبياً إلى أن نقض اليهود الهدنة بعد أيام قلائل فاحتلوا منزلاً قريباً يقع في الشقة الحرام واتخذوا منه وكراً خطيراً للقناصة يستعيضون به عن البرج الذي نسفه الإخوان في (تل بيوت). وأخذوا يطلقون منه النار على المجاهدين في مواقعهم، وحاولوا اقتناص قائد المنطقة نفسه حين كان يحاول الوصول إلى دار الحكومة للاجتماع بمراقبي الهدنة، وكانت أنباء تشير إلى أن لجنة من كبار ضباط الجيش الإسرائيلي قد نزلت في هذا البناء واتخذته مقراً تشرف منه على جبهات

المتطوعين وتضع خطة لمعارك شاملة تكتسح فيها هذه القوات.

لم يكن هناك بد من تدمير هذا البناء فصدرت الأوامر لقائد الإخوان في (صور باهر) ليتولى تنظيم هذه الخطة وتنفيذها، وفي ليلة حالكة الظلام تسللت جماعة من الإخوان تحمل ألغامها وأسلحتها ووجهتها هذا المنزل المقام بين ثلاثة مستعمرات من أخطر مستعمرات اليهود واستمروا يزحفون على بطونهم وقتاً طويلاً حتى اقتربوا منه، وبينما كانوا يعالجون فتح الباب الخارجي انتبه اليهود للحركة، فأخذوا يطلقون عليهم النار من أعلى المنزل ومن (الدشم) المسلحة المقامة حوله، وبادلهم الإخوان الضرب، غير أن شدة النيران المنبعثه من المنزل وخشية الإخوان من المستعمرات القريبة، جعلتهم يلقون ألغامهم بعيداً عن البناء يشغلونه، وحين انفجرت أحدثت دوياً هائلاً، غير أن البناء ظل قائماً كما كان وجرح في هذه الحركة الأخ (عثمان عبد المجيد)، وحمله رفاقه معهم إلى معسكرهم في (صور باهر). وثار قائد (صور باهر) على هذا الفشل، وأصر على تدمير البناء، وفي اليوم التالي تحركت قوة كبيرة مكونة من بعض الإخوان السوريين، وعدد من مجاهدي الإخوان الأردنيين، وقد اشتبكت هذه القوة في معركة مع حماة البناء، غير أنها نجحت في الوصول إلى المنزل وتدميره على جميع من فيه من الضباط والجنود وأترك للبكباشي (طبالة) قائده القوة الخفيفة الكلام عن هذه العملية الجريئة في مقال نشرته له إحدى المجلات العسكرية تحت عنوان (ولاء في بطولة).

عالج قائد الدورية الباب معتمداً على أن صوت الرصاص يعلو صوت معالجة الباب، ولكن الباب لم يفتح فهو موصود من الداخل، وإذا بالقائد يضغط بسبابة يمناه (تنك) سلاحه فيطير قفل الباب ويفتح على مصراعيه، وفي لحظات أشعل الآخرون العبوات وألقوا بها داخل الدار

وارتد الجميع للخلف قليلاً ورقدوا إلى أن صم آذانهم صوت انفجار هائل تطاير على أثره الغبار في كل مكان.

وإن هي إلا غمضة عين فتسمع أنة موجعة صادرة من أحدهم فهرع إليه القائد فوجد الذي ينزف من جرح في رأسه. فحمله بمعاونة زملائه وهرعوا عائدين وكل منهم يتلفت للخلف ليروا أثر ما عملوا فلا يروا إلا غباراً يعلو الأرض، إلى أن وصلوا حوالي الرابعة صباحاً إلى رئاسة القطاع، وبين يدهم زميلهم الجريح يحتضر لكثرة ما نزف من الدماء. ولم تجد معه الأسعافات فلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يتساءل عما حل بالمنزل فلما علم بتدميره تماماً لفظ النفس الأخير والارتياح التام بادٍ على أساريره.

وفي الصباح الباكر كان قائد الفدائيين يستقبل ضوء الشمس في مواقع «صور باهر» ويترحم على الشهيد البطل ويودعه إلى مثواه الأخير ثم عاد ليلقي نظرة على موقع المنزل فإذا هو حطام يضم بين أحجاره جثث عشرين من اليهود الغادرين، حاولوا الاعتداء عليه في الصباح فحكم عليهم جنوده (أن لا يروا ضوء صباح تال). أما شهيدنا المبرور في هذه المعركة فهو المجاهد (ضيف الله) من الإخوان المسلمين السوريين. وفي المساء كانت محطة إسرائيل تذيع نبأ المعركة، تنعي إلى اليهود مقتل ضابط إسرائيلي برتبة كبيرة ومعه عدد من ضباط الجيش وجنوده. ماتوا تحت الردم على مقربة من مواقع الإخوان المسلمين في (صور باهر).

في منتصف شهر أكتوبر كانت الجبهة المصرية مسرحاً لعمليات واسعة النطاق، وكانت منطقة (الفالوجا) في ذلك الوقت تهاجم بعنف وشدة، والمجدل عرضة لغارات جوية مروعة، وفي ذلك الوقت أيضاً كانت القيادة الإسرائيلية في القدس تحاول تصفية حسابها مع قوات

المتطوعين في «بيت لحم» وبدأت أعمالها بهجوم حاد على (صور باهر) غير أن هجماتها المتكررة تكسرت تحت تحصينات الإخوان القوية.

فأخذت تدور حول خطوط الدفاع تتلمس أضعف النقط فيها حتى نجحت يوم ١٩ اكتوبر في اقتحام مرتفع شاهق يعرف بتبة (اليمن)، ولم يضيع اليهود الفرص فأخذوا يحشدون قوات كبيرة ويعدون أنفسهم للوثوب على المرتفعات المجاورة والسيطرة على بيت لحم، مما اضطر قيادة (صور باهر) إلى إرسال قوة كبيرة لتقوم بهجوم مضاد تستعيد به هذا المرتفع. وبدأت المعركة بين الفريقين حامية شديدة، وكان مما يستلفت النظر ويدعو للإعجاب هو براعة اليهود وسرعتهم الفائقة في أعمال التحصين، لا تكاد قواتهم تستقر في موقع من المواقع إلا وتسارع بتحويله إلى قلعة محصنة.

وكان ذلك مما يساعدهم دائماً على الاحتفاظ بالمواقع التي تسقط في أيديهم، ويبدو أن هذه الظاهرة ناتجة عما عرف عن المقاتل اليهودي من جبن وضعف، فهو يستعيض عن الشجاعة الأصلية بتحصينات مصطنعة ولا يقوى على مواجهة خصمه في الدفاع إلا إذا كان مختفياً خلف أطباق كثيفة من (الدشم) والأسلاك الشائكة.

نجح الإخوان في الهجوم الذي شنوه وتراجع اليهود بعد مقاومة شديدة وخسائر من الطرفين، وكان يضاعف من هذا النجاح أهمية الموقع وخطورته الشديدة لو بقي في يد اليهود، وهأنذا أنقل نص إشارة رسمية بعثتها قيادة «بيت لحم» إلى الجهات العسكرية المسؤولة بتاريخ ٢٠ اكتوبر ١٩٤٩.

(قام العدو بهجوم عنيف على جميع مواقعنا الدفاعية تحت ستار غلالة شديدة من نيران الأسلحة الأوتوماتيكية والهاونات وقاذفات الألغام

والمدفعية الثقيلة، صدت قواتنا الهجوم، تمكن العدو من الاستيلاء على مواقعنا بجبل (اليمن)، قامت قوة من الإخوان المسلمين بقيادة الملازم أول خالد فوزي بهجوم مضاد فطردت العدو بعد أن كبدته خسائر فادحة، (خسائرنا ضعيفة وقد أبلغنا مراقبي الهدنة).

وقد علقت أغلب الجرائد العربية واليهودية على هذه المعركة وذكرت جهود الإخوان فيها بالإكبار والإعجاب، وكتبت جريدة (الناس) العراقية في عددها الصادر يوم ١١/٧ مقالاً تحت عنوان (بسالة متطوعة الإخوان المسلمين) جاء فيه (... وإن اليومين الماضيين امتازا ببسالة منقطعة النظير من متطوعة الإخوان المسلمين فقد استولى اليهود شمالي غربي بيت لحم بعد محاولات عديدة على جبل مرتفع يسمى «تبة اليمن» ويشرف على قرى «الولجة» و«عين كارم» و«المالحة» وما جاورها وأصبحوا يهددون كل المناطق المحيطة بها.

ورأت قيادة الجيش المصري ضرورة تطهيرها فندبت لذلك عدداً من متطوعة الإخوان المسلمين في (صور باهر)، فتقدمت سرية منهم، ولم تمر ساعة حتى كانت هذه الفرقة قد أجهزت على القوة اليهودية وغنمت ذخيرتها ومتاعها وحررت قرية «الولجة» وأصبحت تسيطر على منطقة واسعة وقد أصدرت قيادة الجيش المصري أمراً بتسمية الجبل (تبة الإخوان المسلمين) وقد استشهد من الإخوان كل من مكاوي سليم علي من الزقازيق والسيد محمد قارون من المنصورة وإبراهيم عبد الجواد من الفيوم، رحمهم الله رحمة واسعة).

يئس العدو من إقتحام «بيت لحم» و«الخليل» لوجود هذه القوات المؤمنة فيها، فبدأ يركز هجومه على مناطق «أسدود» و«المجدل». واستطاع أن يرغم القوات المصرية على إجلاء هاتين المنطقتين والإيقاع

بقوة كبيرة حاصرها في الفالوجا وظل يحاصرها حتى نهاية الحرب. وبحصار الفالوجا عزلت قوات المتطوعين عن القيادة العامة تماماً، ولم يعد لها طريق يصلها بالقاهرة سوى الطريق الجوي الذي يصل عمان بالقاهرة.

وبدأت هذه القوات المغامرة تقاسي محناً شديدة سببها الحصار الشديد، وكثرة ما تعرضت له من هجمات متواصلة، ورغم ذلك كان كل ما يشغل الإخوان هو مصير إخوانهم المحصورين في الفالوجا، فبدأوا ينظمون بمعونة المجاهدين العرب خططاً لتموينهم، وتسللت قوافلهم عبر الصحاري الواسعة التي يسيطر عليها العدو، تحمل المؤن للقوات المصرية المحصورة، وتتعرض في طريقها الطويل لكثير من المآزق والأخطار.

وكم من مرة اصطدمت القوافل مع دوريات اليهود واشتبكت معها في معارك دامية، ونتج عن ذلك كثير من الخسائر، ولكن الإخوان لم يكونوا يحسبون للموت حساباً ما دام ذلك في سبيل وطنهم وكرامة جيشهم.

وإذا ذكر هذا النشاط الرائع فلا يمكن أن نغفل الدور الخطير الذي قام به اليوزباشي (معروف الحضري) حين قاد جماعات الإخوان المسلمين في تسللها إلى (الفالوجا) وظل يؤدي واجبه بإيمان وثبات حتى ظفر اليهود به في إحدى العمليات، ونقلوه إلى خطوطهم الخلفية حيث ظل يقاسي مرارة الأسر في معسكراتهم حتى من الله عليه بالنجاة، حين انتهت الحرب وتم تبادل الأسرى.

وبينما كان الإخوان يعملون بهمة وإخلاص في تموين (الفالوجا) ومعاونتها على تحمل آلام الحصار ويستميتون في الدفاع عن مناطق (بيت لحم) و (الخليل)، إذ روع العالم الإسلامي بنبأ القرار الغاشم الذي

أصدره (النقراشي) وحل بموجبه هيئة «الإخوان المسلمين» في مصر، وكانت طعنة نجلاء وجهها الإنجليز على يد صنائعهم من المستورين إلى ظهر الشبيبة الإسلامية المحاربة.

وجن جنون الإخوان عند سماعهم هذا النبأ، غير أن الأوامر التي وصلتهم بعد ذلك من المرشد (الشهيد) كانت تأمرهم بالتزام الهدوء والإخلاد إلى السكينة. ولن يتصور أحد عظم الكارثة التي كان يمكن أن تقع لو ركب (الإخوان) رؤوسهم، وقاموا بأي إجراء طائش، إذ كانوا هم وحدهم يدافعون عن منطقة من أكبر المناطق والعدو يحيط بهم من كل جانب وينتظر الفرصة ليبتلع هذه المدن الغنية الواسعة وقدر الإخوان عظم الخطر، فقهروا عواطفهم واكتفوا بإرسال برقية إلى كبير الأمناء بقصر عابدين ضمنوها سخطهم الشديد لصدور هذا الإجراء الظالم.

ثم عكفوا على أداء واجبهم من جديد وكأن شيئاً لم يحدث حتى انتهت الحرب وأعلنت الهدنة وبدأوا يغادرون أسر اليهود ليقعوا مرة أخرى في أسر السعديين، وقدر لهم أن يلبثوا في الأسر الآخر عاماً كاملاً، قضوه بين معسكرات الاعتقال في (رفح) و (العريش) حتى إنهارت قوائم العهد الأغبر بما حملت من أوزار وآثام، وبدأ المجاهدون يستردون حرياتهم المفقودة شيئاً فشيئاً..!!

الاخوان بعد قرار الحل
(معركة التبة ٨٦)
كامل الشريف

«أيها الإخوان، لا يهمكم ما يجري في مصر، فإن مهمتكم هي مقاتلة اليهود، وما دام في فلسطين يهودي واحد فإن مهمتكم لم تنته».

«حسن البنا»

لم يؤثر قرار الحل في سياسة الإخوان في فلسطين، وظلوا يؤدون واجبهم المقدس في مجاهدة أعداء الإسلام، رغم ما كانت تصلهم من أنباء مثيرة عن الإرهاب الحكومي في أرض الوطن.

وما كاد شهر ديسمبر يتصف، وتصل الحالة الداخلية في مصر إلى أسوأ مراحلها، حتى استغل اليهود الفرصة، وقاموا بأعنف هجمات شهدتها حرب فلسطين، وكان الإخوان في ذلك الحين يعاد تدريبهم في المعسكر، بعد أن قضوا أكثر من عام في معارك متواصلة، ومما يجدر الإشارة إليه، أن اللواء «فؤاد صادق» كان قد أفتتح بعض المدارس العسكرية في رفح للتدريب على الأسلحة الصغيرة وفنون القتال، وطلب إنتساب نفر من الإخوان إليها ليعاد تدريبهم فبعثنا عدداً كبيراً من الإخوان ووزعناهم على الفرق المختلفة، ولقد كان إقبالهم على الدرس والتدريب، ورغبتهم الشديدة في تعلم أساليب الحرب الحديثة مثار إعجاب الضباط الذين زاملوهم في الدرس أو اتصلوا بهم.

ولما انتهت فترة التدريب اقترح القائد العام أن يظل الإخوان في

معسكراتهم ليكونوا «قوة ضارية» تكون مستعدة دائماً للدخول في أية معركة.

ولم يطل الانتظار طويلاً! إذ نقض اليهود الهدنة في ٢٣ ديسمبر وهاجموا مرتفعاً حاكماً جنوبي دير البلح يعرف باسم التبة ٨٦. وكان نجاحهم في احتلال هذا الموقع يعني عزل «حامية» غزة وتمثيل مأساة الفالوجا مرة أخرى.

ولقد رأينا كيف اضطر الجيش إلى إخلاء مناطق برمتها عندما احتل اليهود موقعاً مشابهاً عند «بيت حانون»، وكان هذا ما يرمي إليه اليهود من معارك «الطرق»، التي اتسمت بها حربهم في فلسطين، من قطع مواصلات الجيش وإرغامه على التقهقر، ثم طلب الهدنة لتمكنهم من المحافظة على ما وقع في أيديهم، وكان هذا ما أرادوه من احتلال مرتفع «دير البلح» الذي نتحدث عنه.

ولقد تحدث إليّ الأميرالاي «محمود رأفت» قائد قطاع «دير البلح» بالتليفون في ساعة متأخرة من ليلة ٢٣ ديسمبر، وأخبرني أن العدو قد نجح في اختراق خطوطنا الأمامية في دير البلح وانتزع المرتفع من أيدي جنودنا الذين أذهلتهم «المفاجأة». وقواته تتجمع الآن وتحاول الوصول إلى طريق المواصلات الرئيسي، ولكن قوات الجيش تحاول حصره فوق المرتفع حتى الصباح، حيث يمكننا أن نقوم بهجمات مضادة لاسترداده وتطهيره، ثم صارحني بأن الموقف جد خطير، وأن هذه المعركة سوف يكون لها أثر بالغ في النتيجة العامة للحرب، وختم حديثه طالباً أن يستعد الإخوان ليكونوا آخر «ورقة» نقذف بها في وجه اليهود.

فألقيت سماعة التليفون وخرجت من المكتب وكانت أصوات الإنفجارات العنيفة تسمع عن بعد في جبهة القتال، وطلقات الرصاص

المضيء تمزق حجب الليل المظلم وترسم على صفحة السماء خطوطاً حمراء متشابكة فأمرت بصفارة الإنذار فأطلقت ولم تمر دقائق على إطلاقها حتى كان حراس المعسكر قد أخذوا مواضعهم الدفاعية، وتجمعت القوات الاحتياطية في أرض التدريب وكل فصيلة أمامها قائدها ومعها أسلحتها ومعداتها، وتحركت مصفحات المعسكر وسياراته المدرعة وانتظمت في تشكيلات الاستعداد، وأخذ قوادها يمدونها بحاجتها من البترول والماء، ثم دعوت الإخوان المسؤولين وشرحت لهم الموقف في إيجاز وطلبت تجهيز سرية للاشتراك في هذه المعركة، وكانت المشكلة أمامي وأمام الإخوان المسؤولين إقناع بعض الأفراد بالبقاء، فكل فصيلة تريد أن يكون لها شرف العمل دون غيرها، فلما وقع الاختيار على الفصائل الثلاث هلل أفرادها وكبروا وأخذوا يهتفون من أعماق قلوبهم: «هبّي ريح الجنّة هبّي!» ومضوا يعدون أسلحتهم، ويستعدون لمنازلة العدو، وبعد ساعة تحركت السيارات بمن فيها لترابط قريباً من أرض المعركة.

كانت نسمات الفجر تحمل إلى أنوف المحاربين رائحة البارود المحترق مختلطة بأنفاس الشهداء الأبرار، وكانت أشعة الفجر الأولى تتسلل إلى الميدان فتكشف معالمه شيئاً فشيئاً، والغيوم تتكاثف وتلقي حمولتها من الماء فوق رؤوس المحاربين، وكان اليهود حتى ذلك الحين لا يزالون فوق المرتفع الذي احتلوه، ولا تزال مدافعهم تسيطر على مسافات شاسعة من الأرض المنبسطة حوله.

ولم تكد الشمس ترسل أول أشعتها، حتى صدرت الأوامر لجنود الجيش بالتقدم، فانسابوا في أفواج متلاحقة، تريد أن تصل إلى القمة، وتطرد العدو الرابض فيها، ولكن ارتفاع الموقع، وسيطرة أسلحة اليهود على الأرض المحيطة به، كانا يمنعان الجنود من الاقتراب، وظلت الحالة

هكذا موجات إثر موجات وجرحى كثيرون، وشهداء يسقطون دون الهدف، وكيف يمكن للحوم آدمية أن تقاوم القنابل والرصاص. والعدو الماكر يربض خلف خنادقه التي أعدها بعناية ويصوب نيرانه منها على لحوم بشرية متراصة، وبدا جلياً للعيان أن لا أمل مطلقاً في كسب المعركة، إلا في حضور عدد من الدبابات فأرسلوا في طلبها على عجل، وجاءت الدبابات، ودفعت إلى المعركة واحدة تلو الأخرى، فتعطلت منها اثنتان على سفح التل ولم يستطع أحد الاقتراب من مواقع العدو.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد الظهر، والريح لا تزال تدوي بشدة، وتسوق أمامها قطعاناً من السحب الكثيفة، وعواصف المطر الباردة، ووقف الضباط يتطلعون إلى السماء يلتمسون العون من الله العلي الكبير، بعد أن جربت كل الأسلحة. ووضح جلياً أن هذه المعركة قد «ماعت»، وضعف الأمل في حسمها قبل الليل.

وكان لا بد من إلقاء الورقة الأخيرة فطلب الأميرالاي «محمود رأفت» إحضار الإخوان على عجل، وما أن سمع الجنود والضباط اسم الإخوان حتى سرت في نفوسهم روح جديدة من الأمل والثقة. وطلبت من القائمقام «علي مقلد» قائد الفرسان، أن يوفر دبابته ليدفع بها أمام جنود الإخوان، وبعد لحظات وصل جنودنا إلى ميدان المعركة، وترجلوا عند مكان أمين لتنظيمهم وإعدادهم وكانت الخطة تقضي بتقسيم الإخوان إلى ثلاث مجموعات تهاجم اثنتان منها الموقع من الأمام ومن جهة الشمال، بينما تدور القوة الثالثة حول المرتفع وتهاجم مؤخرته، وتمنع تدفق الإمدادات عليه، وتجذب إهتمام المدافعين إليها وتشغلهم عن القوتين الأخريين، وكان المفروض أن تتقدم الدبابات متجمعة أمام قوة الإخوان تحت ستار من نيران المدفعية والأسلحة الرشاشة، وتحت غلالة من قنابل الدخان التي كانت تطلقها مدافع الهاون التابعة للإخوان

المسلمين، وبدأت المعركة على هذا الأساس، وانطلق الإخوان إلى أهدافهم وقد علت وجوهم إشراقة الإيمان القوي وكانوا ينشدون في حماسة نشيدهم المعروف:

هــو الحــق يحشــد أُجنــاده ويعتــد للمــوقــف الفــاصــل
فصفــوا الكتــائــب آســاده ودكــوا بــه دولــة البــاطــل

وأمسك الضباط والجنود أنفاسهم، وهم ينظرون إلى هذا الشباب المؤمن يتواثب في ثبات وقوة. ولا يثنيه الرصاص والقنابل عن التقدم لملاقاة أعدائه. لقد آمن الضباط والجنود أن هناك نتيجتين لا ثالث لهما: إما أن ينتصر هؤلاء الشباب أو يموتوا جميعاً، لأن الانسحاب والتراجع لا يدخل في برنامجهم إطلاقاً، وخاصة في مثل هذا الموقف الحرج الخطير.

وظلت مدافع الإخوان تقذف الموقع بقنابل الدخان فترة طويلة حتى أحالت القمة إلى سحابة قاتمة، لا ترى خلالها غير ألسنة اللهب الناتج عن انفجارات القنابل، وسكتت المدافع، وانساب المجاهدون إلى أهدافهم، وبدأت معركة الخنادق، وروع اليهود حين رأوا الإخوان يلقون بأنفسهم فوقهم في الخنادق، والدشم، ويعاركونهم بالقنابل والحراب والأيدي، ورغم كثرة الضحايا من الإخوان، فإن القوة قد تمكنت من إحتلال خنادق العدو، وأخذت تطهرها جزءاً جزءاً، ولم يجد اليهود بداً من إخلاء الموقع، فصمتت مدفعيتهم وأسلحتهم، وشوهدت مصفحاتهم تتحرك للخلف حاملة الجرحى والهلكى، وكان هذا المنظر حافزاً للجنود الآخرين ملهباً لحماسهم، فأخذوا يتكاثرون على الموقع ويتمون تطهيره، حتى جاءت أخيراً الحمالات «قاذفات اللهب» تطارد فلول العدو المنهزمة، وانتهت المعركة بنصر حاسم وكانت إحدى المعارك الكبرى التي تكبد فيها العدو خسائر فادحة دون أن يحصل على نتيجة تذكر، ووجد ضمن القتلى عدد من كبار الضباط الإسرائيليين وبينهم قائد المعركة

وهو «كولونيل» روسي يحتل مركزاً هاماً في الجيش الإسرائيلي، ووجدت في جيبه تفاصيل الخطة التي اتبعت في دير البلح والخطط المقبلة التي كان يراد منها إلقاء الجيش المصري في أعماق البحر.

كانت الشمس قد مالت للمغيب حين انتهت المعركة، وأخذ الجنود يحتلون الموقع بعد فرار اليهود منه، أما جنود الإخوان فقد انسحبوا في سكون وهدوء، بعد أن أخذوا منهم كميات وفيرة من الأسلحة الألمانية والروسية، وأكداساً من القنابل والذخائر. وكان الضباط يعانقونهم عند خروجهم، ويهنئونهم بهذا النصر الحاسم ويشيدون بجهودهم وفضلهم.

ولقد سقط من الإخوان في هذه المعركة وحدها عدد كبير من الجرحى والشهداء، وكان أول الشهداء قائد الفصيلة المرحوم «السيد محمد منصور» من إخوان الشرقية. ومما يروى عن هذا الشهيد المبرور أنه حين أصيب بالضربة القاتلة، التف حوله نفر من إخوانه وشغلوا به عن الهجوم، فنهرهم بشدة، وحينما حملوه إلى الخطوط الخلفية، أفاق من غيبوبته وسألهم عن سير المعركة فأجابوه بما طمأن نفسه، فابتسم وتمتم، الحمد لله...

ولم يقف لسانه عن الدعاء لحظة: اللهم انصر دعوتنا، وحقق غايتنا، حتى لفظ أنفاسه الطاهرة، ومضى إلى جنة ربه الواسعة، ليحمل البشرى إلى سكانها، «إن شجرة الإسلام الخالدة قد بدأت تورق من جديد».

أما الشهيد «حسن العزازي» من إخوان العريش، فقد أصيب بجرح في كتفه وكان في وسعه أن يعود ولكنه ظل يكافح بصعوبة، حتى احتمى بنتوء بارز في مواجهة العدو وأخذ يلهب خنادقه برصاص مدفعه الرشاش حتى أسقط منهم عدداً كبيراً مما اضطرهم إلى تركيز نيرانهم عليه، فأصابته

عدة طلقات في مواضع مختلفة من جسمه، فسكت مدفعه وصعدت روحه الطاهرة بعد أن ثأر لنفسه ومتع نظره برؤية الدم الصهيوني المراق...

وقد كان عدد الجرحى كبيراً، ومنهم من مات متأثراً بجراحه بعد وصوله للمستشفى، ومنهم من عاد في «إرساليات» مرضية إلى مصر، ثم كمل علاجه في معتقلات الطور وهاكستب! ولا تظنني أمزح أيها القارىء الكريم، فإنني لا أسجل إلا الحق والصدق، فإن اثنين من جرحى هذه المعركة، وهما الأخوان المجاهدان «عويس عبد الوهاب» و «سيد عيد يوسف» قد نقلا بعد المعركة إلى مستشفيات مصر لمعالجة جراحهما الخطيرة، ولكن البوليس السياسي أشار بنقلهما إلى الطور - ولعله خشي إنضمامها إلى الجيش الإرهابي السري - فنزعا من المستشفيات وجراحهما لا تزال تنزف دماً، وألقيا في أحد العنابر الرطبة دون غذاء أو علاج. ولا يزال أحدهما يعاني ألماً مراً من رصاصة مستقرة في بدنه!!..

انتهت معركة «دير البلح» على الصورة التي ذكرنا، وكان دور الإخوان فيها مفخرة كبرى من مفاخر هذه الدعوة، وأثرها في تكوين المحارب الناجح. وبجانب الكسب الأدبي فقد غنم الإخوان عدداً كبيراً من الأسلحة الرشاشة التي كانوا في أمس الحاجة إليها. ولقد كلفهم هذا الانتصار غالياً فسقط منهم عدد كبير من الجرحى والشهداء، وكان يزيد في عظم الخسارة استحالة تعويضهم من مصر، وقت أن كانت المذبحة قائمة على قدم وساق، غير أن هذه الخسارة وما لابسها من ظروف ومحن لم تزعزع من إيمان الإخوان وثباتهم.

ولقد خشيت أن تكون كثرة الخسائر قد نالت من روحهم القوية فقمت في الصباح الباكر بجولة بين حجراتهم فما وجدت للحزن أثراً وما وجدت إلا استبشاراً وغبطة للنتيجة التي أرادها الله، وكانوا يتناقلون فيما بينهم قصص البطولة التي سجلها شهداؤهم على أرض المعركة، ويمني

كل واحد منهم نفسه بنتيجة مماثلة، ويرجو أن يكون حظه من جهاده طلقة تودي به إلى رحاب الجنة، فالشهادة في نظرهم ليست موتاً ونهاية، ولكنها بداية لحياة هنيئة طيبة في جوار الله، فلم لا يتعجلونها وقد رأوا أماراتها بأعينهم في ابتسامات الشهداء، وسمعوا بشرياتها بآذانهم في آخر كلمات نطق بها المحظوظون السعداء، وهم يستروحون أولى نسمات الجنة ويضعون أقدامهم على أولى درجات الصباح الباقية.

ولقد زارني في ذلك الصباح مندوب من قبل القائد العام، وأخبرني أن اللواء «فؤاد صادق»، يرغب في مطالبة الحكومة بالإنعام بأوسمة عسكرية رفيعة على الإخوان، إشادة بفضلهم واعترافاً بجهادهم في هذه المعركة وغيرها، وهو يريد مني كتابة كشف بأسماء «الإخوان» الذين اشتركوا في معركة الأمس، فمانعت أولاً في تقديم كشف لهذا السبب، وقلت إن الإخوان لا يعملون بغية أوسمة وشارات، ولكنهم طلاب ثواب ومغفرة، وليس لهم مطمع من جهادهم، غير الاحتفاظ بكرامة أمتهم وجيشهم والإبقاء على عروبة فلسطين كجزء من وطنهم الإسلامي الكبير، فإن حققوا ذلك فقد وصلوا إلى أقصى ما يريدون من نتائج، ولكنه ألحَّ إلحاحاً شديداً وحاول إقناعي بأن الإنعام على الإخوان لا يعد انتقاصاً لبلائهم وثوابهم، بل هو اعتراف من الدولة بشجاعتهم وصدق جهادهم، ثم هو فوق ذلك اعتراف بفضل الدعوة التي صنعتهم.

وأمام هذا الإلحاح لم أجد بداً من إجابة مطلبه، فأعطيته الكشف المطلوب، ولقد أخبرني بعض ضباط الرئاسة، أن اللواء «فؤاد صادق» تقدم للحكومة السعدية طالباً منح نياشين رفيعة للإخوان، غير أن الحكومة اعتبرت تنفيذ هذا المطلب إعترافاً منها بجهاد الإخوان، وحسن بلائهم، فكيف توفق بين ذلك الإعتراف، وبين خطتها في القضاء على جماعة الإخوان، وتشويه كل مظهر من مظاهر نشاطها؟

وكيف توفق بين هذا المسلك، وبين ما تكتبه صحفها «للعقاد» وغيره من الكتاب المرتزقة من مقالات وبحوث، يدللون فيها على خيانة هذه الجماعة وتآمرها مع اليهود؟! فماطلت الحكومة السعدية زمناً طويلاً، وحاولت اقناع «فؤاد صادق» بالعدول عن مطلبه، غير أن الرجل الشجاع أصر على ذلك واعتبر هذه المماطلة إمتهاناً لكرامته وإحراجاً لمركزه، مما اضطر الحكومة لإجابة مطلبه، فاختارت حلاً وسطاً. وصدرت النشرة العسكرية في مايو سنة ١٩٤٨ تحمل أسماء خمسة عشر جندياً من الإخوان المسلمين المصريين والفلسطينيين، ورأت الحكومة أن تداري موقفها المخجل فسمتهم في نشرتها «جماعة المتطوعين المصريين»! ثم تتابعت النشرات العسكرية تحمل الإنعام على أبطال الإخوان المسلمين في «بيت لحم» و «صور باهر» وغيرهما من المناطق. ومن المضحك أن تصدر النشرات العسكرية وفيها إعتراف رسمي ببطولة جنود الإخوان، وقت أن كان الأبطال المنعم عليهم لا يزالون يقاسون مرارة الاعتقال، ويعيشون كالمجرمين الخطرين خلف الأسلاك الشائكة بين معسكرات «رفح» و«الطور» و «هاكستب»!! وهكذا أباحت العقلية المنكوسة لنفسها معاملة طائفة من الناس على أنهم أبطال مغاوير، ومجرمون خطرون في آن واحد.

المعارك الأخيرة في (النقب)

إذا لقيت عدوك فاثبت له حتى يتقهقر، فإذا تقهقر فاتبعه حتى يقع، فإذا وقع فاضرب عنقه.

«عمرو بن العاص»

ظل الإخوان في معسكراتهم يمارسون التدريب ويستعدون للمعارك المقبلة، وتطلبهم قيادة الجيش بين حين وآخر. ليقوموا بأعمال الدوريات على طول الجبهة، وليتسقطوا أنباء العدو ويرصدوا تحركاته، ويقوموا بوضع «الكمائن» في الوديان والجبال للإيقاع بدباباته ومركباته. وكثيراً ما كانت تخرج مجموعات منهم لتتعاون مع كتائب الجيش، كلما وقعت اشتباكات محلية في قطاعات الميدان المختلفة، ولم تدم هذه الحالة «المريحة» طويلاً! إذ قام اليهود بحركة التفاف واسعة، قصدوا منها ـ كما جاء في المنشورات التي ألقتها قيادة القوات الإسرائيلية قبيل الهجوم ـ إلقاء الجيش المصري خلف الحدود، فقاموا بهجومهم الكبير والأخير في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٨، ونجحوا في انتزاع منطقة كبيرة من الجيش، غير أنهم فشلوا في تحقيق هدفهم المنشود من استخلاص بقية فلسطين، ولقد قرر الإخوان أن يساهموا في هذه المعارك الكبرى مساهمة فعالة، ولا يزال الضباط والجنود يتغنون بها حتى الآن ويعتبرونها المثل الأعلى للجندية المؤمنة.

وقبل أن أخوض في تفاصيل هذه الهجمات، التي أسرعت بنهاية الحرب وعجلت بخاتمتها المفجعة، أود أن أبين الحالة التي كانت عليها القوات المتحاربة قبيل ذلك التاريخ، ليكون القارىء على بينة من حقيقة الموقف.

وضحت في الصفحات السابقة كيف اضطر الجيش المصري أمام هجمات العدو المفاجئة خلال شهر أكتوبر، إلى إخلاء المناطق الواسعة في «أسدود» و «المجدل» وما ترتب على ذلك من «إغفال» مجموعة لواء كاملة في قرية «الفالوجا» مما نتج عنه ضياع مدينة «بئر السبع» وسقوط الجزء الشمالي من «النقب» في يد اليهود، وظل اليهود في «بئر السبع» وما حولها بينما ظلت القوات المصرية، تحتل بعض المواقع على الطريق الذي يربط بئر السبع بقرية العوجا، على حدود مصر الشرقية، وبذلك أصبحت قوات الجيش المصري موزعة على النحو التالي:

١ ــ القوات الرئيسية المتجمعة في منطقة غزة ـ رفح، وفيها القيادة العامة.

٢ ــ قوات مختلطة تقدر في مجموعها بلواء تحتل بعض المواقع على طريق «بئر السبع» ـ «العوجا»، وآخر مراكزها «عسلوج»، على مسيرة عشرين ميلاً من «بئر السبع».

٣ ــ قوات المتطوعين المصريين والإخوان المسلمين وهي القوات التي عزلت بعد كارثة «الفالوجا»، وظلت تدافع عن «الخليل» و «بيت لحم» و «صور باهر» وتقوم بتموين قوات «الفالوجا» المحصورة.

ولقد رأينا كيف نجح اليهود في اختراق خطوط الجيش المصري أمام دير البلح، وكيف انتهت تلك المحاولة بهزيمتهم المنكرة، وخسارتهم الفادحة، غير أنهم لم يستكينوا عقب هذا الدرس المر، فتحسسوا نقاط الضعف في القوات المصرية، وقاموا بمحاولة أخرى على نطاق واسع واكتسحوا في طريقهم القوات نمرة «٢»، التي ترابط على طريق «العوجا ـ بئر السبع»، ولم تستطع القوات المذكورة الصمود أمامهم، أو حتى مجرد تعطيلهم، ذلك أنها لم تكن موضوعة ـ كما يبدو ـ للمقاومة فلم يراع في

توزيعها، أي ضمان لسلامتها، بل إن القيادة نفسها لم تكن تعرف الهدف من بقائها ولا الغرض الذي تكلف بحمايته، فوق أن عددها المحدود، لم يكن يكفي للسيطرة على هذا الفضاء الفسيح الذي ألقيت فيه، ولم يكن هناك أدنى اتصال بين هذه المواقع المبعثرة في الصحراء، فبين كل موقع وآخر عشرات الأميال، وكل موقع مسؤول عن حماية نفسه وأخيراً ليست هناك قوات مستعدة، لنجدتها في لحظات المعركة الأولى!

وإن القلم ليرتجف ويأبى أن يطاوع في تسجيل المهازل والأخطاء التي ارتكبها المسؤلون وما أكثرها ـ في تلك الفترة بالذات، ولست أدري حتى متى تظل هذه المآسي مختفية عن الرأي العام ومتى يفتح عينيه ليرى هذه الحقائق المخزية، ويعلم أنه كان مخدوعاً حين آمن بالبطولات الزائفة، وأنه كان مخدوعاً حين أخفوا عنه الهزيمة المنكرة، وراء مظاهر النصر المصطنع، وأرغموه على ابتلاع العلقم المر، بعد غمسه في الشهد والعسل!.

لم تستطع هذه القوات ـ وتلك حالتها ـ أن تثبت فلم تلبث هذه المواقع أن انهارت، وأخذ العدو يدور حول كل موقع، ويمنع إتصاله بالمواقع الأخرى، ثم يعمل النيران في قواته المحصورة، وانطلق الطابور المدرع في هجوم خاطف إلى «العوجا»، آخر موقع للجيش في صحراء النقب فقاومت حاميتها بعض الشيء، وانتظرت النجدات طويلاً دون طائل حتى استسلمت، وتسلل أفرادها لواذاً إلى الحدود المصرية، بعد تدمير أسلحتهم ومعداتهم.

وفي مساء ٢٦ ديسمبر بالذات استدعتني القيادة العامة في رفح، حيث بين لي كل من القائمقام «سيف الدين» والقائمقام «الرحماني» ـ من أركان حرب القائد العام ـ خطورة الحالة، ثم طلبوا مني إشراك «الإخوان»

في المعارك التي تدور في منطقة «العسلوج». وأذكر أن القائمقام «سيف الدين» أخبرني أن القائد العام يرى بقاء قوة من الإخوان لترابط في «العسلوج». وتكون مهمتها إرباك العدو في منطقة «بئر السبع» بحركات عصابية كتلك التي كانوا يقومون بها في مناطق «الشلالة» و «تل جمعة» ولا يستطيع غيرهم القيام بها، فقلت له إنني لا أمانع مطلقاً في استخدام الإخوان واستغلال نشاطهم على أوسع نطاق، غير أنني أرى أن عددهم المحدود لا يمكن أن يقوم بكل هذه الأعباء الكبار، وأن الحكومة لو خففت الضغط قليلاً لأمكن إحضار عدد آخر من مصر.

وكنت أعلم أنني أطلب مستحيلاً، فإن تسليم فلسطين ومصر أيضاً لليهود، كان أهون على السعديين والإنجليز من إعطاء شيء من الحرية للإخوان المسلمين! ثم شكوت من قلة الذخائر التي لدينا، فأصدر القائد العام أمره بصرف الكميات التي نطلبها من الذخائر أو الأسلحة، لتخرج هذه القوة مكتملة العدة.

ولم نضيع القوات فمضيت إلى المعسكر وهناك استقر الرأي على إعداد «سرية» لتخرج من ليلتها بقيادة الأخ المجاهد «حسن دوح» ويشترك معه من ضباط المعسكر الأخَوان المجاهدان «عبد الهادي ناصف» و «فوزي فارس». وكان ضباط الرئاسة يتصلون بي بين لحظة وأخرى يستعجلون خروج هذه القوة، ويبينون شدة الحاجة إليها، لخطورة الموقف وارتباك الحالة، وعند غروب الشمس تحركت السيارات والمصفحات بمن فيها، وكان موقفاً رائعاً لا أنساه إذ أخذ المتخلفون في المعسكر يودعون إخوانهم بالنشيد الثائر، والهتافات المدوية.

ولقد علمت من بعض ضباط الرئاسة أن اللوء «فؤاد صادق» أرسل إشارة لرئاسة أركان الحرب يخبرها أن الموقف في العسلوج جد خطير،

ولكنه أرسل الإخوان المسلمين إلى هناك وهو يستبشر بذهابهم خيراً.

وحين حاذينا مقر القيادة العامة في «رفح»، وجدت أحد ضباط الرئاسة ينتظرنا على الطريق العام، ومعه سيارتان كبيرتان محمّلتان بصناديق الذخيرة والقنابل، وسيارة ثالثة تحمل خزاناً ضخماً للماء، ثم أخبرني أن القائد العام ينتظرني في مكتبه ويريد أن يتحدث إليَّ قبل سفر القوة، فتركت الإخوان على الطريق العام وذهبت إليه بمفردي، فوجدت لديه جمعاً كبيراً من الضباط من ذوي الأشرطة الحمراء، وكانوا قادمين من مصر ـ على ما يبدو ـ لمعاينة الحالة ومعاونة القائد العام في مهمته، واستأذنت ودخلت، فلما حييت أخذ القائد العام يبين الحالة بالتفصيل وفهمت أن هناك تطورات خطيرة قد جدت على الموقف.

كانت «العسلوج» قد انتهت. وكانت مواقع «جبل الشريف» قد سقطت هي وغيرها من المواقع. وفهمت أن العدو يدير معاركه في مناطق أخرى من «النقب» وأن طلائع قواته المصفحة قد اشتبكت فعلاً مع حامية «العوجا»!

وكانت أنباء شديدة الوقع على نفسي، ومعنى كل ذلك إبادة تلك القوات الكبيرة واقتحام حدود سيناء الشرقية، وتذكرت حينها قول القائمقام «سيف الدين» منذ ساعات ومطلبه الخاص بإرباك العدو في «بئر السبع» تمهيداً لمهاجمتها واحتلالها، فآمنت أن القطار قد فات، وأن العدو لو نجح في احتلال «العوجة» فسيدير معاركه الهجومية في قلب الأراضي المصرية.

وعلمت مهمتي على وجه التحديد، وكانت تقضي بأن أرافق قوة الإخوان حتى تستقر في تلك المنطقة، وأخبرني كبار ضباط الرئاسة أن الأوامر قد صدرت لقيادة تلك الجبهة بإعطاء الإخوان حرية العمل

ومنحهم أي تسهيلات يطلبونها.

بعد حديثي مع القائد العام حييت الجميع وعدت إلى الإخوان ثم بدأنا السير وكانت وجهتنا مدينة «العريش»، ورغم أن هناك طريقاً قصيراً يصل «رفح» مباشرة «بالعوجة»، إلا أن المسؤولين من الإخوان رأوا أن التقدم عليه محفوف بالمخاطر ولم يستبعدوا وجود «كمائن» للعدو أو ألغام لتمنع أي نجدات تحاول أن تصل للقوات المنكوبة، فآثرنا أن نسلك الطريق الذي يمر بالعريش.

وصلنا «العريش» وتجاوزناها إلى «أبو عجيلة»، فوصلناها في منتصف الليل وسمعنا دوي الانفجارات العنيفة، ورأينا أضواء القنابل المتفجرة تنعكس على صفحة الأفق فعلمنا أن المعركة لا تزال دائرة الرحى في «العوجة»، وعلمت من موظفي النقطة ومن رجال البوليس أن حاميات «عسلوج» و«جبل الشريف» و«كوبري الإخوان» وغيرها من المواقع قد أبيدت بين أسر وقتل، ومن نجا فقد اضطر للفرار والهيام على وجهه في صحراء «النقب» الواسعة.

ورأى الإخوان المسؤولون أن التقدم للمعركة في هذا الوقت ليس من الصواب في شيء، فالإخوان لم يناموا طوال الليل وإدخالهم في المعركة على هذه الصورة لن يأتي بأي نفع بل قد يضر أبلغ الضرر، واتفق المسؤولون على الانتظار في «أبو عجيلة» حتى الفجر وحتى ينال الإخوان شيئاً من الغذاء والراحة وتستبين تطورات الموقف، وترجل الإخوان من سياراتهم وتناولوا شيئاً من طعام خفيف ثم استلقوا على الأرض الصخرية الرطبة، حتى لمعت أشعة الفجر الأولى فأذن مؤذنهم للصلاة وقمنا نتوضأ على عجل، ثم صلينا الفجر جماعة، وقرأ الإمام صدراً من سورة «الأنفال» ورأينا أنفسنا نسبح في جو روحاني جميل خلال

آياتها البينات، ونستشعر المعاني العميقة التي استشعرها المجاهدون الأول ممن تنزلت في حقهم هذه الآيات، خاصة ونحن في موقف يشبه موقفهم إلى حد بعيد.

ولما انتهت الصلاة تسابق الإخوان إلى أسلحتهم يعدونها ويختبرونها ثم امتطوا السيارات، وأذكر أن الشهيد الكريم «علي الفيومي» - وسيأتي ذكر استشهاده بعد حين - كان يطوف على إخوانه في ابتهاج واضح مذكراً إياهم بقول الرسول صلوات الله عليه وسلامه لمقاتلي «بدر»: «والله لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة». وتحركت السيارات في طريقها إلى الميدان. وكنت أرى خلال تقدمنا أن الطريق كانت غاصة بسيارات الجيش المحملة بالجنود والذخائر. وكانت كلها واقفة لا تتحرك فسألت الجنود عن الخبر فقيل لي إن العدو يضرب بمدفعيته نقطة على الطريق ليمنع اتصال النجدات بالقوات المحصورة في «العوجة»، فلم نجد بداً من التقدم، وكان الجنود المصريون يوسعون الطريق لسيارات الإخوان التي انطلقت غير عابئة بصيحات التحذير.

وعند أرض مرتفعة تعترض الطريق الرئيسي، رأينا قنابل العدو تتساقط فوقها، ولم يكن في وسعنا أن نتقدم قبل أن نقضي على هذه العقبة، فقررنا الاشتباك معها، ولاحظنا أن موقع العدو مستتر بعناية خلف أحد التلال المواجهة، فترجل الإخوان في إحدى المنحنيات وأقاموا مدافعهم وأخذوا يضربون موقع العدو بشدة حتى سكتت مقاومته وانفتح الطريق وانسابت جموع السيارات المتخلفة إلى أهدافها.

وركب الإخوان السيارات وواصلوا السير حتى وصلوا إلى مرتفع شاهق يشرف على ميدان المعركة، وهناك التقيت بنفر من ضباط الجيش

فسألتهم عن قيادة المعركة وأين أستطيع أن ألتقي بقائد المنطقة العام لأتلقى تعليماته وإرشاداته، فأخبروني أنهم منذ الليل يحاولون العثور على أحد القادة المحليين دون جدوى، وأنهم قد جاءوا من «رفح» و «العريش» و «غزة» كنجدة سريعة لحامية «العوجة» فعجبت كثيراً لهذه الظاهرة، وطلبت من الأخ «حسن دوح» تنظيم قوته في وضع دفاعي ففعل، واختفت سياراتنا خلف أحد التلال، وظللنا ننتظر فترة طويلة عسى أن يأتي أحد قادة المنطقة ليحرك هذه القوات الكبيرة، وطال انتظارنا دون جدوى.

وكان الموقف يدعو للأسف والسخرية: معركة محتدمة في قلب «العوجة»، وجنودنا يقاومون فيها مقاومة الأبطال، وقد بحت أصواتهم في طلب النجدة، والنجدة على مقربة منهم لا تستطيع الوصول إليهم، وليس هنا أحد ينظم المعركة ويديرها، هذه هي الفوضى بعينها...

وكأن العدو قد فهم ما نحن فيه من ارتباك، فأرسل «فصيلة» من قواته تسللت عبر الوديان والجبال المحيطة بنا، ثم ظهرت فجأة على مقربة منا أخذت تمطر المنطقة بوابل من النيران وأحدثت «المفاجأة» مفعولها، أما سيارات الجيش الكثيرة فقد كانت طبيعياً أن تتحرك راجعة للخلف لتنجو بنفسها وبما فيها من أسلحة وذخائر، وأما الجنود فقد ارتبكت جموعهم، ومما زاد في ارتباكهم عدم وجود قيادة يرتبطون بها ويتلقون تعليماتها وأوامرها، فتعلقوا في ذيول السيارات المتحركة، ولم تلبث الطائرات اليهودية المطاردة أن ظهرت في الجو وأخذت تنقض على هذه الجموع المختلة وتكتسحها بالنيران الحامية.

وكان من الأخطاء الواضحة في هذه المرحلة ـ وما أكثر أخطاءها ـ نقص الحماية الجوية لهذه القوات، مما جعلها عرضة لخطر الطائرات

وأعطى اليهود فرصة السيطرة على الجو سيطرة كاملة ليس فيها منازع، وشعرنا نحن المحاربين بخطره، حين كانت طائراته تظهر لتفرغ حمولتها من النيران فوق رؤوسنا، ثم تعود أدراجها لتشحن جوفها بحمل جديد من المطارات القريبة وأراضي الهبوط الواقعة في منطقة «بئر السبع».

بقي الإخوان وحدهم فوق مرتفع «العوجة» وخشيت أن تكون هناك قوات أخرى للعدو في طريقها إلينا لتفاجئنا من جديد، فتداولنا الرأي وكان علينا أن نقرر إما أن ننسحب خلف القوات المنسحبة، أو نصمد فوق هذا المرتفع حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وكان الموقف بالغ الخطورة، فبقاء الإخوان فوق هذا المرتفع يعرضهم للإبادة أمام عدو يفوقهم كثيراً في عدده وعدته، وانسحابهم أيضاً سوف يغري العدو بملاحقتهم فيندفع وراء القوات المرتبكة ويقلب انسحابها إلى هزيمة منكرة، وليس أخطر من مهاجمتها الآن وهي على ما عليه من تفكك وارتباك، وأخيراً قر رأينا على اختيار أهون الضررين. يجب أن نصمد ونقاوم فإما أن تتراجع قوات العدو ونحتفظ بهذا الموقع ليكون نقطة ارتكاز لو فكرنا في استرداد العوجة، وإما أن ننجح في إشغال العدو وتعطيله بعض الوقت حتى تستطيع قوات الجيش الوصول إلى نقطة أمينة، وتصبح قادرة على الدفاع عن نفسها.

واستمرت المعركة بين الإخوان والعدو فترة طويلة يئس بعدها العدو وانسحب راجعاً جنوبي «العوجة» وبقينا وحدنا حتى وقت الزوال وكانت المعركة في قلب «العوجة» أشرفت على نهايتها ولم نعد نسمع فيها إلا طلقات متفرقة، وكان أفراد حاميتها لا يزالون ينسحبون منها بعد أن يئسوا من وصول النجدات. . .!

وبدأنا نفكر في موقفنا بشيء من القلق، فإن بقاءنا فوق هذا المرتفع

على مقربة من العدو يعتبر مغامرة خطرة ـ خاصة إذا أقبل الليل ـ وبيننا وبين قوات الجيش عشرات الأميال ولا أستبعد أن تتسلل قوات من العدو لتهاجمنا من الخلف أو تقطع علينا خط الرجعة، فرأيت أن أذهب بمفردي إلى قوات الجيش، وأحاول إقناع الضباط بالعودة لاحتلال المرتفع، فليس هناك معنى للتخلي عن مسافة شاسعة من الأرض المصرية دون سبب، وإخلاؤها على هذه الصورة المزرية سوف يغري العدو بمواصلة التقدم. ركبت إحدى السيارات الخفيفة ورجعت مسافة عشرين ميلاً إلى الوراء فوجدت قوات الجيش موزعة خلف التلال في انتظار تعليمات جديدة من القيادة العامة.

كانت الخطة السليمة أن يبادر الجيش فيهاجم العدو في قلب «العوجة» ويرغمه على الانسحاب منها، قبل أن تستقر أقدامه فيها.

ولكن أين القيادة التي تنظم الخطة وتوجه هذه القوات الكبيرة وجهة صحيحة، ولقد بلغ من تلهفي على إتمام هذه الإجراء أن اتصلت بضباط هذه القوة وأخذت أشرح لهم وجهة نظري وأطلب إليهم اختيار أحدهم قائداً علينا جميعاً حتى يمكننا وضع خطة موحدة نتحمل مسؤليتها ونقوم بتنفيذها، ولكني لاحظت أن حضرات الضباط الذين حادثتهم ـ على الرغم من إيمانهم الشديد وتحرقهم للقيام بعمل جدي ـ كانوا يشفقون على أنفسهم من تحمل المسؤولية لو فشلت المحاولة، وتلك ظاهرة خطيرة لمستها في الجيش في كثير من المواقف التي تعاونت معهم فيها، فقد لاحظت أن المسؤوليات الكبيرة تكاد تكون مركزة في أيدي أفراد قلائل من ذوي الرتب العالية، أما الضباط من صغار الرتب فمهمتهم تنفيذ تعليمات هؤلاء دون أن يكون لهم حق التصرف حتى في أتفه المسائل، ولو حدث وتصرف أحدهم حسبما يرى كان نصيبه التأنيب إن أصاب، والعقاب الشديد إن أخطأ!

هذه الأسباب وغيرها تجعل الضباط من صغار الرتب يحجمون عن تحمل المسؤولية حين يجب التفكير والتصرف السريع، ولست أجد وسيلة لعلاج هذه الحالة سوى تعويد الضباط الصغار على حمل المسؤوليات الكبار وقد يخطىء الضابط مرة وأخرى، والواجب يقضي بالتغاضي عن أخطائه وتشجيعه ـ ما توفرت حسن النية في هذا الخطأ ـ وبذلك تتكون شخصيته ويصبح قادراً على التصرف راغباً في تحمل المسؤوليات والتبعات.

وظللنا نتناقش وقتاً طويلاً، وبينما نحن على تلك الحالة إذ أقبلت سيارة «جيب» وترجل منها الأميرالاي «فؤاد ثابت» قائد القطاع والمسؤول عن هذه المعركة، والرجل الذي ظللنا ننتظره ليؤدي واجبه وقتاً طويلاً. وبوصوله وصلت إشارة من القيادة العامة تحتم القيام فوراً بهجوم مضاد لاسترداد «العوجة» وطرد العدو منها بأي ثمن، وكان هذا ما يجب عمله منذ الصباح الباكر لو كان كل إنسان يؤدي واجبه ويرضي ضميره.

وأخذ القائد يرسم خطوطاً بعصاه على الأرض ويبين موقع «العوجة» على الخريطة! ثم سجل «أمر عمليات» وناول كل واحد منا نسخة منه تبين دور كل وحدة في المعركة المقبلة، وأخذت نسختي ومضيت على عجل إلى الإخوان لأعدهم للمعركة، وتبعتني قوات الجيش ومدفعيته يتقدمها القائد وضباط أركان حربه، وعدد من الضباط العظام.

وكانت «العوجة» تبدو صامتة هادئة، عدا بعض سيارات مصفحة تتحرك حولها، ولم تلبث مدفعية الجيش المصري أن أطلقت نيرانها على قوات العدو المتجمعة في القرية وعلى مصفحاته المستترة خلف سفوح التلال، ثم بدأ الزحف وانطلق الإخوان إلى أهدافهم.. وفي اللحظة الأخيرة صدرت الأوامر بمنع التقدم والتراجع إلى المرتفع... وهكذا

فشلت العملية، وسقطت «العوجة» نهائياً، وبسقوطها وضع اليهود أيديهم على صحراء «النقب» كلها، وأعطوا حرية التنقل بين أرجائه الواسعة في مساحة يحدها البحر الأبيض المتوسط شمالاً والبحر الأحمر جنوباً، كما فتحت أبواب سيناء على مصاريعها للغزاة، يدخلون من أيها يشاؤون...

وأما لماذا فشلت هذه المعركة ورؤي عدم التقدم فيها، فكان مرده إلى الروح المعنوية التي كانت قد وصلت إلى أقصى مراحل الإنهيار والضعف، وإلى القيادة المحلية التي كانت تنفذ أوامر الهجوم على الرغم منها، دون أن تكون راغبة في القتال، لذلك لم يلبث الجنود أن تراجعوا إلى المرتفعات الخلفية، ولم يتوقف تراجعهم إلا عند مرتفعات «الطارة» على حدود مصر الشرقية.

وبهذه المعركة انتهت الحرب الفلسطينية من الوجهة العملية، وتغيرت الآية وانقلبت الأهداف، فبعد أن كان الهدف هو تحرير فلسطين، والقضاء على العصابات الصهيونية بها؛ وإنقاذ أهلها من الفناء والتشرد، أصبح الهدف الجديد هو الصمود أمام الحدود المصرية، ومنع تدفق العدو خلالها، واقتطاع شبه جزيرة سيناء.. فإلى أي مدى نجحنا في المحافظة على هذا الهـدف الجديد؟!

دور الإخوان المسلمين السوريين السياسي والتعبوي في خدمة القضية الفلسطينية

يحدثنا عنه الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري أحد قادة الإخوان السوريين في ذلك الوقت وعضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين في مصر والذي انضم إليه مع الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان في سورية عام ١٩٤٨ كمبادرة لتوحيد العمل الإسلامي الدعوي والجهادي، يقول الأستاذ الأميري:

درس الإخوان كافة الظروف السياسية القائمة في ذلك الوقت فقرروا دخول معركة التحرير بشكل غير نظامي فأوعزوا إلى شبابهم الإلتحاق بمراكز التطوع والتدريب التي يشرف عليها جيش الإنقاذ أما وجهة نظرهم في ذلك فهي: أن دخولهم المعركة وحدهم قبل استكمال تدريبهم وتسليحهم لا يمكنّهم من خوض معارك حاسمة. كما أن ظهورهم كقوة إسلامية مسلحة يدفع القوى الاستعمارية للكيد لهم والتخلص منهم وقد كان. ولكن الزعيم المصري أحمد حسين قاد مظاهرات شعبية تجوب شوارع القاهرة وهي تهتف: أين الكتائب يا بنّا مما أثار حماس الشارع المصري وأوقع قيادة الجماعة في حرج فاضطروا لدخول المعركة باسمهم الرسمي ولكنهم لم يمنحوا أي تسهيلات أو مساعدات مما اضطرهم أن يدخلوا كتائبهم المتميزة ضمن جيش الإنقاذ، يعملون تحت شعاره ثم وزع الإخوان القياديون العمل فيما بينهم فعين كامل إسماعيل الشريف لقيادة

الإخوان المصريين المجاهدين في الجنوب والدكتور مصطفى السباعي قائداً للإخوان السوريين في الشمال (منطقة القدس) وعبد القادر الحسيني القائد العسكري لهم والأستاذ عمر بهاء الدين الأميري وصالح أبو رفيق للعمل السياسي وسعيد رمضان الذي عينته الجماعة رئيساً للمحكمة العسكرية الخاصة بجماعة الإخوان المسلمين المجاهدين في فلسطين.

استطاع الأستاذ الأميري بالتنسيق مع الأستاذ عزة دروزه وفخامة رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي أن يأخذوا موعداً لزيارة الحكومة العراقية وسافر وفد من الإخوان مكون من الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري والأستاذ محمد المبارك والأستاذ محمود الشقفة إلى بغداد وهناك اتصلوا بكبار الشخصيات العراقية الرسمية وبالمؤسسات الشعبية وبالجبهة العربية لإنقاذ فلسطين والتي كان يترأسها معالي جميل بك المدفعي وحكمت سليمان وتتلخص مطالب الوفد الإخواني بما يلي:

١ ـ زيادة عدد قوات الجيش العراقي المشارك في حرب فلسطين.

٢ ـ ضرورة التحرك خارج حدود منطقة التقسيم.

٣ ـ اقصاء الأعضاء اليهود في الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين لعدم الإطمئنان إليهم.

ثم قابل الوفد سراً معالي حكمت سليمان الذي تجاوب معهم وأرشدهم إلى الشخصيات والمنظمات التي يجب الاتصال بهم ليساعدوهم على تحقيق مطالبهم واستكتمهم عن خبر اتصالهم به وكان ممن ساعدهم في زيارتهم سفير لبنان كاظم الصلح وأقام لهم حفلة عشاء رسمية دعا إليها السفراء وكبار رجالات الفكر والسياسة جرى خلالها أحاديث هامة ومفيدة.

وبالتنسيق مع المنظمات الطلابية والجماعات الإسلامية تحركت

المظاهرات عقب صلاة الجمعة في بغداد ساهمت فيها كافة فئات الشعب العراقي تطالب بتحقيق مطالب وفد الإخوان السوريين. وأقام الوفد المهرجانات الخطابية لتعبئة الشعور الوطني وإثارة الحماس الديني وأمام هذا الضغط الشعبي اضطر جميل بك المدفعي رئيس الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين لرفع عدد القوات العراقية المشاركة في حرب فلسطين من ثمانية آلاف مقاتل إلى ستة عشر ألف مقاتل بعد أن اعتذر لهم وتعلل لهم بعدم امكانية الجيش العراقي القتال في فلسطين لانشغاله مع الثوار الأكراد، ثم زار وفد الإخوان النجف الأشرف واجتمعوا مع الرؤساء الدينيين مثل الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ومحسن الحكيم زعيم الشيعة في لبنان واستحصلوا منهم على بيان يدين مشروع التقسيم ويدعو إلى الجهاد في فلسطين.

وفي اليوم الذي أعلن فيه انتهاء الإنتداب البريطاني عن فلسطين ودخلت الجيوش العربية أرض فلسطين كان الوفد الإخواني في بغداد وكان يوماً مشهوداً تحركت فيه الجماهير العراقية وأقيمت المهرجانات والتظاهرات والمحاضرات وكان لوفد الإخوان فيها دور بارز ثم قرر الوفد العودة إلى دمشق لمتابعة مساعيهم الجهادية.

اللقاء مع قائد جيش التحرير الفلسطيني:

واستأنف الأميري نشاطه بالاتصال مع فخامة شكري بك القوتلي الذي أمَّن لهم موعداً مع طه باشا الهاشمي قائد جيش التحرير الفلسطيني حضر المقابلة تقي الدين النبهاني الذي وصل لتوه من حيفا وكان صديقاً للإخوان في ذلك الوقت ومتعاوناً معهم فعرض النبهاني خارطة تحرك الجيوش العربية وبين أخطاء هذا التحرك فاستغرب الهاشمي وصول هذه الخارطة إلى المجاهدين الإسلاميين باعتبارها من الأسرار العسكرية ثم قدم

له الوفد خارطة بديلة يتحرك المجاهدون فيها خارج حدود التقسيم يفاجئون فيها اليهود في أماكن تجمعهم ويحتلون بموجبها مواقع استراتيجية بهجمات خاطفة فقال الهاشمي: هذا المخطط يحتاج إلى خمسة آلاف متطوع فقدموا له قوائم بأسماء المجاهدين الذين يمكنهم تنفيذ هذا المخطط. فقال: ومن أين السلاح؟ فقالوا: نحن مستعدون لتأمينه، وعندها لم يبق له ما يحتج به فقال: نحن لا نستطيع أن نقاتل وحدنا هناك ظروف دولية لا يمكننا تجاوزها. فقالوا له: باعتباركم القائد العام لجيش التحرير الفلسطيني ما هو مخططكم في هذه الحرب، قال لهم: حسبنا أن نلزم اليهود البقاء ضمن حدود التقسيم وبالعيش معنا بسلام. فصعق القوم وأدركوا خطورة هذا المخطط المرسوم والمتوقع وانفض الاجتماع دون نتيجة إيجابية.

ومع ما شاهده الإخوان من مؤشرات غير مطمئنة إلا أنهم قرروا الاستمرار في خوض المعركة مهما كانت النتائج فأوعزوا إلى شبابهم بالإلتحاق في مراكز التدريب في معسكرات قطنا، كما رست في نفس الوقت باخرة مصرية في ميناء اللاذقية وبيروت تقل جموع المتطوعين من الإخوان المصريين الذين لم تتسع لهم معسكرات التدريب المصرية فاستقبلوا استقبالاً حماسياً ونقلوا إلى معسكرات التدريب في قطنا ثم لحق بهم بعد يومين المرشد العام حسن البنا يرافقه عشرون أخاً قيادياً وفوجيء الإخوان المتطوعين بمرشدهم يشاركهم الاستعداد والتدريب فكانت فرحة ما بعدها فرحة وبانتهاء فترة التدريب عاد الإخوة المصريون إلى مصر ومنها إلى الجهاد في فلسطين وسيحدثنا قائدهم كامل إسماعيل الشريف عن الدور العسكري والجهادي الذي قاموا به بعد قليل.

أما الإخوان السوريون بقيادة الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام فقد اختاروا منطقة القدس لتكون ساحة جهادهم يدافعون فيها عن المسجد

الأقصى وكنيسة القيامة تعبيراً عن تلاقي جهود المسلمين والنصارى في الحفاظ على المقدسات المشتركة.

وفي فندق الشرق بدمشق (أوريان بالاس سابقاً) عقد اجتماع ضم الحاج أمين الحسيني والأمير عادل أرسلان وعبد الرحمن عزام والأستاذين السباعي والأميري، كلف فيه المجاهد عبد القادر الحسيني قائداً عسكرياً لكتائب الإخوان السوريين في منطقة القدس الشريف. ومما يذكره الأستاذ الأميري: أن عبد الرحمن عزام أوصى عبد القادر الحسيني أن لا يغامر بنفسه ويجازف بحياته فرد عليه الحسيني: إن ما زودونا به من أسلحة قديمة لا تفي بالغرض لذا فلا بد أن نتلافاه بالأرواح. واستمر تعاون الإخوان مع الحاج أمين الحسيني سراً ومع كبار الشخصيات المخلصة لقضية فلسطين والتي تجمعت تحت اسم إتحاد العلماء والمؤسسات لنجدة فلسطين كان منهم: مفتي دمشق آنذاك محمد شكري الأسطواني والشيخ جميل الشطي وأحمد مظهر العظمة وغيرهم كثير كما تحركت قيادات الإخوان ضمن لجان جمع التبرعات وشراء الأسلحة وأظهر الشعب السوري البطل سخاء منقطع النظير وتضحيات تسجل في سجل المجد والفخار.

لقاء الإميري والتل:

نفذ الإخوان السوريون عدة عمليات سيحدثنا عنها فضيلة المراقب العام الدكتور مصطفى السباعي بعد قليل (أخذا عن مجلة حضارة الإسلام) وفي أثنائها سافر إلى دمشق الدكتور السباعي برفقة أمير جيش الإنقاذ في القدس الرئيس فاضل عبد الله الرشيد لتأمين السلاح والذخيرة وأثناء عودتهما إلى القدس رافقهما الأستاذ الأميري الذي شاهد سقوط الحي اليهودي الذي تم بعد نسف كينس قدس الأقداس كما التقى هناك

بالكولونيل عبد الله التل الذي حمله رسالة إلى الملك عبد الله تدور حول طلبه إلى الرئيس فاضل عبدالله الرشيد بالانسحاب من منطقة القدس بحجة أنه لا يريد أن تبقى قوى عسكرية إلى جانب قواته المسلحة والظاهر أن هذا الطلب اقترحه كلوب باشا كما يشير كامل الشريف مظهراً فيه حرصه على سلامة وأمن الجيش الأردني. ولكلوب فيه مآرب أخرى. حمل الأميري الرسالة إلى عمان وهناك اتصل بصديقه عبد المنعم الرفاعي الذي رتب له لقاء مع جلالة الملك عبد الله وذلك بعد صلاة الفجر في مكتبه وحمل الرسالة الجوابية إلى الكولونيل عبد الله التل مدونة بخط الملك عبد الله وكان ذلك قبل الهدنة التي فرضت على المجاهدين الذين كانوا متفوقين على الصهاينة المغتصبين وذلك لكي يعطوا لليهود فرصة التقوي والتزود بالسلاح وقد كان. وعن تعاون إخوان سوريا مع الفلسطينيين الذين شاركوا في ثورة رشيد عالي الكيلاني: يحدثنا الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري عن ذلك فيقول:

كانت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق بمثابة نفير عام هز وجدان شباب الأمة الإسلامية عامة والعربية خاصة فتطلعت نفوس الكثيرين منهم إلى التطوع فيها وسافرت مجموعات قليلة من الشباب المسلم كطليعة يتبعها أعداد كبيرة حين ينتهي تدريبهم وإعدادهم كما سافرت مجموعة من الشباب الفلسطينيين المتعاونين مع الهيئة العربية العليا فتآلفت أرواح المجاهدين المسلمين الفلسطينيين والسوريين في أرض المعركة ولكن الثورة لم تدم طويلاً وانتهت بالفشل وعاد المجاهدون الفلسطينيون برفقة إخوانهم السوريين إلى سوريا خوفاً من بطش حكومة الإنتداب البريطاني من بينهم الشيخ حسن أبو السعود مفتي الشافعية في فلسطين والساعد الأيمن للحاج أمين الحسيني والسادة إسحاق درويش وعزة دروزه ومنيف الحسيني وسواهم كما لجأ بعض الإخوة الفلسطينيين

إلى حلب أثناء فترة الأحكام العرفية فأمن لهم إخوان حلب (دار الأرقم سابقاً) مخابىء ريثما يوفرون لهم مكاناً آمناً كان ,أحد هذه المخابىء مزرعة الشيخ عادل دباس في الوقت الذي تخلت عنهم كافة الأحزاب السياسية خوفاً من بطش السلطة.

وبعد مفاوضات مع السلطة التركية سمح لهم بدخول تركيا فرحلوا إليها باستثناء السيد منيف الحسيني الذي رفض قبوله بسبب تهجمه على سياسة مصطفى كمال أتاتورك في مقالاته الصحفية فبقي الحسيني متنكراً عند أحد وجهاء الأحياء في حلب ريثما يحين موعد الحج فأمن له الإخوان جواز سفر تركي وخرج في موسم الحج مدعياً أنه هرب من تركيا لأداء فريضة الحج وما أن وصل السعودية واتصل بحكومتها حتى رحب به عاهلها وأكرمه بما هو أهل له، أما بقية الشباب الفلسطيني فظلوا مختبئين في حلب حتى تغيرت الظروف السياسية في فرنسا واستلم ديغول بدل المارشال بيتان وبدأت المخابرات تتعرف على الشباب الفلسطيني الذي بدأ يخرج من مخبئه فهرّبهم الإخوان إلى تركيا حيث كان بانتظارهم الأمير عادل أرسلان الذي أرسلهم بدوره إلى المانيا وكان بانتظارهم هناك الحاج أمين الحسيني. وفي المانيا تم تدريبهم على المتفجرات وأرسلوا إلى القدس حيث تم على أيديهم تدمير كنيس قدس الأقداس الذي استعصى على الإخوان نظراً لإتصاله بخنادق تحت الأرض تصله بأحياء يهود القدس الجديدة الذين يزودون المقاتلين اليهود بالسلاح والذخيرة والطعام. وممن حاول دعم ثورة رشيد عالي الكيلاني الأخ عبد المنعم عبد الرؤوف وكان ضابطاً في الجيش المصري فقد هرب بتاريخ ١٦ مايو ١٩٤١ قبل يومين من إخماد ثورة اليكلاني حيث هرب برفقة الفريق عزيز المصري والضابط حسين ذو الفقار صبري من مطار

المازة إلا أن الطائرة التي هربوا بها سقطت بالقرب من قيلوب نتيجة تخريب مقصود في الميكانيكي الذي أقفل مفتاح الزيت وتم القبض عليهم وأحيلوا لمحكمة عسكرية.

١ ـ وحين صدر قرار التقسيم نظم الإخوان المسلمون في سوريا مظاهرة كبرى بتاريخ ١٩٤٧/١١/٣٠ شاركت فيها كافة فئات الشعب السوري من علماء وطلاب وعمال وغيرهم يستنكرون مشروع التقسيم وقد توجه المتظاهرون إلى السفارة الأمريكية في دمشق يحتجون على موافقة أمريكا على مشروع التقسيم فهاجمت الجماهير المتظاهرة السفارة الأمريكية وحطمت أبوابها وحرقت العلم الأمريكي.

كما اتجه المتظاهرون إلى مراكز الحزب الشيوعي وكان مرخصاً آنذاك وإلى مكتب جريدتهم صوت الشعب فأضرموا فيها النيران بسبب موقفهم المؤيد لتقسيم فلسطين ومنذ ذلك الحين حل الحزب الشيوعي السوري وسحب ترخيصه ولا زال الحزب محظوراً حتى وقتنا الحاضر.

وقد نشرت مجلة الوطن العربي في عددها ٢٠٩ نص برقية بعث بها سفير الولايات المتحدة الأمريكية بدمشق جاء فيها: أن مظاهرة صاخبة يبدو أنها منظمة بدقة من قبل الإخوان المسلمين وبعض الطلاب قد هاجمت السفارة الأمريكية والمفوضية الفرنسية والبلجيكية في دمشق احتجاجاً على قرار تقسيم فلسطين.

كما هاجمت مكاتب جريدة صوت الشعب الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوري الذي أيد قرار التقسيم وأن السفارة أصدرت أوامرها للرعايا الأمريكيين القاطنين بدمشق بضرورة التزام بيوتهم.

٢ ـ ولكي لا تنسى قضية فلسطين تقدم الدكتور مصطفى السباعي

المراقب العام للإخوان في سورية ونائب دمشق بمشروع قرار إلى البرلمان السوري عام ١٩٤٩ يطالب فيه أن تدرس قضية فلسطين كمادة مستقلة في مرحلة التعليم الإعدادي والثانوي ودون كبير عناء قرر البرلمان السوري إضافة مادة فلسطين إلى مناهج مرحلتي الإعدادي والثانوي ولم تلغ حتى عهد قريب، بعد عام ١٩٥٣ ولكي لا تنسى قضية فلسطين.

٣ ــ دعى الإخوان إلى تأسيس مؤتمر إسلامي شعبي يضم العاملين للإسلام في كافة أنحاء العالم الإسلامي رسميين وغير رسميين استلم أمانة سره الأخ سعيد رمضان وهذه بعض أهدافه نشرت بنص الحديث الصحفي بين الأستاذ سعيد رمضان الأمين العام للمؤتمر الإسلامي ومندوب وكالة الصحافة المتحدة.

س: ما هي أهداف المؤتمر الإسلامي في القدس، وما الذي قام به من أعمال؟

ج: المؤتمر الإسلامي في القدس خاص بقضية فلسطين، وهدفه معاونة المليون لاجىء الذين يطالبون بحقهم الطبيعي في العودة إلى بيوتهم في الأرض المغتصبة التي قامت عليها إسرائيل ومعاونة العرب المقيمين في الجزء الباقي من فلسطين على دفع العدوان الذي يهددهم على سائر الحدود ـ ومهمة المؤتمر في ذلك تنظيم التعاون بين الشعوب العربية والإسلامية حسب منهج وضعه ممثلوها الذين اجتمعوا من عشرين قطراً في القدس قبل سنة، واستطاع المكتب الدائم خلال هذه السنة أن يقدم لسكان القرى الأمامية مساعدات مادية من أموال وألبسة وأغطية ومواد غذائية وأدوية طبية، كما استطاع أن ينفذ جزءاً من خطة كاملة لتحصين القدس ضد العدوان، فبنىٰ بعض أسوار وقائية ومواقع دفاعية، وكان لدعاة المؤتمر ومبعوثيه المتجولين ومطبوعاته أثر في تقوية المعنويات وفي إطلاع

الرأي العام العربي والإسلامي على حقائق قضية فلسطين. ومن مهمة المؤتمر كذلك إيضاح هذه الحقائق للرأي العام العالمي الذي غلبته الدعاية الصهيونية القوية، وقد أعد المكتب الدائم نشرات باللغات الأجنبية لتوزيعها بواسطة مندوبيه في مختلف الأقطار.

س: هل للمؤتمر مراكز عاملة في أقطار أخرى؟

ج: للمؤتمر مراكز عاملة في أندونيسيا وباكستان وبورما وسيام والملايو وفي سائر الأقطار العربية.

س: كيف يستطيع الإسلام في رأي الإخوان المسلمين أن يساهم في بناء دولة في القرن العشرين؟

ج: لا يختلف القرن العشرين عن القرن الأول بالنسبة للأصول التي وضعها الإسـلام لبناء الدولة وأعني الإسلام القرآن وأحاديث الرسول ﷺ أما ما سوى ذلك من أقوال الفقهاء والعلماء التي امتلأت بها المكتبة الإسلامية فهي اجتهادات قد تصيب وقد تخطيء ومحاولات لمواجهة حاجات الأمة في كل عصر حسب ظروفه. والقرآن وأحاديث الرسول ﷺ لم يحددا إلا القواعد العامة التي تمليها القيم الرفيعة التي لا يجوز أن تختلف على مر العصور، والتي لا تختلف بالنسبة للإنسان من حيث هو مهما اختلف وطنه ولونه ولغته، وتركا للعقل البشري بل أوجبا عليه أن يبتكر في كل عصر ما يستطيعه وما تستلزمه ظروف حياته في نطاق هذه القواعد العامة ـ وخذ مثلاً على ذلك نظام الحكم في الإسلام فإن الكتاب والسنة لم يحددا في هذا المجال الواسع إلا أصولاً أربعة.

١ ـ إرادة الأمة هي المصدر الشرعي الذي تنبثق عنه أوضاعها العامة، والله تعالى يقول في القرآن ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ ويتبع ذلك أن كل نظام يقوم على إستبداد فرد أو مجموعة، نظام يفقد شرعيته، والتي

يقول في ذلك قولاً صريحاً «من بايع أميراً من غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا للذي بايعه».

٢ ـ الحاكم مسؤول أمام الله وأمام الأمة، والنبي يقول: «الإمام راع وهو مسؤول عن رعيته» ومعنى ذلك أن الحاكم في ظل الإسلام ليست له قداسة تبرر خطأه إذا أخطأ أو تعفيه من محاسبة الناس له، ولقد خطب الخليفة الأول أبو بكر حين ولي الحكم فقال: «فإن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسددوني» وخطب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فقال: «من رأى في اعوجاجاً فليقومه».

٣ ـ العدل واجب بالنسبة للناس جميعاً يتساوى في ذلك الحاكم والمحكوم والمسلم وغير المسلم، والمواطنون والأجانب والله يقول في القرآن ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ ولقد فرض الله في القرآن العدل حتى مع الأعداء فقال ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

٤ ـ الطاعة واجبة على كل فرد في الأمة لنظام الحكم القائم ما دام يلتزم الأصول الثلاثة التي قدمنا فإذا انحرف عنها وجب على كل فرد ألا يخضع للانحراف، وأن يبادر إلى إبداء رأيه في تصحيحه، والقرآن يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾.

بقي أن تعلم أن الأمر الذي لا يزال جديداً على العالم من وراء هذه الأصول في نظام الحكم وفي سائر نظم الإسلام، هو أن الإسلام يعتمد في تطبيق هذه الأصول على ضمير الفرد قبل العقوبة وقبل سلطان الجيش والبوليس ويحرص على أن يكون هذا الضمير غنياً حياً موصولاً بالله مقبلاً على الحياة إقبالاً واعياً نظيفاً مستشعراً أن كل نشاط يمارسه في أية ناحية

من نواحيها عبادة.

إن الإسلام يريد أن تكون لبنة المجتمع البشري، الفرد الصالح الذي تصبح حياته وحدة لا تتجزأ في ظل الإيمان بالله.

نص المقررات التي أتخذتها الهيئة العامة للمؤتمر الإسلامي المنعقد في دمشق من ٢٦ إلى ١٩٥٦/٦/٣٠ في قضية فلسطين:

من بين مقررات المؤتمر في قضية فلسطين هذه المقررات:

١ ــ يؤكد المؤتمر الإسلامي العام ما قرره في دورته الأولى المنعقدة في القدس.

أ ــ إعلان بطلان الوضع الذي أحدثه اليهود في فلسطين بما يشتمل عليه من تقسيم واحتلال واعتبار كل ذلك وما نشأ عنه من تشريد للمواطنين وغصب حقوقهم اعتداء على حقوق المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها.

ب ــ اعتبار الصلح مع إسرائيل أو التعامل معها خيانة عظمى يثأر لها واعتبار التفكير في تدويل القدس مؤامرة استعمارية يقف العالم الإسلامي في وجهها.

جـ ــ يحذر المؤتمر من كل محاولة يراد بها جر حكوماتنا وشعوبنا إلى إعتراف ضمني أو تعامل مع إسرائيل ويعلن رفض الشعوب القاطع لمشروع جونستون وغيره من المشروعات الاستعمارية.

٢ ــ يقرر المؤتمر الإسلامي أنه لكي نطمئن على سلامة بلادنا أمام المحاولات التوسعية اليهودية لا بد أن تولي الحكومات العربية والإسلامية عناية خاصة لقرى الحدود الأمامية العربية وضرورة تحصينها تحصيناً جيداً وإمداد سكانها بكل الوسائل التي تمكنهم من الصمود والارتفاع بمستواهم

من النواحي الدينية والاقتصادية والمعنوية ويقرر المؤتمر أنه يضع جهوده تحت تصرف الحكومات التي تسير بهذا الاتجاه.

٣ ــ يوصي المؤتمر الإسلامي حكومات البلاد العربية الأعضاء في الجامعة العربية أن يعملوا على إيجاد اتحاد عربي شامل وإلى أن يتم ذلك يرى المؤتمر ضرورة قيام وحدة عسكرية شاملة بين الجيوش العربية.

٤ ــ يطلب المؤتمر الإسلامي من حكومات البلاد الإسلامية وإمارات الخليج العربية التي لم تقاطع إسرائيل اقتصادياً بالمبادرة بمقاطعتها تضامناً مع حكومات الجامعة العربية ويوصي الأمانة العامة للجامعة بإنشاء فروع لمكاتب المقاطعة في جميع هذه البلاد.

٥ ــ يوصي المؤتمر الإسلامي بضرورة تشديد الحصار الاقتصادي على إسرائيل وجعل عقوبة الإعدام جزاء لمن يثبت تعامله مع مؤسساتها.

٦ ــ إلى أن يتحقق اشتراك حكومات البلاد الإسلامية اشتراكاً فعلياً في تحرير فلسطين يوصي المؤتمر بضرورة السعي لإيجاد علاقات قوية بين الجيوش العربية والإسلامية والتوسع في تبادل البعثات العسكرية وتبادل المعلومات فيما يتعلق بالنشاط الصهيوني الهدام.

٧ ــ يوصي المؤتمر الحكومات الإسلامية وخاصة الحكومات العربية بضرورة معاونة الأردن في إنجاز مشروعاته الاقتصادية حتى يتخلص نهائياً من المعونة الأجنبية.

٨ ــ يقرر المؤتمر أن قضية اللاجئين جزء من القضية السياسية لفلسطين غير منفصل عنها ويجب أن تبقى قضيتهم قائمة ما ظل جزء من فلسطين محتلاً، ويرى أن قضيتهم لا تحل إلا في أرض فلسطين.

٩ ــ يوصي المؤتمر الحكومات العربية بأن تعامل اللاجئين معاملتها

لمواطنيها من ناحية الحقوق التي لهم والواجبات التي عليهم فتيسر لهم سبل العمل وتؤمن لهم حرية التنقل، مع الاحتفاظ بكيانهم الفلسطيني الذي هو المظهر الحي لقضية فلسطين.

١٠ ـ يرى المؤتمر أن العودة المنشودة للاجئين هي العودة إلى وطنهم المحرر وأن التعويض المطلوب هو عما لحق بممتلكاتهم وأموالهم من خسارة وتدمير واستغلال على أن يحتفظوا بحقهم التام باستعادة تلك الممتلكات والأموال.

١١ ـ يقرر المؤتمر وجوب المبادرة إلى تنظيم نشاط واسع بين اللاجئين، من الناحية الروحية بالدعوة والتربية، ومن الناحية الثقافية بانشاء مدارس ومؤسسات توجيهية، ومن الناحية الاجتماعية والاقتصادية بانشاء مشاريع فعالة تستوعب الممكن من طاقات اللاجئين وتحسين أحوالهم، وبذل جميع الوسائل لتقوية كيانهم بوصفهم أصحاب القضية الأولى وصف معركتها الأمامي، ويعهد المؤتمر إلى مكتبه الدائم ثم بتنفيذ ذلك كله، ويهيب بالشعوب الإسلامية أن تبادر إلى الإسهام المادي الوافر الذي يعين على الاضطلاع بالأعباء.

١٢ ـ يدعو المؤتمر الحكومات العربية إلى المزيد من العناية بشؤون اللاجئين المعاشية والصحية والثقافية والدينية والاجتماعية والسكنية على أن تبذل جهود خاصة بتقوية روحهم المعنوية ومكافحة التيارات التي تحاول أن تستغل نكبتهم لتوهن عقائدهم الدينية والوطنية.

١٣ ـ يدعو المؤتمر الحكومات العربية أن تجعل من اللاجئين مجاهدين وذلك بتدريبهم وإعدادهم وتسجيلهم وإلحاقهم بالجيوش العربية.

١٤ ـ يوصي المؤتمر بأن تبذل للذين فقدوا أملاكهم في الخطوط

الأمامية في فلسطين نفس العناية التي تبذل للنازحين.

١٥ ــ يوصي المؤتمر الحكومات العربية بضرورة الإشراف على أعمال وكالة الغوث الدولية إشرافاً تاماً وأن تمنع الوكالة منعاً باتاً من تنفيذ مشاريع الإسكان والتهجير المراد منها تصفية قضية اللاجئين.

١٦ ــ يقر المؤتمر تكليف المكتب الدائم بالعمل على بعث شركة إنعاش القدس الخيرية الإسلامية وطرح أسهمها للبيع في العالم العربي والإسلامي ويناشد الشعوب العربية الإسلامية أن تبادر للمساهمة فيها.

١٧ ــ يؤكد المؤتمر ما سبق أن قرره في دورته الأولى بجعل يوم ٢٧ رجب من كل عام يوماً لفلسطين في جميع أنحاء العالم الإسلامي لجمع التبرعات بهذه المناسبة وتذكير المسلمين بواجبهم حيال فلسطين.

دور الإخوان المسلمين السوريين العسكري في معارك فلسطين

عن مجلة حضارة الإسلام
العدد الرابع السنة الرابعة
للدكتور مصطفى السباعي
رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق
المراقب العام للإخوان في سوريا

لم يحن بعد نشر المذكرات التي دونتها عما شاهدته في معركة فلسطين بعد قرار التقسيم لظروف واعتبارات متعددة، وإنما أوجز القول هنا في دور الإخوان المسلمين في تلك المعركة وقبلها، لا تبجحاً بما قاموا به من ضروب التضحيات، فقد علمنا الإسلام كراهية التفاخر بالأعمال والتحدث عنها إلا لضرورة، ولكن تسجيلاً لتاريخ قد يطمسه بعض المؤرخين والكاتبين من سهو أو عدم اطلاع أو سوء نية.

كان الإخوان المسلمون أول هيئة عنيت بالقضية الفلسطينية على الصعيد الشعبي، ونستطيع أن نحدد بدء هذه العناية بأواسط الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٢ أو ١٩٤٣، فقد اجتمعت ذلك العام بالأخ المجاهد الشيخ نمر الخطيب في فندق أمية بدمشق وكنت أرحب بزيارته لدمشق قادماً من فلسطين، فحدثني عن استفادة يهود فلسطين من الحرب العالمية الثانية حيث شكلت السلطات البريطانية لهم كتائب تتدرب على القتال، وأمدتهم بالأسلحة والذخائر. واتفق أن وصلت إلى حيفا خلال سني الحرب صناديق كبيرة باسم بعض المحلات التجارية اليهودية على

أنها تحمل أقمشة وسلعاً، فتحطم منها صندوق على الرصيف فإذا به يحتوي على مسدسات وبنادق سريعة الطلقات وغيرها فعلم سكان حيفا بالأمر مما جعل الشهيد الشيخ عز الدين القسام رحمه الله يعتزم القيام بثورته مع إخوانه ومريديه وقد كان يعمل لها سراً منذ سنين ـ أقول ولقد حضرت له درساً في بعض مساجد حيفا ليلة الإسراء والمعراج وكنت في طريقي إلى القاهرة فأدهشتني قـوة روحه وتوجيهه وما يبثه في الناس من آيات الفداء والاستشهاد على تقدمه في السن ـ ثم قال لي الأستاذ الخطيب: إن الوضع في فلسطين خطر ونحن عرب فلسطين يحظر علينا حمل أبسط أنواع السلاح، والعرب والمسلمون غافلون عما يبيت لفلسطين من شر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. فهل لك أن تعلن صوت النذير والإيقاظ؟ وكان حديثاً دمعت له عينانا وعاهدنا الله على أن نبدأ العمل.

وألقيت أول محاضرة عن فلسطين ـ نشرتها جريدة القبس كاملة ـ في مقر الإخوان ـ وكان اسمهم يومئذ الشبان المسلمين ـ في باحة مسجد الدرويشية بدمشق، وانتهت المحاضرة بحماس من المستمعين خرجوا على أثرها في مظاهرة كبرى تهتف لفلسطين وتدعو إلى العمل من أجلها، حتى إذا وصلت المظاهرة أمام مديرية الشرطة العامة على ضفة بردى خرج مدير الشرطة العام ـ وكان يومئذ الدكتور عبد الكريم العائدي ـ وأبدى دهشته من مثل هذه المظاهرة الليلية، حيث كانت الأحكام العرفية معلنة، والتجمعات ممنوعة بمناسبة الحرب، وحاول فض المظاهرة بالحسنى فأبى الجمهور إلا أن تصل إلى فندق الشرق حيث كان يقيم رئيس الوزراء السيد سعد الله الجابري رحمه الله، ولما وصلت إلى ساحة محطة الحجاز حيث فندق الشرق رغب المتظاهرون في إرسال وفد منهم لمقابلة رئيس الوزراء حيث يشرحون له خطورة القضية الفلسطينية فأبى استقبال الوفد وأرسل مدير الشرطة العام ليحمله المتظاهرون مطالبهم ثم تفرقت المظاهرة.

وانتقلت بعد ذلك إلى جميع المدن السورية أشرح للجماهير خطورة الوضع حتى اتهمني الغافلون عن حقائق الأمور في فلسطين بأني أبالغ كثيراً فيما أسرده من حقائق.

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية أخذ الإخوان المسلمون يعملون لفلسطين في ثلاثة ميادين:

١ ـ الصعيد الرسمي بتقديم المذكرات للحكومة والجامعة العربية.

٢ ـ الصعيد الشعبي بالمحاضرات والاجتماعات العامة في المدن والقرى.

٣ ـ الصعيد العملي حيث أرسل الإخوان بعض شبابهم ليزوروا فلسطين ويطلعوا على أحوال اليهود فيها فزاروا يافا وتل أبيب وحيفا والقدس وكثيرًا من المستعمرات اليهودية.

فلما كانت كارثة التقسيم عام ١٩٤٨ وهب الشعب في جميع البلاد العربية يطالب بالتطوع في القتال لمنع التقسيم، أخذ الإخوان يعقدون الاجتماعات العامة يبينون خطر الكارثة ووضعوا لذلك ميثاقاً أخذوه على الجماهير بتأليف جيش لتحرير فلسطين يتطوع فيه كل قادر على القتال، ويرفض التقسيم والدفاع عن عروبة فلسطين، وأعلنوا فتح باب التطوع في مراكزهم في جميع أنحاء البلاد، وأقبل الشعب إقبالاً منقطع النظير على تسجيل اسمائهم كمتطوعين في جيش التحرير المرتقب، ولكن الحكومة فاجأتنا بقرار يمنع أية هيئة من تسجيل المتطوعين (وكان واضحاً أننا نحن المقصودون بهذا القرار إذ لم تكن هنالك هيئة أعلنت قبول المتطوعين غير الإخوان) ثم اتخذت الجامعة العربية قراراً بتأليف جيش الإنقاذ وافتتحت الحكومة مراكز للتطوع، فطلبنا منها أن يكون شبابنا منضمين في كتائب خاصة بهم تحت قيادة جيش الإنقاذ فرفضت ذلك، مما دعا إخواننا إلى الإندماج في كتائب المتطوعين، ولكن ما سارت أفواج المتطوعين إلى

فلسطين حتى جاءتنا رسائل الإخوان المتطوعين من كل مكان تستغيث من الجو الذي يعيشون فيه ويطلبون إلينا أن تكون لهم كتائب خاصة بهم ينسجمون فيها مع عقيدتهم وعبادتهم وأخلاقهم.

كانت فكرة المسؤولين قائمة على أن المتطوعين يجب أن يكونوا من العامة وذوي السوابق في الجرائم أو المتعطلين عن العمل، فقد قال لي مسؤول كبير: إنك تحمس الشباب المتعلمين للتطوع في حرب فلسطين، ومن الحرام أن نرسل بهذه الزهرات ليموتوا هناك، وخير منهم العاطلون من القبضايات! (أي الشطار وأهل الفتوة ممن عرفوا بالجرأة في القتل والضرب) وهؤلاء موجودون بلا عمل فلنرسلهم إلى هناك، فقلت له: إن معركتنا مع اليهود ليست معركة أجسام وزنود بقدر ما هي معركة وعي وتضحية وإيمان، وإننا سنقاتل في فلسطين شباباً من اليهود أعدوا فكرياً وعسكرياً لهذه المهمة منذ سنوات.

هذا هو السبب في أننا طلبنا أن تكون لشبابنا كتائب خاصة بهم تحت قيادة جيش الإنقاذ، وأخيراً عدنا إلى الإلحاح مرة أخرى في السماح لشبابنا بتشكيل كتائب خاصة بهم فكان الجواب: إذا أردتم أن تذهبوا في أفواج خاصة فنحن لا نقدم لكم سلاحاً بل يجب أن يكون سلاحكم منكم، هذا مع أن الجامعة العربية أرصدت لجيش الإنقاذ مبالغ طائلة، وكل المتطوعين عندهم يقدمون لهم أسلحتهم وذخيرتهم وألبستهم، فليس إمتناع المسؤولين عن إعطائنا السلاح إلا تحميلنا ما لا نقدر عليه. فقد بلغ ثمن البندقية ألف ليرة سورية (مائة جنية استرليني) وأكثر شبابنا المتحمسين للقتال طلاب وعمال فكيف نستطيع أن نتحمل ثمن أسلحتهم؟ ولم نجد بداً من عرض الأمر على الإخوان المتطوعين فكان من حماستهم ما يذهل ويدهش، فمنهم من تبرع بثمن بندقية، ومنهم من اشترك مع أخ أو أخوين من ثمن بندقية، ولا أستطيع الآن أن أفيض في تسجيل هذه

المآثر، وحسبي أن أذكر شيئاً مما تيقنته بنفسي، فقد رأيت بعضهم وكان على أهبة الزواج يبيع أحدى سجادتيه اللتين اشتراهما لزواجه، ورأيت منهم من باع بعض ثيابه، ورأيت من استدان، وهكذا...

وأخذنا نفتش عن السلاح وكان نادراً وغالياً، واضطرني ذلك لإقامة شهر كامل في محافظة حلب نتجول في كل يوم في القرى المتاخمة للحدود التركية لشراء البنادق والمسدسات، حتى إذا تم لنا تجهيز السلاح لكتيبة كاملة انتقينا من مئات إخواننا المتطوعين في مختلف المحافظات السورية من نعلم خلوهم من عوائق القتال في فلسطين، واضطررنا للاقتراع بينهم فغضب لذلك كثيرون حتى أن بعضهم قدم استقالته من الإخوان لأننا حلنا بينه وبين الجهاد في سبيل الله!..

التدريب في معسكر قطنا:

تم الإتفاق بيننا وبين طه الهاشمي على أن تذهب كتيبة الإخوان في موعد معين إلى معسكر قطنا للتدريب على أساليب القتال، واتفق قبل ذهابنا بيومين أن وصلت كتيبة من كتائب الإخوان في مصر لتشترك معنا جنباً إلى جنب في القتال في المكان الذي الححنا أن نكون فيه وهو مدينة القدس. وكان القتال فيها من أخطر المعارك، إذ كانت المعركة بين بيت وبيت، ولا يفصل بين مواقع المجاهدين العرب وبين اليهود إلا شارع ضيق لا يزيد عرضه عن بضعة أمتار في كثير من الأحيان.

إلى فلسطين:

بقينا في معسكر قطنا نحو شهر ونصف حتى حان موعد ذهابنا. فسافر الفوج الأول من إخواننا بقيادة الملازم عبد الرحمن الملوحي وصحبة البطل الشهيد عبد القادر الحسيني، وقد حضر هذا الفوج معه معركة «القسطل» التي استشهد فيها رحمه الله. ثم سافر الفوج الثاني وكان

معنا مجاهدون آخرون بقيادة ضابط مسيحي من أبناء فلسطين أذكر أن أسمه «عيسى» واجتزنا جسر اللنبي إلى فلسطين. وتقرر أن نتجه إلى «أريحا» قرب القدس، ثم ننتقل منها إلى القدس. وتوزعنا على بيوت قرية مجاورة اسمها «البيرة» على ما أظن، وكان من نصيبي أن أبيت تلك الليلة في بيت خوري القرية وقد لقيت منه ومن أسرته كل ترحاب وإكرام، واتفق فور وصولنا إلى «أريحا» أن جاءنا طلب النجدة لمعاونة المجاهدين في معركة «نيفي (النبي) يعقوب» فخرجنا في ظلام الليل إلى تلك المستعمرة وانقسمنا فريقين سار كل فريق في اتجاه، وضل دليلنا الفلسطيني طريقه في تلك الليلة المظلمة فاجتزنا منطقة صعبة تفيض بالمرتفعات والمنخفضات، ولما وصلنا إلى المستعمرة كان صوت القنابل والرصاص قد خف، وأخذنا مواقعنا الحصينة وراء الصخور، فسمعنا أصواتاً تدل على وجود جماعة كبيرة قرب المستعمرة، فكدنا نبدأ بإطلاق النار عليهم ظناً منا بأنهم من سكان المستعمرة اليهودية، ولكنا تريثنا حتى أرسلنا بعض الفدائيين يكتشفون أمرهم فعادوا يخبروننا أن تلك الجماعة هم الفريق الثاني من إخواننا.. كنا نرى بين حين وآخر أضواء خافتة تنبعث من المستعمرة فنوجه إليها نيراننا حتى إذا أوشك الصبح أن يطل علينا عدنا إلى أماكننا المخصصة لنا في القرية، وفي الصباح وجدنا فيها عدداً من مجاهدي «الجهاد المقدس» الذي تشرف عليه الهيئة العربية العليا، وبعد الظهر انتقلنا إلى بيت المقدس.

في المسجد الأقصى:

كان فرحنا عظيماً إذ أتيح لنا أن نداقع عن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وأن نستشهد في هذه البقعة المباركة، وقد وجدنا في القدس فوجاً من العراقيين المتطوعين يرأسهم المجاهد السيد فاضل رشيد عبد الله، عدا من كان فيها من مجاهدي القدس ممن تضمهم

منظمة «الجهاد المقدس» ثم توزع الإخوان على مناطق القدس العربية التالية: الشيخ جراح، المصرارة، سعد وسعيد، القطمون، وكان المسؤول عن المناطق الثلاثة الأولى الأخ عدنان الدبس، والمسؤول عن القطمون كلا من الأخوين: زهير شاويش والمرحوم كامل حتاحت. وتألف من إخواننا فريق الانضباط لحفظ الأمن في المدينة بقيادة الشهيد ضيف الله مراد، ثم انضم إليه بعد انتهاء معركة القطمون الأخ زهير شاويش الذي طارد اللصوص والفجار وأغلق الخمارات وأندية القمار، وقد شعر سكان المدينة بالأمن والطمأنينة منذ استلامنا انضباط المدينة فجاء وفد منهم إلى القيادة معرباً عن شكره وامتنانه، وبقي في القيادة عدد منّا للإشراف على الاتصال بين المراكز وأمور السلاح والذخيرة وكان يشرف عليهم الأخ لطفي السيروان.

وكان منامي في غرفة القيادة بالروضة المطلة على المسجد الأقصى مع الضابط فاضل عبد الله والملازمين عبد الرحمن الملوحي وجمال الصوفي.

معاركنا في القدس:

كان من واجبنا أن نضيق الخناق على يهود القدس الحديثة والقديمة، وكان فريق من مجاهدي الإخوان المصريين بإشراف الأخ محمود عبده وقيادة البطل الشهيد أحمد عبد العزيز يرابطون في «صور باهر» القرية العربية الواقعة جنوبي القدس، كما كان فريق من إخواننا الأردنيين بقيادة الأخ الحاج عبد اللطيف أبو قورة يرابطون في «عين كارم» الواقعة غربي القدس، وقد استطاع المجاهدون الفلسطينيون قطع الطريق الموصل من تل أبيب إلى القدس بعد معارك طويلة عند «باب الواد» اشتركت فيها مدفعية جيش الإنقاذ وحضرنا جزءاً منها، وبذلك أصبح يهود

القدس ومستعمراتها القريبة منها مطوقين تطويقاً تاماً، إذ كان العرب أيضاً يسيطرون على طريق القدس الشرقي لأنه طريق أريحا وعمان، كما كانوا يسيطرون على طريق القدس الشمالي إذ كان طريق نابلس العربية ويسيطر على مدخله حي الشيخ جراح العربي.

كانت المعارك بيننا وبين اليهود في أطراف القدس وداخلها مستمرة لا ينقطع فيها أزيز الرصاص والرشاشات والقنابل ساعة واحدة في ليل أو نهار من خلال نوافذ البيوت أو منعطفات الطرق أو الهجمات المباغتة على مراكزهم أو هجماتهم على مراكزنا، وكثيراً ما كانت ترسل النجدات المتعددة في يوم واحد إلى مراكزنا من المجاهدين الاحتياطيين الموجودين في مقر القيادة.

اشتداد المعارك بعد جلاء الانجليز:

ولما جلا الإنجليز عن فلسطين في ١٥ أيار (مايو) عام ١٩٤٨ أضافوا إلى سلسلة مؤامراتهم على العرب مؤامرة جديدة، إذ أخبروا اليهود سراً بواسطة بناتهم اللاتي كن يعاشرن الضباط الإنجليز عن موعد جلائهم عن المراكز العسكرية التي كانوا يحتلونها في منطقة القدس، وكانت كحاجز بين جماهير العرب وجماهير اليهود المدنيين مما كان يمكنهم من مزاولة أعمالهم والبقاء في بيوتهم، فلما تم احتلال اليهود لتلك المراكز يوم ١٥ أيار أصبح وضع العرب في القدس محرجاً لقلة المقاتلين والذخيرة عندهم مما يستحيل معه احتفاظهم بأكثر أحيائهم العربية في القدس الحديثة، وأذكر أننا خرجنا في صباح ذلك اليوم إلى مستعمرات «كفار عصيون» الواقعة جنوب القدس على طريق الخليل إثر معركة نشبت بين اليهود في هذه المستعمرات وبين كتيبة من الجيش العربي بقيادة الكولونيل عبد الله التل. وانتهت بتدمير المستعمرة الرئيسية تدميراً تاماً

واستسلام سكان المستعمرات المجاورة لها. وقد كان طريقنا إليها من باب الخليل في القدس مارين بحي منتوفيوري اليهودي الذي كان المجاهدون الفلسطينيون بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني قد دمروا أكثر أبنيته الضخمة، خرجنا في الصباح وكان الإنجليز يتأهبون لمغادرة القدس وقد اصطفت قوافل سياراتهم العسكرية في رتل طويل جنوب القدس. ولما انتهينا من الإشراف على استلام الأسرى اليهود الذين أبوا أن يستسلموا إلا للجيش العربي دون المجاهدين العرب، ونقلوا في سيارات الجيش العربي إلى عمان وقد قيل يومئذ أن من بين الأسرى بنت الزعيم اليهودي (وايزمن) ولم نتأكد نحن من ذلك لأن البنات الاسيرات اللواتي كن يقاتلن مع الرجال أبين أن يخبرن عن اسمائهن. لما انتهينا من ذلك كان الوقت قد أشرف على الغروب فلما اقتربنا من القدس كان اليهود قد قطعوا الطريق إلى باب الخليل باستحكاماتهم التي أقاموها على أطلال حي مانتوفيوري فوجدنا أنفسنا معرضين لنيرانهم مما اضطرنا إلى ركوب سيارة مصفحة كان المجاهدون المقدسيون قد غنموها من اليهود في إحدى معاركهم، ولما وصلنا مقر القيادة وجدنا الأمر قد تغير تماماً وأكثر سكان الأحياء العربية المتاخمة لليهود قد هجروها إلى داخل مدينة القدس.

معركة القطمون:

حي القطمون هو أهم حي عربي في القدس الحديثة واقع في جنوبها ويشبه إلى حد كبير حي «أبي رمانة» في دمشق إذ كان يقطنه سراة العرب المقدسيين وأعيانهم، وكانت تقع فيه أكثر القنصليات العربية، كما كان يسكنه الزعيم الفلسطيني المجاهد أحمد حلمي وقد أبى مغادرته بعد جلاء الإنجليز رغم خطورة الوضع فيه، وكان يزور إخواننا المرابطين في هذا الحي كل يوم تقريباً، ولما تم جلاء الإنجليز عن القدس أصبح وضعهم حرجاً إذ كانت فيه قنصليتا الأردن والعراق مع حراسهما، وفي

ذات يوم فوجىء إخواننا بانسحاب حراس القنصليتين ومن فيهما فشدد اليهود هجماتهم على إخواننا وعلى المجاهدين الفلسطينيين المرابطين في الحي نفسه بقيادة الشهيد البطل «أبي دية» رحمه الله، ولما احتل اليهود المنطقة التي كان يدافع عنها أبو دية بعد معركة عنيفة أصبح إخواننا محاصرين من كل جانب. ولم يكونوا أكثر من ٢٤ مجاهداً مع قليل من الذخيرة والعتاد وقد صمدوا لهجمات اليهود أكثر من ثلاثة أيام دون أن يستسلموا حتى وقعت هدنة بين القيادة العربية واليهود بواسطة الصليب الأحمر لمدة ٢٤ ساعة لنقل قتلى اليهود وجرحاهم، عندئذ انسحب إخواننا إلى داخل مدينة القدس وأصبح حي القطمون كله تحت سيطرة اليهود.

معركة الحي اليهودي في القدس القديمة:

ابتدأت قبل جلاء الإنجليز عن القدس بخمسة أيام، فقد كان اليهود من هذا الحي محاصرين منذ ستة أشهر يأتيهم طعامهم وحاجاتهم بواسطة الإنجليز، وأخيراً صمم المجاهدون على اقتحام الحي والتخلص منه، وكانت معركة من أشد المعارك التي خضناها في القدس أظهر فيها المجاهدون من البطولات ما يعجز عنه الوصف، فقد كانوا يتقدمون لنسف الحي اليهودي بيتاً بيتاً بأيديهم الرشاشات والقنابل تحت وابل من الرصاص والقنابل الذي كان يقذفه اليهود عليهم من نوافذ البيوت، وكلما انتهى المجاهدون من نسف بيت ابتدأوا بنسف بيت آخر وهكذا. كان الحي ضيق الطرقات جداً كما هو شأن الأحياء اليهودية القديمة في كل مكان، وكانت فيه ممرات تحت الأرض متصل بعضها ببعض بحيث يستطيعون العودة في الليل إلى ما فقدوه في النهار، وكثيراً ما كان يفاجأ المجاهدون وهم واقفون فوق أطلال البيوت بقنابل تلقى عليهم من قرب كما حدث لي ذات مرة، ولولا لطف الله لأصبنا إصابات بالغة. ولما غادر

الإنجليز القدس اشتدت هجمات المجاهدين العرب على الحي، كما اشتدت مقاومة اليهود، ثم اضطروا للتسليم لنفاذ ذخيرتهم بعد وقوع معركة القدس الكبرى التي سأتحدث عنها فيما بعد، وقد كان وفد المفاوضة منهم مؤلفاً من مختار الحي وهو يهودي عاش في فلسطين يتحدث العربية بطلاقة، ومن اثنين من الحاخامين أحدهما عراقي والآخر بولوني كان يتلو التوراة بلا انقطاع ومن شاب مدرس وفتاة كانت تدعي أنها ممرضة وتبين فيما بعد أنها من «الهاجانا» وهما يتكلمان العربية بطلاقة أيضاً وقد علمت من الفتاة أنها تتقن استعمال جميع أنواع السلاح من المسدس إلى مدفعية «الهاون». كما علمت من وفدهم أنهم لم يسلموا إلا لنفاد ذخيرتهم، أما الطعام فكان لديهم موجوداً رغم الحصار المفروض عليهم منذ ستة أشهر، وقد علمنا منهم أن الطعام كان يصلهم بواسطة الإنجليز قبل جلائهم، ومن كنيسة الأرمن المحاذية لهم بعد ذلك، وقد تولى قائد الجيش العربي الذي حضرت ومعه مدفعية صغيرة قبيل انتهاء معركة القدس أمور المفاوضات مع اليهود.. وكان المجاهدون يصرون على أن يأسروا جميع من في الحي انتقاماً من حوادث دير ياسين. ولكن قائد الجيش العربي كان يتصل دائماً بقادته في عمان وأخيراً جاء إليه الإيعاز بأن يتسلم أسلحتهم ويأسر القادرين منهم على القتال ويترك رجال الدين والنساء والفتيات ـ ولو كن مقاتلات ـ والعجزة والأطفال إلى الصليب الأحمر، وأن يسمح لهم بأخذ كل ما يستطيعون حمله من حلي ومال وثياب!.. وانتقلنا بعد ذلك إلى الساحة الكبرى في الحي اليهودي وكان اليهود قد تجمعوا فيه وكانوا مختلفين في حالة الجزع والخوف، فاليهود الأوروبيون وكلهم شباب وفتيان كانوا يتجلدون ولم نر واحداً منهم تدمع عيناه، أما اليهود العرب فقد كانوا في حالة من البكاء والرعب شديدة، ومن طرائف ما رأيته في ذلك اليوم أنه بينما كنا واقفين في ساحة

الحي اليهودي ننتظر حضور اليهود جميعاً إلى الساحة جاءني يهودي في نحو الستين وهو يبكي ويقول بلهجة دمشقية: يا سيدي! هذا عدل؟ أليس حراماً؟ قلت: له ماذا حصل لك؟ فأجابني وهو يبكي: يا سيدي لقد فقد طربوشي!.. فأجبته وأنا أتميز من الغيظ ولا أتمالك من الضحك؟.. لقد قتلتم في دير ياسين بناتنا وأطفالنا وفعلتم بهم أشنع الأفعال، أفلا يكفيك من عدالتنا اليوم أنك ضمنت حياتك وستكون في المساء عند إخوانك في القدس الحديثة؟ ومع ذلك تسأل عن الطربوش؟!.. وبعد انتهاء تجمعهم أفرز الشباب منهم برأي القائد العربي فلم يتجاوزوا مئة، مع أن مقاتليهم كانوا يزيدون على خمس مئة قطعاً، وأخرج من بينهم رجال الدين ولو كانوا شباباً والنساء مع أن أكثرهن مقاتلات، وانتقلنا إلى المستشفى فوجدناه مليئاً بمن يتظاهرون أنهم من الجرحى إذ كانوا قد عصبوا أيديهم ورؤوسهم وأرجلهم بعصائب، فأبينا إلا أن نفتش عن كل واحد منهم، وكان معنا طبيب عربي، وتبين بعد الفحص أن أكثر عصائبهم كانت تمويها فضممناهم إلى الأسرى من الشباب. أما السلاح فلم يسلمونا إلا قطعتين أو ثلاثة، وسألناهم أين سلاحكم؟ فرفضوا أن يجيبوا وفتشنا في البيوت فلم نجد شيئاً، فغلب على ظننا أنهم ألقوها في الآبار البعيدة الغور، وبعد أن تم تسليم غير المأسورين إلى الصليب الأحمر دخل المجاهدون إلى بيوتهم فتبين أنهم قد زرعوا أبواب البيوت بالقنابل المتفجرة مما حملنا على أن نخصص بعضاً من المجاهدين لتتبع هذه القنابل والتقاطها قبل انفجارها، وقد أصيب بسبب ذلك الأخ إبراهيم حذاقي مما أدى إلى بتر معصمه الأيمن بعد أن حمل قنبلة ليرميها بعيداً فانفجرت وهي بيده.

أما سكان القدس من العرب فقد تجمعوا في الشوارع ليشهدوا الأسرى، وكانوا يريدون التقاط صور لهم ولكن قيادة الجيش العربي أبت ذلك وأخرجتهم من القدس قبيل الفجر لئلا يراهم أحد، وهكذا انتهت

معركة الحي اليهودي وغادرناه والدمار قد حاق بأكثره، والحرائق التي أشعلها اليهود قبل مغادرتهم قد أتـت على الباقي..

نسف الكنيس اليهودي:

تميزت معركة الحي اليهودي في القدس بحادث كان له وقع أليم جداً في نفوس اليهود، ذلك أنه يوجد لهم فيه أقدم كنيس في فلسطين وربما كان في العالم كله، وهو بناء ضخم مستدير له قبة عالية، وهو يشرف على صحن المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ولهم فيه أقدم نسخ التوراة المتوارثة عندهم منذ مئات السنين مكتوبة بخط عبري واضح على جلد سميك، وقد اتخذ اليهود هذا الكنيس مركزاً حربياً يطلقون منه نيران بنادقهم ورشاشاتهم على المسلمين المتجولين في حرم المسجد الأقصى، ولما تمادوا في هذا العمل انذرناهم بواسطة مكبرات الصوت أننا سننتقم منهم وسنهدم الكنيس إذا استمروا في استغلال أماكن العبادة للأعمال العدوانية. ولكنهم ازدادوا في العناد فوضعوا أكياس الرمل على سطح الكنيس حول قبته واستمروا يطلقون من ورائها النيران على الحرم القدسي وعلى مقر قيادتنا في الروضة، حتى إذا بدأت معركة الحي اليهودي وتمكن المجاهدون من نسف قسم كبير من بيوته وأصبحوا على مقربة منه قرروا نسف الكنيس، وفي ساعة من ساعات النضال في هذه المعركة وضعت المتفجرات في أنحاء متعددة من أسسه بما يزن أكثر من نصف طن من الديناميت ثم أشعلت النيران في أسلاك الديناميت، فما أتت دقائق حتى كان هذا الكنيس الضخم تتهاوى جدرانه السميكة وينقض جزء من قبته ويملأ الركام أرجاءه. وهكذا تخلص المجاهدون من مركز قوي من مراكز العدوان اليهودي في ذلك الحي. ولما استسلم اليهود ووقفنا في ساحة الحي نشرف على تنفيذ شروط الاستسلام قال لي أحد أعضاء وفد الاستسلام اليهودي والمرارة تأكل قلبه: لقد أخطأتم بنسف الكنيس

وستندمون فقلت له: لقد أنذرناكم أكثر من مرة بعدم اتخاذه مركزاً للعدوان فلم تستجيبوا، أما أن نندم فهذه معركة قائمة بيننا وبينكم ولم يمنعكم إجرامكم من قبلها أن تعتدوا على قبة الصخرة وتنسفوا المساجد في يافا وحيفا ودير ياسين وغيرها. ولما تم جلاء اليهود عن الحي أخذ فريق من المجاهدين يتفقدون الكنيس المتهدم فوجدوا بين الأنقاض أكثر من نسخة من التوراة ضمن صناديق فضية مستطيلة، وقد أهدى بعضهم قطعاً منها إلى بعض ملوك العرب ورؤسائهم واحتفظ بعضهم بنسخة كاملة منها.

معركة القدس الكبرى:

لما تم جلاء الإنجليز عن القدس وكان الحي اليهودي لم يستسلم بعد، أدركنا حرج موقف حامياتنا في القدس الحديثة، وأن اليهود سيبذلون قصارى جهدهم لإنقاذ إخوانهم المحاصرين في الحي اليهودي، وكانت الذخيرة عندنا قليلة، بل إن فوج اليرموك وكان فيه إخواننا وعدده أكثر من خمسمائة مجاهد كانت بنادقه ورشاشاته كلها من النموذج الألماني ولم يبق لديهم من الذخيرة إلا نزر قليل جداً، مما حملني على أن أغادر القدس إلى دمشق طالباً من قيادة جيش الإنقاذ تزويدنا بما نحتاج إليه من الذخيرة استعداداً للمعركة المرتقبة، وقابلت طه الهاشمي وعرضت عليه ما جئت من أجله، ففاجأني بقوله: أن فوج اليرموك قد سحب من القدس إلى مقر قيادة القاوقجي فلماذا تطلب الذخيرة الألمانية؟ وهنا أدركت مصير معركتنا التي وضعت بأيدي مثل هذا الرجل، فقلت له: ومتى سحب فوج اليرموك؟ قال: منذ أسبوع، فقلت: إنك أرسلت برقية إلى قائد فوج اليرموك تطلب إليه أن يلتحق شخصياً بفوزي القاوقجي نظراً لتبرم المجاهدين من جهله وغباوته وجبنه، أما فوج اليرموك فلا يزال في القدس وإخواننا فيه وأنا الآن قادم من القدس وبنادقنا خاوية من الذخيرة،

فأجابني بكل صلف: «ماكو عندنا ذخيرة المانية» أي لا يوجد، فخرجت من عنده إلى رئيس الجمهورية وعرضت عليه الأمر، فاتصل بالهاشمي وطلب إليه أن يعطيني ذخيرة المانية، فلما عدت إلى الهاشمي وجدته مربد الوجه وخاطبني بقوله: «كيف ننجح وكل شيء عندنا بالوساطات؟!...» قلت له: إنني لا أتوسط لوظيفة عندك، ولكن أتوسط لنموت في المعركة موت الشرفاء!... فأجابني: إنني أمرت باعطائك خمسة آلاف طلقة إكراماً لرئيس الجمهورية! فقلت له: هذه سينال منها كل بندقية عشر طلقات، ونحن في القدس نتناوش مع اليهود في كل ساعة فماذا نستطيع أن نقاوم بهذه الرصاصات العشر؟ فألح في عناده وخرجت من عنده مغضباً إلى وزير الدفاع فعرضت عليه الأمر فاعتذر بأنه ليس عندهم ذخيرة ألمانية، وفي نهاية الحديث قال أنه سيتصل بالقيادة العربية العليا للجيوش العربية في عمان ويطلب منها إجابتي إلى طلبي. وقبل مغادرتي دمشق اتصلت به هاتفياً فأكد أنه اتصل بعمان ووعدوه بإجابة طلبي، وعدت إلى عمان في نفس اليوم واتصلت بالقيادة العامة فكانوا مدهوشين من دعوى وزير الدفاع إتصاله بهم، وقالوا أنه يعلم أن ذخيرتنا كلها إنجليزية فمن أين نأتيك بالذخيرة الألمانية؟ ولما يئست منهم اتصلت بأعضاء لجنة الدفاع عن فلسطين في عمان وكلهم من خيرة التجار السوريين والأردنيين في العاصمة، وعرضت عليهم الأمر وطلبت منهم النجدة فأسرعوا يشترون كل ما وجدوه في السوق من ذلك، وزادوا عليه عديداً من القنابل وبعض الأسلحة، فعدت إلى القدس وقد حملت من عمان آلاف الطلقات التي تمكننا من الاستمرار في المعركة ساعات، وكان وصولي قبيل الغروب بدقائق، ووجدت معركة الحي اليهودي مشتدة في ذلك اليوم، وقد جرح فيها الملازم الملوحي وما يزيد على أربعين من إخواننا واستشهد فيها ما يزيد على سبعة من شهداء الإخوان، ووجدت

القائد فاضل عبد الله مستلقياً على فراشه مستغرقاً في نوم عميق من شدة الإعياء والسهر في الليالي الخمس المواضي، حتى إذا كان الوقت الساعة العاشرة ليلاً جاءتنا أنباء من جميع حامياتنا على أبواب مدينة القدس بأن اليهود قد شنوا هجوماً عاماً على مختلف الأبواب، وركزوا هجومهم على باب الخليل الملاصق للحي اليهودي، عندئذ بدأت أوزع الرصاص على المجاهدين، ولما اشتد الهجوم الذي شنه اليهود على باب الخليل بما يقرب من عشرة مصفحات وآلاف المقاتلين، ولم أجد بداً من الاستنجاد بإحدى العواصم العربية فطلبت كبار المسؤولين باسم قائد حامية القدس، ثم أيقظت القائد فاضل عبد الله واخبرته بخطورة الوضع وأني قد طلبت كبار المسؤولين في العاصمة العربية باسمه، وتم الاتصال بينه وبين كبير منهم وأعلمه بخطورة الوضع في القدس وطلب منه إرسال نجدة عسكرية على وجه السرعة فاعتذر عن ذلك وقال له وأنا أسمع: إذا وجدتم أنفسكم في موقف حرج فانسحبوا من القدس، فأجابه القائد: إن في القدس عدا أهلها ما يزيد على عشرين ألفاً من اللاجئين إليها بعد مجزرة دير ياسين، فإذا احتلها اليهود فستكون مجزرة لم يسمع بها التاريخ فأجابه المسؤول الكبير وهو يظن أن حامية القدس كلها من بلده: أنا آمرك بالانسحاب وأنتم عندنا أغلى!.. وهنا لم أتمالك من أن أقول له: إن الحامية تقسم أن لا يدخل اليهود القدس إلاّ على أشلائها، فإما أن تنجدونا وإما أن نقاتل حتى نستشهد جميعاً، وهنا جاء من يقول لنا: أن اليهود قد اقتحموا باب الخليل! فتركنا الحديث مع تلك العاصمة العربية! وأسرعنا إلى إخراج كل من كان في القيادة من الجنود حتى الجرحى ووزعنا عليهم كل ما كنت استحضرته من الرصاص والذخيرة من عمان، وأسرعنا إلى باب الخليل، وشاع في البلدة أن اليهود قد اقتحموا باب الخليل فخرج النساء والأطفال من بيوتهم وكان الكهرباء منقطعاً، وسمعنا

منادياً يقول: يا أهل القدس كل من عنده سلاح فليذهب إلى باب الخليل، وهرع الشباب والمقاتلون إلى هناك حيث تبين لنا أن اليهود لم يستطيعوا اقتحام باب الخليل للدفاع البطولي الذي قامت به الحامية هناك وتحصن المجاهدون ومن هرع من أهل القدس وراء المتاريس عند باب الخليل وفوق أسواره وابتدأت المعركة الكبرى منذ الساعة الحادية عشرة ليلاً حتى الخامسة صباحاً كان فيها صوت الرصاص والقنابل والديناميت يضج الآذان بلا انقطاع، فلما انبلج الصباح انسحب اليهود وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً وخلفوا وراءهم مصفحة قد دمرت وبعض القتلى الذين لم يستطيعوا سحبهم معهم.

وعاد المجاهدون إلى أماكنهم والمناضلون المقادسة إلى بيوتهم وعدنا إلى مقر القيادة فوجدنا ذلك المسؤول العربي الكبير يتصل بنا هاتفياً ليسألنا عن أنباء المعركة، فأجابه قائد حامية القدس بأن الله قد نصرنا وأعاننا على صد هجوم اليهود ولكن ذخيرتنا قد نفذت فإذا لم تصلنا نجدة عسكرية في هذا اليوم فإننا في خطر شديد إذا عاود اليهود الهجوم. وفي عصر ذلك اليوم وصلت قوة من المدفعية الصغيرة معها بعض الجنود. وبدأت تضرب الحي اليهودي من مشارف القدس، فارتفعت معنويات سكان القدس ودب الهلع في قلوب اليهود المحاصرين، وبعد ثلاثة أيام استسلم الحي اليهودي كما أسلفنا من قبل.

واتفق عدد من شباب القدس بعد انتهاء معركة الحي اليهودي على أن يتوجهوا إلى بعض العواصم العربية للإلحاح في إرسال بعض القوى العسكرية التي كانت قد وزعتها القيادة العربية العامة في انحاء فلسطين إلى القدس حتى لا يتكرر الهجوم عليها، وجئت إلى دمشق وقابلت كبار المسؤولين، وحكيت لهم قصة القدس فتعجبوا وقالوا أن الأخبار التي تذاع من إحدى العواصم العربية وتنشرها الصحف تفيد بأن القدس

الجديدة قد استسلمت للعرب!.. فكيف تقول أنكم محاصرون في القدس القديمة؟ وأجبتهم بأنني قادم هذه الساعة من القدس وأنا أحكي لكم القصة على حقيقتها، فاتصلوا بأمين الجامعة العربية الذي كان موجوداً في تلك العاصمة العربية فأكد لهم صدق حديثي وأن الحالة سيئة، وهنا قال أحدهم: لقد دخلنا معركة فلسطين ونحن لا نعلم حقيقة قوة الأعداء! فقال الآخر مستدركاً: لقد كنا نعلم حقيقتهم تماماً وهذا تقرير صفوت باشا قد تبين لنا انطباقه على الواقع، وهنا قلت له: إذا كنتم تعلمون حقيقة استعداد اليهود فكيف أعددتم جيش الإنقاذ لينقذ فلسطين وهو لا يزيد على أربعة آلاف غير مدربين تدريباً كافياً وليست له قوة جوية ولا مدفعية إلا مدفعية بسيطة جداً مع أن في القدس الحديثة وحدها عشرة آلاف مقاتل يهودي؟ فأجابني: إننا لم نرسل جيش الأنقاذ ليحارب بل ليقوم بمهمات مؤقتة!.. فقلت له: ولهذا كان أكثر جيش الأنقاذ يتنزه في مناطق عربية بحتة كنابلس بينما كانت حيفا ويافا وغيرها تسقط بأيدي اليهود وكانت مجازر دير ياسين تقع على سمع هذا الجيش وبصره!.. فسكتوا جميعاً...

ثم عدت إلى القدس مع الأخ الأستاذ عمر الأميري الذي جاءها لأول مرة.

وبعد أيام قليلة وقعت الهدنة المشؤومة وجاءتنا الأوامر من قيادة جيش الانقاذ بدمشق بالانسحاب من القدس وتسليمها للجيش العربي بحجة أننا سنرسل إلى الجبهة السورية.

العودة إلى دمشق:

كنا نشعر ونحن في قلب معارك القدس أن هناك مناورات تجري في الصعيد الدولي وفي أوساط السياسات العربية الرسمية العليا لجعل التقسيم

أمراً مفروغاً منه، ولجعل القدس تخرج من أيدي العرب والمسلمين. فتشاورنا في كتيبة الإخوان فيما يجب علينا فعله بعد صدور الأوامر إلينا بالانسحاب من القدس كما أسلفت، فقر رأينا على أننا لا نستطيع مخالفة الأوامر الصادرة إلينا بمغادرة القدس لاعتبارات متعددة، وأننا بعد وصولنا إلى دمشق سنرسل بعض الإخوان خفية إلى القدس مرة ثانية لدراسة ما إذا كان بالإمكان عودتنا بصورة إفرادية لنتابع نضالنا في الدفاع عن فلسطين، وعدنا إلى دمشق مع سائر أفراد الحامية وقيادتها التابعة لجيش الانقاذ، حيث تسلمت قيادة جيش الانقاذ أسلحتنا، ووعدت باستدعائنا مرة ثانية عند الحاجة...

ووجدت من واجبي أن أكشف الحقائق التي تبينتها بنفسي في هذه المعارك لما وجدته من انخداع الجمهور بما يذاع ويكتب بإيحاء من مصادر عربية رسمية معينة، وألقيت في ذلك محاضرات في كل من دمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية ودير الزور وغيرها من المدن السورية، وذهل الجمهور لما أبديته من حقائق لم تكن معروفة لديهم تماماً، حتى شك بعضهم فيها ثم انكشف الأمر وتبين صدق ما أدعي عن العوامل الخفية والظاهرة التي كانت تُسيِّر معركة فلسطين.

هذا بينما كان فريق من إخواننا المجاهدين قد عادوا إلى فلسطين خفية لتنفيذ ما اتفقنا عليه، ومن بين العائدين الإخوان: زهير شاويش، المرحوم كامل حتاحت، الشهيد ضيف الله مراد، وهناك انضموا إلى فرقة التدمير في القدس حيث قاموا بأعمال بطولية رائعة من نسف الجسور والمستعمرات والسكك الحديدية التي كان يسيطر عليها اليهود، وحسبنا أن نعلم أن سكة حديد القدس ـ التي لم يستطع اليهود إصلاحها واستعمالها إلا بعد مرور سنة ونصف على تدميرها. وظل إخواننا هؤلاء على تعاون مع فرقة الإخوان المسلمين المصريين بقيادة الشهيد أحمد عبد العزيز،

وهناك استشهد الأخ ضيف الله مراد في عمل فدائي يعد من أروع آيات الإيمان والفداء. . .

بعض الملاحظات على معركة فلسطين:

أقف عند سرد الوقائع التاريخية عند هذا الحد، على أن أكتفي بتسجيل الملاحظات التالية:

١ ــ إن جيش الإنقاذ الذي ألفته الجامعة العربية ووكلت قيادته إلى فوزي القاوقجي لم يكن إلا تسكينا لشعور العرب الهائج في كل بلد، وأنه لم يكن يقصد منه جدياً أن يقاتل ويمنع سقوط المدن والقرى العربية بأيدي اليهود.

٢ ــ إن قيادة جيش الإنقاذ لم تخض معركة جدية واحدة في فلسطين، فالقاوقجي كان مقيماً قرب نابلس في منطقة عربية بحتة، وصفوت باشا وطه الهاشمي لم يدخلا فلسطين قط ولم يكونا يعرفان حقيقة الاوضاع في فلسطين بل كان مقر الهاشمي في دمشق وكان صفوت باشا يتنقل بين القاهرة ودمشق.

٣ ــ إن جيش الإنقاذ كانت مهمته تحطيم منظمة «الجهاد المقدس» التي انخرط فيها الشباب الفلسطينيين وأبدوا من البطولات ما سجله لهم التاريخ بإعجاب وإكبار، وكان قائدها الشهيد البطل عبد القادر الحسيني يحاول أن يحصل من الجامعة على قدر كاف من الأسلحة فخاب مسعاه، حتى أنه حين جاء إلى معسكر قطنا ليأخذ معه الفوج الأول من إخواننا قال: إنني طلبت منهم مدفعاً واحداً فرفضوا وأعطوني مائة بندقية لا تصلح إلا لوقود النار، وهذه هي معي في السيارة، ونظرنا فإذا ببنادق من العهد الفيصلي في أعقاب الحرب العالمية الأولى وأكثرها معصب بعصائب من الحديد، ثم تابع الشهيد قوله: إنني ذاهب إلى فلسطين لاسترد «القسطل»

وسأموت ولن أترك بلادي فلسطين طعمة للاعداء!.

الشهداء:

* تيسير طه: كان رحمه الله من خيرة الشباب إيماناً وأخلاقاً وذكاءً ونشاطاً، أصر على أن يلتحق بكتائب الإخوان منذ اللحظة الأولى، ولكن أقرباءه منعوه بالقوة إذ كان بينه وبين موعد زفافه أسبوع واحد، وكانت تخنقه العبرات كلما رآني قادماً من القدس إلى دمشق لبعض الأعمال المتعلقة بالمعركة هناك، وفي يوم ١٧ أيار (مايو) ١٩٤٨ حين قدمت دمشق لأخذ الذخيرة كما تحدثت في هذا المقال، فاجأني في المركز العام للإخوان وهو بلباس الميدان مع صديقه الحميم الأخ الدكتور زهير البيك وكانا يدرسان الطب في السنة الرابعة في كلية الطب بجامعة دمشق، وأصرا على الذهاب معي في نفس السيارة التي أعود فيها إلى القدس، فسألته: هل رضي والدك! قال: نعم، قلت: كيف استطعت أن تقنعه؟ قال: لقد كان يقرأ القرآن اليوم بعد صلاة الفجر وأنا أسمع، فتلا قوله تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ فقلت لأبي: ألا تؤمن بما جاء في هذه الآية الكريمة؟ قال: بلى! قلت: فلم تمنعني من الجهاد في فلسطين؟ قال: فسكت قليلاً ثم قال لي: اذهب فالآجال بيد الله. وغادرنا دمشق مع الأخوين تيسير وزهير البيك، وكان الشهيد تيسير في حالة من الفرح لا توصف، ووصلنا عمان قرب العصر، وأخذت الذخيرة منها كما تحدثت سابقاً وأسرعت بالسفر إلى القدس بعد الغروب على أن يلحق بي الإخوان فيما بعد، وناما ليلتهما تلك في عمان، وبعد عصر اليوم الثاني في ١٨ أيار وصلا إلى القدس، وكان المستشفى يغص بجرحى المجاهدين، فأقنعتهما بأن يكون عملهما في المستشفى لأننا أحوج إليهما فيه من ميدان القتال، ونبهت الأخ المشرف

على السلاح بأن لا يسلمهما سلاحاً مهما أصرا على ذلك، وقمت في تلك الليلة بجولة أتفقد فيها مراكز حاميات الإخوان، ثم عدت إلى مقر القيادة قريباً من الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، ونمت - كعادتنا - في ثياب الميدان الكاملة استعداداً لكل طارىء، وفي الساعة السادسة صباحاً أيقظني الأخ لطفي السيروان قائلاً: حبذا لو تذهب إلى المستشفى! قلت: وهل هنالك شيء جديد؟ قال: لقد جرح الأخ تيسير! فذهلت وقلت: من أين أخذ السلاح؟ وكيف كان ذلك؟ قال: لقد وردتنا في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل إشارة بطلب نجدة سريعة لحامية «باب العامود» فأيقظنا عدداً من المجاهدين وأصر تيسير على أن يذهب هو وصديقه زهير معهم، وذهبا مع المجاهدين إلى مكان المعركة، واستمر تيسير ساهراً في المعركة حتى بزغ الفجر، فقام مع إخوانه لأداء صلاة الصبح بعد أن تيمموا إذ لم يجدوا ماء، فلما أتموا الصلاة عاد تيسير إلى مكانه فإذا برصاصة تخترق جمجمته من جبهته! لما قص علي الأخ لطفي السيروان ذلك نهضت مسرعاً معه إلى المستشفى فوجدت الشهيد في غيبوبة تامة وهو يحشرج، وسألت كبير الجراحين هل هناك أمل من إجراء عملية جراحية تنقذ حياته، فأجابني بالنفي ومع ذلك فقد أجريت له عملية جراحية سريعة تبين منها أنه أصيب برصاص «دمدم» الذي يمزق كل ما حوله، وبعد ساعات صعدت روح الشهيد إلى بارئها راضية مرضية، وأجمع رأي إخواننا على أن نحمل جثمانه إلى دمشق وامتطيت سيارة تحمل الجثمان حيث أودعناه في إحدى غرف المركز العام للإخوان في السنجقدار ثم شيع إلى مرقده الأخير في «دوما» في موكب رهيب احتشدت له دمشق ودوما رحمه الله وأجزل مثوبته.

* ضيف الله مراد: كان رحمه الله في شرطة دمشق فلما تجهزنا للذهاب إلى معسكر قطنا جاءني يطلب إلي أن أتوسط له مع مدير الشرطة

العامة (وكان يومئذ حسني الزعيم) للسماح له بالسفر معنا إلى فلسطين حيث رفض الموافقة على ذلك، فاتصلت بحسني الزعيم ورجوته السماح له فوافق، وجاءنا الشهيد رحمه الله فرحاً بهذه الموافقة، واستمر في المعركة حتى عدنا إلى دمشق أخيراً وأصر على أن يكون مع العائدين إلى القدس لدراسة الموقف هناك، وجاءني من والدته رجاء بأن لا أسمح له بالعودة لأنه أكبر أخوته وهو يعيلهم مع والدته، فحدثته بذلك فأبى. وبعد جدال طويل بيني وبينه قال لي بلهجة حازمة: أستحلفك بالله أن تسمح لي بالعودة فإني والله أشم رائحة الجنة فلا تمنعني من الشهادة!... ودمعت عيناه وكانت لحظة رهيبة دمعت فيها عيناي أيضاً لجلال روعة الإيمان والفداء، ثم سافر مع إخوانه، وهناك في «صور باهر» قرب بيت المقدس أكرمه الله بالشهادة كما كان يتمنى، تغمده الله برضوانه.

* **الرقيب هاشم**: من أرمناز من محافظة حلب، وكان أول من استشهد من إخواننا في القدس حين كان في حامية «حي القطمون»، وله ثلاثة أولاد صغار، وقد دفن في القدس رحمه الله.

* **محمد قباني**: كان بطلاً من أبطال المصارعة في النادي الرياضي للإخوان بحمص، وكان مثالاً للجرأة والشجاعة، دفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

* **محمد عرنوس**: من اللاذقية كان يعيل أختيه وأمه وقد استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

* **محمود الدندشي**: من حمص وأب لعدة أولاد صغار، استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

* **محمد الصباغ**: استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

* راشد طالب: استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

* نايف حسن عودة: استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

* راضي الجوهري: كان من بين الذين التحقوا بنا من إخوان نابلس في فلسطين، وقد استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى، رحمه الله.

وبعد فهذا هو الدور العسكري الذي قام به إخوان سوريا في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أما الدور العسكري الآخر الذي ساهم فيه إخوان سوريا مع إخوانهم الأردنيين والفلسطينيين في معسكرات فتح عام ١٩٦٧ وقيامهم بعمليات داخل الأراضي المحتلة فستحدث عنه بعد قليل.

معركة باب الخليل:

من كتاب النكبة لعارف العارف صفحة ٢/٤٣٥

يقول: حدثني الأستاذ مصطفى السباعي مرشد الإخوان المسلمين السوريين وقد حضر معركة باب الخليل أن عدد المجاهدين الذين دافعوا عن القدس في تلك الليلة كان ٧٧٥ مجاهد منهم ١٧٥ فلسطينيون (بوليس وجهاد مقدس) ومئة أردنيون (سرية الحسين وسرية بنكو) وعشرة إخوان سوريون وأربعمائة من فوج اليرموك (جيش الأنقاذ) أما سلاحهم فبنادق عادية وقنابل يدوية وقد نفعهم ... ١٥ (خرطوش) طلقة أمدتهم بها لجنة الدفاع عن فلسطين التي ألفها كرام القوم في عمان كما استفادوا من الكمية الكبيرة من الديناميت التي كانت بحوزة المجاهدين الفلسطينيين. أما الجيش العربي فلم يشترك في تلك المعركة حتى ولا قدم للمجاهدين أية مساعدة. علماً أن الدكتور مصطفى السباعي وفاضل رشيد راجعا

المسؤولين في عمان فاتصلا أولاً بالقصر فقيل لهما أن الملك نائم ثم اتصلا بالأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق وكان يومئذ في عمان فقال لهما: عندما تجدون أنفسكم في ضيق انسحبوا، ولما ذكراه بحادث دير ياسين قال: إنكم في نظرنا أغلى من دير ياسين، وكان ظنه أنهما عراقيان ولما رأى السباعي الصدَّ من عمان اتصل بشكري القوتلي رئيس الجمهورية بسورية ويا للحيرة فقد رد القوتلي على السباعي قائلاً أن ممثله البرازي أخبره من عمان نقلاً عن الملك عبد الله أن الوضع في القدس جيد.

وما دمنا عند ذكر الإخوان المسلمين السوريين فلا بد لنا أن نذكر والشيء بالشيء يذكر أنه اشترك من هؤلاء الإخوان في حرب فلسطين زهاء أربعمائة أخ مئة منهم بقيادة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي وهو أستاذ في الجامعة السورية والباقون انخرطوا في صفوف جيش الإنقاذ وقد استشهد منهم أحد عشر شخصاً وجرح زهاء خمسين. وما كاد الليل يولي أدباره ويطلع النهار حتى كان النصر معقوداً للعرب وقد أصيبت هذه الناحية بأضرار فادحة في الممتلكات من جراء هذه المعارك إذ دمر الجزء الأعظم من المنازل والمكاتب والفنادق والحوانيت وقد قتل في هذه المعركة زهاء خمسين مقاتلاً من اليهود وجرح كثيرون ولم يقتل من العرب سوى ستة مجاهدين وجرح وأصيب خمسة وثلاثون وقد أصيب المجاهدون بإعياء شديد.

دور الإسلاميين السوريين في الجهاد
عام ١٩٦٨ - ١٩٧٠ م

بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ وسعت منظمة فتح نشاطها فانشأت الجبهة المساندة من غير الفلسطينيين وأرادت أن تعتمد على عناصر خلوقة مقدامة مخلصة للقضية الفلسطينية في قيادة العمل الجهادي نظراً لكثرة المتطوعين الذين أقبلوا على التطوع في صفوفها فعرضت على الإخوان التعاون معها في هذا السبيل، فقد عرفت صدق جهادهم عام ١٩٤٨ فمنهم من استجاب ومنهم من اعتذر وكان السوريون ممن اعتذر غير أن الشباب المسلم أبى إلا أن يساهم في هذا العمل الجهادي فتجمعوا حول الشيخ الحموي مروان حديد فدعوا إلى البذل والجهاد تحت إمرة منظمة فتح وكان المتطوعون حوالي ألف مجاهد منهم ٢٥٠ من الإخوان وسبعماية من أنصارهم ساهم من حماة وحدها مائة وستون مجاهداً وبعد إنهاء مرحلتي التدريب والتسليح انتشروا على طول الحدود الأردنية وساهموا مساهمات فعالة في الرصد وعمليات الإقتحام واستشهد منهم العشرات يذكر محدثي منهم الشهداء مهدي إدلبي ونصر عيسى وزهير سعدو وأبو عمر ومحمود البرقاوي ورضوان كريشان ورضوان بلعة الدمشقي. أما نشاطهم فقد كان مع باقي إخوانهم في البلاد العربية ضمن معسكرات الشيوخ التي سنتحدث عنها بعد قليل.

دور الإسلاميين العراقيين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨

لما أعلن قرار التقسيم سارع الشيخ محمد محمود الصواف إلى فضيلة الشيخ أمجد الزهاوي واتفقا على دعوة كبار رجالات العراق عسكريين ورجال أعمال ممن يهتمون بالقضايا العربية والإسلامية لتدارس الموقف واتخاذ الخطوات المناسبة لتحرير الأرض المغتصبة واتفق المجتمعون على تأسيس جمعية إنقاذ فلسطين برئاسة الشيخ أمجد الزهاوي ومن خلالها مارس الإخوان المسلمون نشاطهم في التعبئة العامة بعد أن رفضت حكومة العراق ترخيص جمعية لهم. ولقد استطاعت جمعية الإنقاذ من تجنيد ثلاثة كتائب هي الحسين واليرموك والقادسية واستطاعوا تسليحها وتجهيزها من تبرعات المحسنين السخية بعد أن رفضت حكومة العراق آنذاك مساعدتهم بشيء. وقد سافر الشيخ الصواف بنفسه إلى فلسطين ليشارك إخوانه شرف الجهاد وشاهد بنفسه عدم جدية المسؤولين في معركة التحرير. ولنستمع الآن إلى مذكرات الشيخ الصواف في حرب فلسطين من كتابه سجل ذكرياتي من صفحة ١٦٨ ـ ٢٠١ قال فيها ما يأتي:

ما إن صدر قرار التقسيم من هيئة الأمم حتى قامت المظاهرات الصاخبة وتعطلت الدوائر والمدارس والأسواق وسارت مئات الألوف تجوب شوارع بغداد تهتف ضد قرار التقسيم وقيام إسرائيل كدولة على

أرض فلسطين العربية المسلمة، وكنت على رأس هذه المظاهرات أخطب فيها وأشعل الحماس بينها، وأوجهها حتى حملني المتظاهرون على رقابهم وأكتافهم طوال شارع الرشيد. واستمرت هذه المظاهرات قرابة أسبوع وأنا أقودها وأوجهها في كل يوم منذ الصباح حتى الظهر ولقد هيأوا لي سيارة «بيكاب» أمتطيها وأنا على سطحها ومكبرات الصوت وأعلام الهيئآت والجماعات حول السيارة وأنا أخطب في اليوم أكثر من خمس ساعات حتى بح صوتي أخيراً والإذاعة كانت تنقل الكثير من خطبي وكلماتي. ولما وصلت جموع المتظاهرين إلى البلاط الملكي بطريق الأعظمية خرج إلينا الوصي على عرش العراق عبد الإله ووقف إلى جانبي حيث استقبلته على رأس المتظاهرين فطلب مني أن أشكر المتظاهرين باسمه وباسم الملك فيصل الثاني وأن أخبرهم بأنهم أي الدولة ستبذل ما في وسعها للاستجابة لمطالب الشعب في قضيته الأولى فلسطين، وفعلاً نفذت الطلب وكلمت المتظاهرين بما يطمئنهم ثم خاطبت الوصي وطلبت من الدولة أن ترسل الجيش العراقي وتقوم بواجب الجهاد في الأرض المقدسة فلسطين إلخ.. وأقول اليوم: من المؤسف أنهم لم يفعلوا شيئاً قط والإنكليز لعنهم الله وأوردهم موارد الهلكة خططوا لهم وحفروا لهم قبورهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من المآسي المحزنة والمؤسفة.

جمعية إنقاذ فلسطين:

كان أول اجتماع لنا بدار أخينا البر الكريم المحامي عبد الرحمن خضر رحمه الله الذي عمل معنا بإخلاص وصدق يداً بيد وكانت له مواقف مشكورة مبرورة في العمل الإسلامي، ولما عين مديراً عاماً للأوقاف نهض بهذه الدائرة التي كانت شبه ميتة وزاد في رواتب العلماء والأئمة والخطباء ووضع جوائز مجزية لحفظ القرآن الكريم وكان رحمه الله يراقب المساجد بنفسه ويصلي الفجر كل يوم في مسجد ليرى

قبل يحضر الإمام هذه الصلاة التي تقلصت في كثير من المساجد لضعف الأئمة وقلة المصلين وغياب الدعاة إلى الله وقد نقلني رحمه الله من التدريس لأكون مفتشاً للمساجد.

اجتمعنا اجتماعاً مصغراً أولاً وكان على رأس الاجتماع شيخنا المبارك الشيخ أمجد الزهاوي رحمه الله وكذا الاستاذ عبد الرحمن خضر والأستاذ محمد طه الفياض العاني وبعض الأحبة من العلماء وأنا معهم وبعد المداولات قررنا إنشاء جمعية خاصة لقضية فلسطين لنقوم بواجب التطوع والتبرع والجهاد الفعلي لهذه القضية الخطيرة، ثم وضعنا قائمة كبيرة بأسماء شخصيات كبيرة عسكرية ومدنية وعلمية وسياسية، ووجهنا لهم الدعوة إلى لقاء خاص على عشاء بدار أخينا الأستاذ عبد الرحمن خضر المحامي وكانت داره واسعة ومطلة على نهر دجلة، وكان رحمه الله كريماً دائماً يقيم فيها اللقاءات والحفلات للوفود الإسلامية التي تصل إلى بغداد وتتصل بنا وهذا قبل أن ننشىء المركز العام للدعوة ولجمعية إنقاذ فلسطين في بغداد.

ولقد استجاب للدعوة رجال لهم وزنهم السياسي والعسكري والاجتماعي ومنهم الفريق الركن حسين فوزي باشا وكان رئيساً لأركان الجيش العراقي واللواء إبراهيم باشا الراوي والوجيه إبراهيم عطار باشي والزعيم توفيق حسين والعقيد طاهر محمد عارف والمحامي الأستاذ محمد الحسين والوجيه فرحان العرس وكان عضواً بمجلس الأعيان والأستاذ محمود فهمي درويش والأستاذ المحامي جميل الأورفه لي الذي أصبح وزيراً للعدل والدكتور إسماعيل ناجي وغيرهم ممن غابت عني أسماؤهم الكريمة رحم الله من مات منهم وحفظ من بقي وجزاهم الله خير الجزاء عما قدموا من أعمال وبذلوا من جهود لهذه القضية الخطيرة التي خطط لها الشرق والغرب معاً ليزرعوا هذه الدولة التي تمثل معركة التاريخ بيننا

وبينهم، فقد دخلوها واحتلوها في الحروب الصليبية ومكثوا في القدس قرابة مئة عام ولما قام الجهاد الإسلامي الذي بدأه عماد الدين زنكي حاكم الموصل ثم خلفه ولده نور الدين زنكي الذي استشهد وخلفه القائد البطل صلاح الدين الأيوبي فانتصر وأعز الله به الإسلام وطرد أعداء الله من الصليبيين الكفرة واليوم عاد الصليبيون بوجوه يهودية سوداء كالحة وسيوف صليبية مسمومة رعناء وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾**.

الاجتماع الأول:

بدأنا الاجتماع الأول للنظر في قضية الإسلام الكبرى في هذا العصر وحضر الاجتماع أكابر القوم من العلماء والفضلاء والوجهاء والقادة من العسكريين والمدنيين وتمخض الاجتماع عن قرار بالإجماع لتشكيل جميعة عامة تخدم هذه القضية الخطيرة من الناحية الشعبية ولتقوم الجمعية بالتطوع والتبرع وخدمة مصالح الجهاد الذي دعا إليه الشعب في مظاهراته الصاخبة. وقررنا تسميتها «جمعية إنقاذ فلسطين» ثم وضعنا لها النظام المطلوب وتقدمنا بالطلب إلى الحكومة التي يرأسها صالح جبر للسماح لنا بالعمل وبعد أيام قليلة جاءتنا الموافقة من وزارة الداخلية، فاجتمعنا الاجتماع الأول وانتخب شيخ علماء العراق الأكبر الشيخ أمجد الزهاوي رئيساً والفريق الركن حسين فوزي باشا نائباً للرئيس والأستاذ عبد الرحمن خضر المحامي محاسباً عاماً ومحمد محمود الصواف أميناً عاماً للجمعية ثم شكلنا اللجنة العسكرية برئاسة الفريق إبراهيم باشا الراوي ونائبه العقيد طاهر محمد عارف وتواصلت اجتماعات الجمعية وقررنا إرسال المتطوعين للجهاد في أرض الجهاد وأعلنا ذلك في الصحف والإذاعة وأقبل الشعب العراقي إقبالاً منقطع النظير وتدافع الشباب وتسابقت الوفود إلى الجمعية

والكل يريد الإنخراط في سلك هذا الجهاد الأكبر.

المال والسلاح:

لقد أسسنا «جمعية إنقاذ فلسطين» وفتحنا باب التطوع للجهاد في الأرض المباركة وانهال علينا المتطوعون من كل مكان في العراق وليس في صندوق الجمعية سوى بعض المئات من الدنانير التي تبرع بها بعض الغيورين من المؤمنين والحكومة لم تساعدنا بشيء من المال فماذا نصنع؟؟

اجتمعت الهيئة التأسيسية للجمعية للنظر وكانت اجتماعاتها متواصلة ومستمرة وكانت بعض النوادي والسينمات والمؤسسات قد تقدمت للجمعية بطلبات لتقيم حفلات يكون ريعها لمصلحة الجهاد فقررنا رفض جميع هذه الطلبات فلا يمكن أن نستعين بمال تشوبه الحرمة والشك في مصدره في أمر إسلامي خطير كهذا الأمر. وفي يوم الجمعة الأول بعد تأسيس الجمعية قمت خطيباً في مسجد الأعظمية بعد انتهاء الصلاة والخطبتين ودعوت الناس إلى التبرع بالمال لنجهز الفوج الأول من المجاهدين، والحق أنني لا أستطيع أن أصف تلك الفورة من الحماس والانطلاق والاندفاع في تقديم التبرعات السخية وليتكم ترون المرأة المسلمة وهي تخلع سوارها وقرطها وسلسلتها وترميها وهي باكية متبرعة بما معها من حليها لأجل قضية الإسلام الكبرى فلسطين العزيزة الغالية علينا معشر المسلمين. وكان من عادتي أن أشكل لجنة في المسجد من خطيب المسجد وإمامه واثنين من وجهاء المصلين وعضو من الجمعية لإحصاء التبرعات وكتابة تقرير في مقدارها ثم تسليمها لمحاسب الجمعية أو أمين صندوقها. أما أنا فكنت لا أتسلم شيئاً أبداً إلا بهذه الطريقة. ولكنني كنت بعد الخطبة التي ألقيها أخلع جبتي وأفرشها في أرض

المسجد طرف المنبر ويأتي المتبرعون فيضعون فيها ما تجود به أنفسهم وكذا المتبرعات من أخواتنا المؤمنات الصادقات وكن يأتين بعد انتهاء تبرع الرجال. جزاهم الله جميعاً كل خير وبارك في الحي فيهم وأثاب من لقي الله منهم ومنهن خيراً كثيراً وأجراً جزيلاً، فقد جهزنا فعلاً كتائبنا وأفواجنا الثلاثة من هذه الدراهم المباركة التي كانت تشكل الآلاف المؤلفة من الدنانير وفي كل جمعة كنت أقصد مسجداً من كبار مساجد بغداد وأصنع فيه ما صنعت في مسجد الأعظمية المبارك حتى إن بعض رؤساء المحلات والأطراف أخذوا يطلبون مني الإسراع بزيارة مسجدهم ليقوموا بما يجب عليهم من أداء الواجب تجاه هذه القضية الإسلامية الكبرى.

كلمة للشيخ الزهاوي:

رحم الله أستاذنا وشيخنا العلامة الأكبر الشيخ أمجد الزهاوي وأسكنه الجنة. فعندما تذاكرنا في كيفية الحصول على الأموال لتجهيز المتطوعين قال لنا ببساطته المعهودة وإيمانه الراسخ وبراءته العذبة: إخواني لا تهتموا بأمر المال فإن الناس متى علموا صدق أعمالنا ونياتنا فسوف يحملون المال على أطباق فوق رؤوسهم ويأتون به إلينا.

شراء السلاح: لقد رفضت الحكومة أن تساعدنا:

أما السلاح فقد رفضت الحكومة أن تساعدنا بشيء منه بدعوى أنها سترسل الجيش وسيقوم بما يجب عليهم. ففتشنا عن مصادر أخرى وقررت الجمعية تشكيل لجنة خاصة برئاسة الوجيه الموصلي المعروف إبراهيم عطار باشي رحمه الله لتتصل برؤساء العشائر والقبائل خاصة الكردية منها وهي مسلمة ولله الحمد وحماسهم لهذه القضية الإسلامية لا يقل عن حماسنا، والسلاح عندهم متوفر وفوضنا اللجنة بالشراء وبدفع

المال اللازم إذا اقتضى الأمر، وقد نجحت اللجنة إلى حد كبير واستطعنا بفضل الله أن نجهز الأفواج الثلاثة التي شكلناها ونظمناها ودربناها وفيهم الكثيرون ممن سبق لهم الخدمة والتدريب في الجيش العراقي إذ كانت الخدمة إجبارية فاستفدنا من هذه الكمية الكبيرة من الشباب المؤمن الذي سبق له التدريب في ثكنات الجيش العراقي الذي كان يعد بحق من خيرة الجيوش العربية، ومن أشجع الجيوش، وأحسنها تدريباً وتنظيماً، وضباطه كانوا من مفاخر الضباط وقادته من أحسن القادة. واستمروا كذلك حتى قامت الثورات والانقلابات العسكرية فأكلت الجيش أكلاً وحرقته حرقاً، ومزقته تمزيقاً ولعن الله الإنكليز لعنة أبدية فقد كانوا وراء هذه الانقلابات والثورات المشؤومة على البلاد والعباد.

شكلنا ثلاثة أفواج:

لقد شكلنا أفواجاً ثلاثة «فوج القادسية» و «فوج اليرموك» و «فوج الحسين» وجهزناهم بجميع المستلزمات الواجبة للمجاهدين وكل ذلك في أقل من شهر من الزمن وبدأنا بإرسال الفوج الأول منهم وسرت معهم مودعاً إلى الفلوجة ثم الرمادى ولا أستطيع وأنا أكتب هذه المواقف أن أصف مبلغ الحماس الذي قوبل به المتطوعون في هاتين البلدتين المسلمتين الفلوجة والرمادى جزى الله أهلها خير ما يجزي مجاهداً عن جهاده فإن ما فعلوه يفوق الوصف حقاً إذ استقبلونا بالهتافات الشعبية وآلاف الطلقات النارية والعناق والبكاء والكل يطيل المسير معنا إلى أرض الجهاد وذبحت الذبائح وصنع الطعام في البيوت والشوارع فأكل المئات بل الآلاف من الناس من كرم هؤلاء الأخوة الأحبة بارك الله فيهم حتى سار الفوج بسياراته إلى دمشق إلى معسكر قطنا في الهزيع الأخير من الليل حيث قررت مفتشية التطوع العامة التي أسستها جامعة الدول العربية. وكان ذلك في السابع من يناير ١٩٤٨.

وعدت أنا إلى بغداد بعد أن ودعت المجاهدين وخطبت فيهم وفي الجماهير المسلمة التي استقبلتنا إذ لم توافق الجمعية على سفري قبل أن نستكمل بقية الأفواج وتسفيرها إلى أرض الجهاد.

وبعد أسبوع تقريباً أتممنا تجهيز الفوج الثاني وسفرناه بنفس الطريقة التي سافر بها الفوج الأول وسرت معهم مودعاً إلى الفلوجة والرمادى وكان الحماس الذي استقبلنا به نفس الحماس الأول إن لم يزد عليه وأعود فأشكر لأولئك الكرام ما وجدناه فيهم من الإيمان والكرم والرجولة الحقة التي تفوق الوصف ولا غرابة في ذلك فقد عرف هذا اللواء «لواء الرمادى» بمثل هذه الأخلاق الحميدة من الكرم والصدق والوفاء والرجولة والأمانة والإيمان أدام الله عليهم هذه الفضائل وبارك فيهم.

برقية سرية من الجامعة العربية:

إنني كنت ـ ولا أزال ـ مع الأسف سيء الظن بهذه الجامعة العربية التي أقامتها فينا المصالح البريطانية بقيادة وزير خارجيتها إيدن وعملاء بريطانيا في المنطقة العربية ليقودوا البلاد العربية بزمام واحد بعد أن كانت سبعة أزمة ولينخرط الجميع فيها حتى لا يستطيع بعض المعتدلين الخروج عن قرارات الجامعة وأكثر الحكام آنذاك كانوا ألعوبة بيد بريطانيا. فإذا قررت الجامعة شيئاً بإشارة من بريطانيا فلا يستطيع الخروج على هذا القرار أحد مهما كان قوياً وصادقاً فالأكثرية بيدها وهي تخطط وهم ينفذون!

الملك عبد العزيز رحمه الله:

وهذا الذي وقع بالفعل فإن دخول الحرب عند تكوين إسرائيل واشتراك الجيوش العربية كان بقرار من الجامعة العربية المشؤومة ولم يكن

قراراً إجماعياً بل بالأكثرية فإن الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية رحمه الله لم يكن موافقاً على هذا الأسلوب بل اقترح وهو الاقتراح الصائب أن يقوموا بإرسال مجاهدين متطوعين والحكومات العربية تمدهم وتمد الشعب الفلسطيني بالمال والسلاح والرجال ويدأ فعلاً رحمه الله بتجهيز المتطوعين وتدريبهم ولكن الجامعة العربية لم توافق وذهب إليه اثنان أو أكثر من كبرائها وقادتها وحملوه حملاً على الموافقة على ما قرروه، ولقد كان رحمه الله صريحاً معهم إذ قال لهم:

إن دول العالم الغربي والشرقي سوف لا تترك إسرائيل وحدها وإذ دخلت هذه الدول الحرب غلبتكم ومن العار أن تُغلبوا وأنتم سبع دول ولكن إذا كان المتطوعون والشعب الفلسطيني ونحن نمدهم بأسباب الجهاد طال الأمد واليهود لا يتحملون حرباً طويلة. فأبوا عليه هذا الرأي ولم يخرجوا منه حتى أخذوا موافقته على قرار الجامعة العربية بدخول الجيوش العربية وعندها كما نقل إلي الصادقون: ضرب ـ رحمه الله ـ يداً بيد وقال: لقد ذهبت فلسطين.

وهكذا الرجل المؤمن يهديه الله بإيمانه إلى صائب الرأي وصادق العمل.

لا أريد أن أطيل النقاش حول الجامعة العربية ولقد قلت أنني سيء الظن بها ولكنها الخواطر تمر مروراً سريعاً وأحب أن أشير إليها إشارات خفيفة.

لقد تأخر إرسال الفوج الثالث من المتطوعين بعض الشيء لبعض الأسباب وفي ساعة من نهار ونحن على وشك تسفير الفوج الثالث وفيه أكثر من ٤٠٠ أربعمائة متطوع وقد أعلنا عن موعد سفره لأنهم كادوا يثورون علينا للتأخير الذي حصل لهم.

وفي هذه الفترة تسلمت برقية من الجامعة العربية من القاهرة تطلب من الجمعية عدم إرسال الفوج الثالث والإكتفاء بما أرسلنا من المتطوعين. هنا ضربت يداً بيد وأسفت كثيراً لهذا الموقف المتخاذل وكتمت خبر البرقية عن كل أحد إذ الموقف في غاية الخطورة خبر سفر الفوج أعلن والاستعدادت لسفره تمت والبرقية أرسلت لدمشق لاستقبال الفوج فماذا يكون موقفنا لو قلنا للمتطوعين المتأججين ناراً وحماساً والمتأبطين لأسلحتهم وعتادهم والمدججين بهذا السلاح الناري ماذا يكون لو قلنا أن الجامعة العربية العتيدة لا تريدكم وانزعوا أسلحتكم وثيابكم العسكرية وعودوا إلى بيوتكم ومساكنكم؟

لقد قدرت الموقف تماماً فكتمت الخبر عن الجميع كما قلت ثم أسرعت إلى لقاء شيخنا الشيخ أمجد الزهاوي رئيس الجمعية رحمه الله وكذا الفريق الركن حسين فوزي باشا نائب الرئيس وبسطت له الأمر كما هو وأطلعته على البرقية وأخبرتهما بأنني كتمت خبرها عن الجميع. فأيداني رحمهما الله ودعوا لي بكل خير ثم قالا: تصرف أنت وسفر الفوج وتوكل على الله.

وهنا خرجت واجتمعت بقادة الفوج ورؤساء الفصائل واتفقت معهم على خطة السير وعند الموعد المقرر خرجت معهم مودعاً إلى الفلوجة والرمادى وبنفس الحماس الأول والمظاهرات الصاخبة في بغداد لتودع الفوج المجاهد لأرض الجهاد فلسطين.

وكذا كان الاستقبال والتوديع في الفلوجة والرمادى وبنفس الحماس الأول بل كلما ازدادت الجمعية في تنفيذ الخطوات العملية ازداد الناس لها تقديراً وحماساً وانهالت علينا التبرعات من الشعب المؤمن الأبي شعب العراق الذي أقبل على التطوع والتبرع بشكل غريب منقطع النظير

ولقد رددنا الآلاف من المتطوعين لعدم تمكننا من استيعاب أعدادهم الهائلة ولقد وجدت فعلاً من إذا رفض طلبه تولى وأعينه تفيض بالدمع لعدم تمكنه من المشاركة في هذا الشرف العظيم شرف الجهاد في سبيل الله والحمد لله رب العالمين.

التمور للمجاهدين:

بعد سفر أبنائنا وإخواننا المجاهدين من العراقيين وإخوانهم المؤمنين إلى حدود فلسطين وبداية العمل الجهادي تسلمنا برقية من مفتشية التطوع العامة في دمشق تطلب من الجمعية إرسال عشرة أطنان من التمور العراقية لصالح المجاهدين.

اجتمعنا في نفس المساء الذي تسلمنا فيه البرقية العاجلة فاقترح بعض الأخوة الأعضاء أن تشكل لجنة ونشتريها من مدينة كربلاء أو مدينة بعقوبة، وفي هاتين البلدتين تمور جيدة تصلح لارسالها لإخواننا المجاهدين. ولكنني بعد المداولات قدمت اقتراحاً لإخواني وكان فيهم الرئيس ونائب الرئيس فقلت لهم: هل توافقون على انتدابي للذهاب إلى البصرة وأنا بإذن الله سوف آتي بها من خيرة التمور ومن تبرعات أهل البصرة الكرام؟ فوافق الجميع على اقتراحي وفي اليوم الثاني مباشرة ركبت القطار من بغداد إلى البصرة، وأخبرت شبابي وإخواني في البصرة بسفري فاستقبلوني في المحطة ثم ذهبت مباشرة إلى متصرفية لواء البصرة - إمارة البصرة - واجتمعت بالمتصرف وحدثته بالأمر فتحمس الرجل جزاه الله خيراً ثم رجوته أن يدعو كبار التجار إلى لقاء بدار المتصرفية في نفس الليلة فأصدر أمره إلى مدير التحريرات أن يدعو كبار التجار والملاك للحضور لشرب الشاي بدار المتصرفية مساء وفعلاً حضروا وحضر المتصرف وأبلغتهم تحيات الجمعية وأعضاء إداراتها وعلى رأسهم الرئيس

ونائبه ثم ذكرت خبر البرقية وحاجة المتطوعين المجاهدين إلى التمور وقرار الجمعية بانتدابي إلى البصرة التي عرفت بكرمها وطيب رجالها وأهلها وبعد كلمتي مباشرة انهالت التبرعات بأجود أنواع التمور حتى بلغت التبرعات أكثر من مائة طن واصلة إلى بغداد على نفقة تجار البصرة جزاهم الله خيراً، والكثير من التمور من النوع الجيد المحشي باللوز وبعد انتهاء التبرعات شكرتهم وشكرت سعادة المتصرف ثم انصرفت إلى منزل أخي السيد عبد الصمد الرديني رحمه الله الذي أنزلني ضيفاً بداره بالبصرة وهو من خيرة شباب الدعوة الإسلامية في البصرة إيماناً وصدقاً وكرماً وشجاعة رحمه الله وأسكنه الجنة.

في مسجد البصرة الكبير:

في اليوم هو الثاني أصبحنا في البصرة وكان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ وهو يوم مولد الرسول الأمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وكانت الجمعية بفرعها في البصرة قد دعت إلى حفل خطابي يحضره الشباب المسلم بهذه المناسبة والمكان هو مسجد البصرة الكبير فحضرت الاجتماع صباحاً في العاشرة وطلبوا مني كلمة أختم بها الحفل بعد سماعي للكلمات من أبنائي وإخواني وبعض الإخوة من العلماء. وكنا في المساء قد بلغنا تجدد المظاهرات في بغداد واستشهاد الشاب قيس الآلوسي وهذا في زمن وزارة صالح جبر. فلما قمت وألقيت كلمتي الحماسية وتطرقت للجهاد والموقف في فلسطين والتخاذل المتواصل من قبل الحكام وعدم إعطاء الأوامر للجيوش أن تقاتل وتدافع عن شرفها وشرف الأمة العربية والإسلامية بعد كلمتي الختامية هاجت الجماهير وماجت وكان المسجد على سعته يغص بالحاضرين والشوارع تمتلىء بالناس ولما أردت الخروج من المسجد بعد خطابي عن جهاد الرسول ﷺ وتضحيات الصحابة الكرام معه وواقع الحال

في أرض فلسطين خرجت الجماهير وسارت بي هاتفة بسقوط الاستعمار ثم هتفوا وكبروا وبعث التكبير فيهم الحماس المنقطع النظير وساروا في مظاهرة صاخبة عنيفة من البصرة إلى العشار مشياً على الأقدام.

في أبو الخصيب وتسفيري إلى بغداد:

في ظهر هذا اليوم كنت مدعواً للغداء في قضاء أبو الخصيب وهو من أقضية البصرة الكبيرة والمهمة فقد أقام لي الأهالي هناك حفل غداء وعلى رأسهم الوجيه الكبير السيد طالب بركات رحمه الله وكانت المناسبة هي يوم المولد النبوي الشريف وبعد الغداء تكلم بعض الشباب فرحين بهذا اللقاء وهذه المناسبة المباركة ثم طلبوا مني الكلمة فألقيت كلمتي علقت فيها على كلمات المتكلمين وعند انتهائي من كلمتي قامت مظاهرة أخرى كبيرة في مدينة أبو الخصيب وسارت في شوارعها ومكثت حتى صلاة العصر حيث موعد تحركي للرجوع إلى البصرة ثم التوجه إلى لقاء الإخوة في البصرة مساء ذلك اليوم بدار الأخ عبد الصمد الرديني رحمه الله ولكنني فوجئت بالأمر من وزير الداخلية بتسفيري حالاً إلى بغداد وصحبني معاونو الشرطة حتى أوصلوني إلى القطار وكان المنتظر أن يقبض علي في محطة قطار بغداد ثم أذهب مخفوراً إلى السجن وشاء الله أن يقع ما ليس بالحسبان فقد سقطت وزارة صالح جبر بنفس الليلة التي كنت فيها مخفوراً في القطار، وألغي الأمر بالسجن والاعتقال، وشاع الخبر في بغداد عن اعتقالي وتسفيري وكان صباح وصولي إلى بغداد هو موعد تشييع جنازة الشهيد قيس الألوسي وكان تشييعاً صاخباً كبيراً جداً اشتركت فيه جماهير بغداد من كل مكان ولما علموا بأمري أرسلوا جماعة منهم لاستقبالي في القطار وفعلاً نزلت معهم وسرت مع المتظاهرين وسط الهتافات التي ترتفع إلى عنان السماء وشاركت الجماهير في هذا التشييع ثم خطبت عند قبره رحمه الله وسط هذه الجموع التي كانت تموج كالبحر

وهم في غليان حماسهم وهتافاتهم ضد الاستعمار وأذناب الاستعمار، وبعد تشييع الجنازة انفضت الجماهير بسلام وعدت إلى داري والحمد لله.

قرار الجمعية بسفري إلى فلسطين:

بعد عودتي من البصرة واستقرار الأمور اجتمعت الهيئة التأسيسية لجمعية إنقاذ فلسطين وكان قد زارنا في الجمعية الزعيم الفلسطيني السيد جمال الحسيني رحمه الله وأقمنا له حفل تكريم أهديناه فيه رشاشاً جديداً من نوع «فيكرس» وقد عرض لنا الموقف آنذاك في أرض الجهاد فرأى السادة أعضاء الجمعية ضرورة سفري إلى فلسطين لأكون قريباً من المعركة قريباً من أبنائنا المجاهدين. وكنت في أول يوم تحرك فيه الفوج الأول رجوت إخواني أن يسمحوا لي بالسفر مع المجاهدين مباشرة ولكنهم أبوا علي ذلك وقالوا صراحة: هناك من يعوض عنك في القتال ولكننا هنا لا نستطيع الاستغناء عنك وعن نشاطك في إدارة شؤون الجمعية وقد زادت واجباتها وكثرت التزاماتها، فأطعت أمرهم والتزمت بقرارهم جزاهم الله عني وعن الإسلام خير الجزاء.

أما الآن وبعد مضي أشهر على دخول المتطوعين إلى أرض فلسطين وبعد أن بلغتنا بعض التقارير اللافتة للنظر وبعد أن سمعنا بعض الأخبار من السيد جمال الحسيني مرسلاً من الهيئة العربية العليا التي يقودها سماحة مفتي فلسطين الأكبر العالم المجاهد السيد محمد أمين الحسيني رحمه الله وأسكنه الجنة وأثابه على جهاده الطويل المرير ثواب المجاهدين الأبرار فإنه أول من حمل اللواء بعد الشهيد الكبير الشيخ القسام رحمه الله وكان رمزاً صادقاً لهذه القضية والتي تعتبر معركتها معركة التاريخ بيننا وبين أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم من الشيوعيين والمنافقين

والكافرين.

لقد صدر قرار الجمعية بسفري ومعي عضو اللجنة العسكرية للجمعية العقيد طاهر محمد عارف رحمه الله وتولى الأمانة العامة الأستاذ الأديب محمود فهمي درويش رحمه الله.

في دمشق: ياسين الهاشمي وطه الهاشمي:

اتجهنا في سفرنا إلى دمشق حيث مقر المفتشية العامة التي تولت أمور المتطوعين بقرار من الجامعة العربية وكان على رأسها آنذاك الزعيم العراقي الكبير الفريق طه الهاشمي رحمه الله وهو شخصية عسكرية كبيرة ومعروفة لدى الأوساط العربية وهو شقيق الزعيم الوطني الكبير السيد ياسين الهاشمي رحمه الله رئيس الوزارة العراقية الذي عرف بدهائه وحنكته السياسية ووطنيته وهو من أكبر مؤسسي ورجال الحكم الوطني في العراق وكانت له مواقف مع المستعمرين يعرفها من عاصر تلك الفترة من حياة العراق السياسية.

كذلك كانت له رحمه الله مواقف في مساندة وتأييد الثورة الفلسطينية التي اندلعت عام ١٩٣٦ ولقد مدها بالمال والسلاح والرجال، ودعم كفاح وجهاد سورية للتخلص من الاستعمار الفرنسي البغيض وكان يدعم ويساند كل عمل إيجابي يكون في صالح العرب وحريتهم واستقلالهم ولقد كاد له الإنكليز لعنهم الله كيداً عظيماً وضاقوا به ذرعاً لمواقفه الوطنية المشرفة.

وفي ٢٩ تشرين الأول من سنة ١٩٣٦ م وقع أول انقلاب عسكري في تاريخ العرب الحديث بقيادة الفريق بكر صدقي وكيل رئيس أركان الجيش العراقي بالتعاون مع قائد الفرقة الثانية الفريق عبد اللطيف نوري قائد الفرقة الأولى الذي أصبح وزيراً للدفاع في حكومة حكمت سليمان التي تألفت في نفس اليوم الذي وقع فيه الإنقلاب وقتل فيه وزير الدفاع

ومؤسس الجيش العراقي جعفر العسكري وكان الفريق طه الهاشمي رئيساً لأركان الجيش العراقي حينما قام الإنقلاب ولكنه كان في الإجازة في بعض الأقطار الأوربية وقد وقع الإنقلاب بعد وصوله إلى أنقرة في طريق عودته إلى بغداد إلا أنه أبلغ بقرار إحالته على التقاعد وهو هناك.

ورأيت أهوالاً مؤسفة جديدة:

الفريق طه الهاشمي رحمه الله شخصية عسكرية كبيرة كان قوي الشخصية مرهوب الجانب تولى رئاسة أركان الجيش العراقي ثم عين رئيساً للوزارة العراقية وأخيراً اختير من قبل الجامعة العربية ليكون على رأس مفتشية التطوع العامة بدمشق.

ويؤسفني أن أقول أنه إن كان قد نجح كرئيس أركان الجيش أو كرئيس للوزراء فإنه قد فشل فشلاً ذريعاً في هذا المنصب الذي تولاه في دمشق أقول هذا على الرغم مما كان بيني وبينه من محبة ومودة فالحق أحق أن يتبع وعار علينا أن نتكلم بخلاف الحقيقة والواقع ونحن نكتب للتاريخ و الله شهيد على ما نقول.

لقد زرت مفتشية التطوع ومعي العقيد طاهر محمد عارف فماذا رأيت وماذا شهدت لقد رأيت عجباً ورهباً.

رأيت مخازن المفتشية مليئة بكل حاجات المتطوعين ولكن المتطوعين لا يجدون من يستجيب لطلباتهم، إنهم ينامون في العراء والمخازن تملأها بطانيات الصوف التي أرسلناها عن طريق جمعية إنقاذ فلسطين من بغداد.

عبد القادر الحسيني:

لقد حدثني من لا أشك في صدقه أن المجاهد الكبير الشهيد

عبد القادر الحسيني وصل إلى المفتشية قبل أن نصل نحن إليها بأسبوعين تقريباً وطلب عتاداً وسلاحاً وألح في الطلب وحاول فلم يستجب إلى طلبه وكان في أخطر معركة مع الغاصبين والمحتلين من اليهود والمجرمين وهي معركة القسطل ولقد عاد بخفي حنين من المفتشية وهو رحمه الله يحمل الألم والحسرات على هذه الأمة الضائعة والتي باعها قادتها وزعماؤها بأبخس الأثمان. وأخيراً استشهد عبد القادر الحسيني ولقي وجه ربه ومن الممكن أنه لو قدر له أن يزود بالسلاح والعتاد من المفتشية لغير وجه المعركة بل ربما غير وجه التاريخ لهذه القضية المصيرية ولكنه ذهب إلى ربه وبقي السلاح والعتاد مكدساً في مخازن المفتشية العتيدة! رأيت المراجعين من المتطوعين وفيهم الجرحى والمرضى ينتظرون الساعات فلا يجدون من يهتم لهم ويسمع لشكاواهم وطلباتهم وفي المفتشية جيش من الموظفين الذي عينتهم الجامعة العربية غير المباركة، والتي تكونت وكأن في خطتها إتمام المؤامرة في ضياع فلسطين، وطمس قضية فلسطين والاكتفاء بالمؤتمرات والاجتماعات والتصريحات الجوفاء واللجان والحفلات والزيارات وإلى ما هنالك مما يندى له جبين الإنسان الغيور الصادق مما يرى ويسمع ولا يستطيع تغييره.

لقد رأيت ورأيت ولا أريد أن أطيل فبعد هذه الجولة صعدنا إلى الطابق العلوي لمقابلة الباشا وأنا أكاد أتفجر غيظاً وأسفاً وبعد اللقاء مع طه باشا الهاشمي والحديث التقليدي عن السفرة والصحة انفجرت وانطلقت أتحدث عن هذه المآسي التي شهدتها واشتد جدالنا وعلت الأصوات وانتفخت الأوداج وبعد ذلك هدأت العاصفة وأخذ يحدثنا عن خطة ينوي اتباعها في تسيير الأمور في المفتشية وخرجنا منه بعد ساعة من الزمن أما رفيقي العقيد طاهر محمد عارف فقد جمد الدم في وجهه ولم ينبس ببنت شفة ولما خرجنا إذا به يشتد عليَّ ويعاتبني كيف تكلم الباشا

بهذا الأسلوب؟ وكيف تصارحه بهذه الأمور؟ فقلت له: أنت عسكري وقد تعودت أن تقف جامداً أمام من هو أرفع منك درجة وترفع التحية العسكرية وتقول نعم نعم.. أما أنا فمنطلقي غير منطلقك. أنا رجل دعوة ودعوتنا توجب علينا أن نقول الحق ونتواصى به ونتواصى بالصبر.

إلى جنوب لبنان:

بعد أن انتهينا من زيارة دمشق توجهت أنا والعقيد طاهر محمد عارف إلى لبنان واتجهنا إلى الجنوب مباشرة حيث لنا عدد كبير من أبنائنا وإخواننا المتطوعين المجاهدين وكانوا بفضل الله على جانب كبير من المعنويات والحماس العجيب وكل منهم يتمنى لقاء العدو ويتمنى النصر أو الشهادة في سبيل الله ولقد زرنا عيطرون وترشيحا وغيرهما من مناطق الحدود ولما كنت قد تحدثت بعض الشيء عن هذه الزيارة بكتابي «معركة الإسلام» أو واقعنا في فلسطين بين «الأمس واليوم» وذكرت هناك المشهد المؤسف والمخزي من قائد الجبهة فوزي القاوقجي حيث خرجت في الليل في سيارة مصفحة ومعي رشاشتي التي كنت أحملها دائماً وهي من نوع «استن» لأفتش مراكز المرابطين من شبابنا وإخواننا ومعي كلمة سر الليل وسرت بالمصفحة في ظلام دامس إذ بيننا وبين العدو اليهودي أمتار قليلة ولم نشعل ضياء السيارة وسرنا في حدودنا لأرى المرابطين من شبابنا المؤمن وهم في العرين كالأسود ولكنني فوجئت وأنا في طريقي هذا برتل من السيارات أربعة أو أكثر والنور مفتوح والرجال أمام والنساء وراء ولم تقف لي السيارات ولم تسألني أعدو أم صديق؟ بل سارت بطريقها تواً والضحك والحديث يجري بين ركابها فعجبت حقاً وعدت بمصفحتي بعد جولتي لأسأل عن هذه السيارات وما خبرها؟ فقيل لي أنها سيارات القائد فوزي القاوقجي ومعه كما قالوا لي: مستشفى الميدان وفيه المضمدون والمضمدات وحدثوني من أخبارهم السيئة ما جعلني في أسف مر وحيرة

محزنة وقلت لقد ذهبت فلسطين ونصر الله لا يأتي مع معصية الله عز وجل وهذا القائد أحد الذين كنا نظن فيهم الخير فإذا به يهوي إلى درك المهانة والخيانة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إلى نابلس:

بعد بضعة أيام قضيتها في عمان اتجهت إلى مدينة الجهاد نابلس البطلة الصامدة برجالها الصادقين وشبابها المؤمنين الذين لا يزالون يواصلون جهادهم المرير ضد الغاصب المحتل اليهود المجرمين الأقذار ومن ورائهم أمريكا قائدة العالم إلى الهاوية والدمار والضلال، وروسيا قائدة الإلحاد والفساد والخراب وفي نابلس استقرت أكثر القوات العراقية من الجيش العراقي الباسل وكان على رأس هذه القوات رجال من كرام ضباط الجيش وصادقي الرجال وفي مقدمتهم الفريق نجيب الربيعي والفريق مصطفى راغب واللواء عمر علي رحمهم الله جميعاً وأسكنهم الجنة. وقد كانوا على جانب عظيم من الصدق والإيمان والشجاعة والبطولة ولولا القيادة السياسية المنحرفة في بغداد والمرتبطة بعجلة الاستعمار البريطاني البغيض اللئيم لكان لهؤلاء الرجال مكان بارز في صفحات التاريخ المعاصر ولكن أنى لهم هذا وقد قيدتهم أوامر السادة في بغداد ومنعتهم حتى من الحركة البسيطة ولم تعطهم السلاح إلا بقدر محدود، ولم تطلق لهم العنان. فكنت أشعر حين اتصلت بهم وبضباطهم وجنودهم من الشباب المؤمن أنهم كالأسود الحبيسة والتي قيدوها بالسلاسل وتركوا أعداءها من الكلاب ينهشونها ويعتدون عليها وهي لا تستطيع حراكاً.

الحالة في نابلس:

لقد دخلت مدينة نابلس البطلة وهي تغلي كالمرجل الذي يكاد

ينفجر بين الفينة والفينة والجيش العراقي كان يسيطر على الموقف. إذ دخلتها بعد مجزرة دير ياسين التي كان بطلها اليهودي المجرم القذر «بيغن» رئيس وزراء إسرائيل السابق وهو رئيس عصابة مجرمة وكانت المجزرة البشرية في هذه القرية قريبة من مراكز الجيوش العربية العتيدة والتي دخلت لتسلم فلسطين لليهود ولم تدخل لإنقاذ فلسطين. ولذلك فإن هذه الجيوش لم تحرك ساكناً. والأطفال والنساء والشيوخ من أهلنا وأبنائنا وبناتنا تذبح ويمثل بها ويبقرون بطون الحوامل بحراب اليهود والجيوش تنظر وكأنها لا تبصر، أو قد أصيبت بالعمى والصمم فلم تر المجازر البشرية البشعة ولم تسمع لصراخ الأطفال والأيامى واليتامى ولا لنداء العلماء والفضلاء والمجاهدين في كل مكان، بل سمعت وأطاعت أوامر من تلقوا الأوامر من أسيادهم الإنكليز الذين أوردوهم موارد الهلكة والضلال وكانت عاقبة أمرهم ـ كما شهدها الكثير منا ـ البطش والسحق والمحق إذ قد أنزل الله بهم بطشه فشتتهم ومزقهم وأهلكهم في أوخم العواقب وأبلغ عبرة ومثال لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الشيخ أحمد الحنبلي:

انفجر الشيخ المفضال أحمد الحنبلي خطيب مسجد نابلس فألقى خطاباً حماسياً شديد اللهجة جداً وصريحاً وقوياً حمل فيه الحكومات العربية والجيوش الرابضة على أرض فلسطين وهي مكبلة مقيدة ولا تسطيع حراكاً حملها المسؤولية عما حدث وسيحدث في أرض الإسراء والمعراج، وكانت القلوب كلها مكلومة والنفوس هائجة وحائرة ولكن الموقف الحساس جعل السلطة العسكرية تعتقل الرجل وتزجه في السجن وكان هذا الحادث قبل وصولي إلى نابلس بأكثر من أسبوع ولكن بعد وصولي إلى نابلس وقيامي بإلقاء خطبة الجمعة في مسجد نابلس الكبير

ولم يكن حماسي بأقل من حماس الشيخ الحنبلي بل ربما يزيد عليه. ولكنني سلكت أسلوب التوجيه، بيان الموقف الخطير في أوضاعنا العربية والإسلامية ودعوت بكل قوة إلى مواصلة الجهاد ضد الأعداء المغتصبين بل دعوت إلى النفير العام لنقف صفاً واحداً أمام القوى اليهودية والصليبية المتعاونة جميعها ضد شعوبنا وأمتنا وبلادنا. وكان في المسجد كبار ضباط الجيش العراقي وعلى رأسهم الرجل المؤمن الفريق صالح صائب الجبوري رئيس أركان الجيش العراقي والزعيم طاهر الزبيدي قائد منطقة نابلس العسكرية وغيرهما من كبار الضباط. كما تطرقت إلى مجزرة دير ياسين ودعوت الشعب الفلسطيني إلى الثبات والصمود وكذا دعوت الجيوش العربية أن تتقي الله في أنفسها وأمتها ومستقبلها وأن تتحمل مسؤوليتها كاملة ولا زلت أذكر كما يذكر بعض الإخوة من الحاضرين لتلك الخطبة التي بكيت فيها وأبكيت الحاضرين حتى تعالت الأصوات بالنحيب.

وبعد ذلك اتصل بي علماء نابلس ووجهاؤها وجلسنا طويلاً نتشاور في الموقف وما يجب عمله وعلى رأس هؤلاء العلماء والفضلاء الشيخ المفضال مشهور الضامن مفتي نابلس ونائبها في البرلمان الأردني ورئيس شعبة الإخوان المسلمين المجاهدين في نابلس وهو من كرام الرجال وأسرته من كرائم الأسر وله من دماثة الخلق وكرم الطبع ما يحببه إلى كل نفس حفظه الله ورعاه. ولقد كلمني هو والجمع معه من العلماء بشأن توقيف الشيخ الحنبلي لدى السلطات العسكرية العراقية وفي نفس اليوم كلمت المسؤولين في الجيش وعلى رأسهم الفريق الجبوري رئيس أركان الجيش وكذا الزعيم طاهر الزبيدي قائد المنطقة فأمرا حالاً بإخراجه من التوقيف جزاهما الله خيراً ولقد ارتاح الناس لخروجه من السجن والحمد لله رب العالمين.

الفريق مصطفى راغب المسلم الغيور:

كان اللقاء في المعسكر وفي خيمة القائد المؤمن الفريق مصطفى راغب رحمه الله وأثابه خيراً كثيراً، فقد استقبلني بحرارة وتقدير وإكرام، وقد أثنى كثيراً على قدومي إلى ميدان المعركة وقال: هكذا نريد من علمائنا أن يشاركوا الأمة في سرائها وضرائها وفي سلمها وحربها. ثم جلسنا نتحدث عن أوضاع أمتنا وما أصابها من انتكاسات تدمى لها القلوب ولقد فتح لي قلبه الكبير وكنت أنا وهو فقط وشكا من القيادة السياسية شكوى مرة و قال: ماذا أصنع يا ولدي وقد قيدوني ومنعوني من التحرك أو التصرف وها أنت ترى بنفسك أحوالنا وما صنع اليهود المجرمون في دير ياسين ونحن لا نستطيع حتى الدفاع عن إخواننا المسلمين ونرى ما يجري لهم وتنقطع قلوبنا أسى وحسرة. ثم قال لي:

ها أنت ترى الشعب الفلسطيني المعتدى عليه أخذ يترك مدنه وقراه خوفاً من المذابح التي رآها في دير ياسين وهذا الأمر ليس في صالحنا وليس في صالح القضية لذا أرجوك أن تقوم بحملة من التوعية الإسلامية بخطبك وأحاديثك لتثبيت الناس وطمأنتهم وسوف أخصص لك السيارات اللازمة والمرافقين من الضباط حتى تسارعوا لإنقاذ الموقف. وفعلاً خصص لي رحمه الله سيارة «لاندروفر» وثلاثة ضباط من المؤمنين وبدأنا الحملة الإسلامية الواسعة في المدن والقرى الأمامية وفي كل أمسية نقيم حفلاً كبيراً في منطقة من المناطق العربية وبدأنا الاجتماع الأول في «طولكرم» الصامدة الشجاعة بدار عمدتها أخينا المفضال الحاج حسن القيسي الكريم وحضر الاجتماع الآلاف من إخواننا هناك وهكذا كل اجتماع كنا نقيمه. نشرح الموقف ووجوب الصمود أمام أعداء الله المغتصبين وواجب المسلمين في جهاد الكفار والمنافقين لعنهم الله جميعاً

وقد أمر الله سبحانه رسوله الأمين بجهاد هؤلاء وهؤلاء فقال له: ﴿جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ والحمد لله فقد كان لهذه اللقاءات الإسلامية الجماعية أثر كبير في نفوس أهل المنطقة كلها.

ومصطفى راغب رحمه الله قائد كبير من أصل تركي وهو مسلم غيور كان يتحرك من منطلق إيماني ويتحرق أسى وكآبة على الأوضاع التي وصلنا إليها وأخيراً قدم استقالته وكنت أتمنى لو أنني احتفظت بنسخة منها لنشرها هنا في هذه المذكرات فقد اطلعت عليها وقرأتها بإمعان وروح الإسلام تنبع من أصول وخروج هذه الرسالة، إذ أحس رحمه الله بمسئوليته أمام الله فرفض الرتبة والمنصب والمرتب وعاد أدراجه ليريح ضميره ويرضي ربه إذ لم يستطع أن يفعل أكثر من هذا. رحم الله هذا الرجل المسلم الفريق مصطفى راغب وأسكنه الجنة إذ لا زلت أذكر جلساتنا في خيمته المتواضعة وأراد أن يكرمني وينزلني في مكان مريح فأبيت إلا أن أكون مع الجنود في الخيام وفعلاً قضيت كل أيامي هناك وهي طويلة وأنا أنام في خيمة مع إخواني الجنود بالقرب من خيمة القائد الموفق مصطفى راغب رحمه الله.

اللواء عمر علي واسترداد جنين:

حشد اليهود حوالي إثنتي عشر ألف مقاتل حتى تمكنوا من احتلال جنين وأخذوا مواقعهم المسيطرة عليها، ولما دخل الجيش العراقي المنطقة هاجمهم بفوجين فاستردها ولم يخسر سوى ست وثلاثين شهيداً بينما بلغت خسائر اليهود حوالي ألفين قتيل أو يزيد.

ورحم الله الأخ القائد اللواء عمر علي فقد كان رجلاً شجاعاً بطلاً شرفه الله بقيادة معركة «جنين» سنة ١٩٤٨ م وانتصر فيها انتصاراً رائعاً أذهل اليهود وأرعبهم، ولأول مرة يترك اليهود قتلاهم تملأ وديان جنين

وروابيها دون أن يحملوها معهم حتى تفسخت وقد وقعت المعركة في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٦٨ وكان اللواء الذي يقوده عمر علي من الألوية العسكرية الشجاعة بضباطه وجنوده وكان قائده المسلم يتصف بالجدية والمغامرة والشجاعة وقوة الشخصية وقد عرفته في العراق معرفة جيدة وتوطدت بيني وبينه المحبة والمودة، وعند زيارتي هذه لأرض الجهاد فلسطين وفي أرض نابلس البطلة بالذات كان اللواء عمر علي يعسكر في منطقة الهوارة بنابلس فلما التقينا رحب بي كثيراً وفرح بقدومي ودعاني إلى حفل غداء يقيمه تكريماً لي على أن يجمع لي ضباط وجنود اللواء كله لألقي فيهم محاضرة عن الجهاد بعد الغداء وبعد تحديد الموعد حضرت مع بعض الضباط إلى منطقة الهوارة ودخلت المعسكر وكان المؤذن يرفع صوته بالأذان بصلاة الظهر فاستبشرت خيراً وسررت جداً إذ صوت الأذان والإيمان يصحبه النصر بإذن الله الرحمن الرحيم.

وقد كانت الكتيبة تضم مجموعة كبيرة من الضباط الإسلاميين والمتدينين منهم اللواء الركن والباحث الإسلامي محمود شيت خطاب الذي كان يشغل ضابط ركن اللواء العراقي الذي شارك في معركة جنين وأبلى بلاءً حسناً بقيادة البطل المسلم عمر علي آمر اللواء وهو من أصل كردي والذي كبد الإسرائيليين ٢٦٠٠ قتيل لا زال الإسرائيليون يذكرونها حتى الآن.

ولست في موضوع التفصيل هنا حتى أذكر مفصلاً ما جرى بعد المعركة من المفارقات العجيبة لقادتها وضباطها الأبطال المؤمنين وما جرى من مؤامرات ضد العراق وجيش العراق من مؤامرات عالمية ضد هذا البلد وهذا الجيش الذي كان ولا يزال يملك من الشجاعة والبطولة ما يكفي لإنقاذ فلسطين. ومما لا بد لي أن أذكره هنا هو أن الطائرات الأمريكية شاركت في حرب الجيش العراقي في جنين لتنقذ اليهود ولكنها

بفضل الله كانت خائبة فاشلة في ضرباتها مع العلم بأنها ترمي القنبلة الضخمة جداً فلا تصيب أهدافها. ولما تقدمت قوات عمر علي رحمه الله وكادت تصد منطقة «العفُولة» لتقسيم فلسطين إلى شطرين، جاءت لجنة الجامعة العربية وطلب من عمر علي وقواته أن تعود أدراجها إلى الخط المرسوم لها وإن لم تفعل فسوف يطوقها الجيش الأردني بقيادة الإنكليزي كلوب باشا كما أن البحرية الأمريكية الموجودة في ساحل «ناثانيا» وغيرها هددت بالنزول والتدخل العسكري ضد جيش العراق وأخيراً جاءت الأوامر الصارمة من القيادة العراقية السياسية بوجوب الانسحاب من كل شبر استرده جيش العراق خارج حدود التقسيم كما وصل على جناح السرعة من العراق بعض القادة الكبار فردوا الجيش العراقي إلى مكانه المحدد له والمستعان الله.

بعض الأعمال العسكرية التي قام بها المجاهدون العراقيون نقلاً عن كتاب النكبة لعارف العارف

في ١٩٤٨/٢/٢٥ طلبت اللجنة العسكرية بدمشق من فوزي القاوقجي قائد الإنقاذ أن يرسل إلى القدس سرية من سرايا فوج الحسين بقيادة الملازم أول فاضل عبدالله الرشيد العراقي لتتولى حماية المدينة ويتولى هو حماية الحامية وهبط العراقي البلاد فحط رحله في بيت جالا جنوبي القدس ولم يدخلها إلا بعد ١٩٤٨/٣/٢١ فاتخذ الروضة إلى الشمال من الحرم مقراً له وأمرته اللجنة بالتعاون مع أحمد حلمي باشا والدكتور حسين الخالدي وهما العضوان الوحيدان اللذان بقيا في القدس من أعضاء الهيئة العربية العليا. ونتيجة أعمال تخريبية قام بها اليهود استشهد من حامية القدس المجاهد العراقي حسين الدخلري.

وفي ١٩٤٨/٤/٣٠ انتدب الرئيس الأول عبد الحميد الراوي العراقي آمر فوج اليرموك الثالث قائداً لحامية القدس وكان الملازم أول موسى عبد الهادي أحد القادة العاملين معه ووضعت سرية الرئيس فاضل عبد الله رشيد الموجودة في القدس تحت إمرته وجعلت مهمته إضافة إلى الدفاع عن الأحياء العربية ورام الله واحتلال المراكز الهامة التي يحتلها الجيش البريطاني أن يقطع طريق تل أبيب ـ القدس وكان رجاله خليط من العراقيين والسوريين والفلسطينيين والأردنيين (ص ١٨٢).

في ١٩٤٨/٥/١٥ أنذر اليهود المجاهدين بمكبرات الصوت

بالخروج من الأحياء المجاورة للمستشفى الإيطالي والالتحاق بالمدينة القديمة داخل السور. فأصدر آمر حامية القدس القائد فاضل رشيد أمراً بالإنسحاب إلى داخل المدينة وكان قائدهم بهجت أبو غربية وتقدم اليهود من ناحية مياشورم فاحتلوا جزءاً من حي سعد وسعيد ومدرسة الأسوج وبعض المناطق الأخرى وبعد ساعة خرج إليهم فاضل رشيد برجاله وشن هجوماً معاكساً على الإسرائيليين من ناحية باب العمود والنوتردام ودعمتهم فرقة أخرى من المجاهدين واستمر القتال من الساعة الواحدة حتى الخامسة مساء انتهى بهزيمة اليهود وانسحابهم وفك الحصار عن عشرين مجاهداً من الأكراد العراقيين الذين كانوا محاصرين في فندق رغدان.

بعد استشهاد عبد القادر الحسيني قابل القاوقجي وفد من سكان القدس يطلبون زيادة القوات المدافعة عن القدس فأرسل فصيلا من فوج حطين العراقي وفصيل الشراكسة وفصيل لبنان بقيادة مأمون البيطار، وفي ٤/١٢ احتلت هذه القوات النبي صموئيل والآكام المجاورة وسيطرت على القطاع الشمالي من القدس واتصلوا بالقائد العراقي فاضل رشيد ثم راحت تقصف الأحياء اليهودية (ص ١٣٨).

لقد ساهم فوج اليرموك في معركة باب الخليل مع الإخوان السوريين وكتائب الجهاد المقدس والمتطوعين الأردنيين. ثم انسحب جيش الإنقاذ إلى دمشق ليعيد تنظيم نفسه من جديد بعد الخسارات التي مني بها وذلك بعد دخول الجيوش العربية النظامية في ١٩٤٨/٥/١٥ أرض فلسطين.

وقد أعيد تشكيل جيش الإنقاذ أثناء الهدنة الأولى على الشكل الآتي: لواء اليرموك الأول بقيادة المقدم صفاء ولواء اليرموك الثاني بقيادة العقيد مهدي العاني ولواء اليرموك الثالث بقيادة المقدم أديب الشيشكلي

ووضع الجميع تحت قيادة فوزي القاوقجي وقد خاض اللواء الثاني والثالث معارك الشجرة الناجحة ومعارك الجليل.

جهاد الإسلاميين الليبيين في حرب فلسطين

ما أن أعلنت الأمم المتحدة مشروع التقسيم حتى تحركت روح الجهاد في نفوس المؤمنين فتداعوا للجهاد تحت مظلة جامعة الدول العربية، وانتقل الفوج الأول وعددهم مئتي مجاهد ليبي إلى الحدود الشرقية في أول أبريل ١٩٤٨ وفي الطريق تحركت عواطف الجماهير فلحق بهم الكثيرون فأصبح عددهم أربعمائة وست وخمسون مجاهداً وفي السلوم استقبلهم النقيب محمد سرور رستم مندوباً عن الجامعة العربية واتجهوا جميعاً إلى معسكر لتجميع المتطوعين بعد الكيلومتر خمسة في طريق مرسى مطروح ـ الإسكندرية أقيم على أنقاض معسكر للجيش البريطاني، وهناك وجدوا ثمانية عشر ليبياً سبقوهم إلى المعسكر منهم سالم السركسي والمستيري وهناك تم تسليم الملابس والتموين وأطلقوا على كتيبتهم إسم عمر المختار ثم قسموا فيما بعد إلى كتيبتين الكتيبة الأولى والثانية ثم نقلوا بعد أسبوع إلى معسكر هاكستب فوجدوا فيه أربع مجاهدين آخرين منهم محمد جعاكة وبشير الناجح الذي استشهد في بيت لحم فيما بعد. وفي صباح ١٩٤٨/٥/٢ تحرك القطار بالكتيبة الأولى إلى العريش حيث نزلوا في معسكر للجيش المصري وفي العاشر من نفس الشهر تحركوا باتجاه رفح ليلاً وقبيل المدينة ترجلوا وساروا على الأقدام عدة كيلومترات حتى وصلوا خان يونس فنزلوا في مدرستها وفي الصباح تم توزيع الأسلحة والذخيرة منها رشاشات توميغان برتي ضد الأفراد وبويز ضد الآليات.

عملية وادي الدانجور:

في الحادي عشر من الشهر الخامس حضر من أبلغهم أن مصفحات إسرائيلية ستمر عبر طريق وادي دانجور متجهة إلى قصر قرب الفالوجا لاستلامه من الإنكليز فشددوا الحراسة وفي صباح اليوم الثاني وصلت سيارات الجيش المصري ونقلتهم إلى غزة ومنها إلى قرية عراق سويدان على طريق بئر السبع ثم إلى الفالوجا وهناك انقسموا قسمين قسم دخل قرية الفالوجا شبه الخالية من السكان انتشروا بين أبنيتها لمراقبة المصفحات وقسم انتشر على حافتي الوادي مسلحين برشاشات ضد المدرعات وبعد ساعتين ظهرت المصفحة الأولى ثم تتالت المصفحات واتجهت نحو القصر لتمر في بطن الوادي وفي بداية الوادي فاجأهم المجاهدون الليبيون بأسلحتهم الرشاشة المشوقة إلى لقاء العدو فتوقفت المدرعات وانقض المجاهدون على عناصرها فاستسلم منهم من بقي على قيد الحياة وكانوا اثنان سلموا إلى الجيش المصري مع المدرعات المليئة بالمشروبات وأكياس الحلوى والدجاج ومن السلاح خمس وستون بارودة إنكليزية وكان يساعد النقيب سرور في قيادة الكتيبة الليبية الرائد معروف الحضري والمقدم الوردياني.

عملية قصر الفالوجا:

علم المجاهدون الليبيون أن اليهود سيحاولون ثانية تسلم قصر الفالوجا من الإنكليز وحضر إليهم المقدم الوردياني مع بعض الضباط وكلفهم باعتراض القافلة الإسرائيلية أثناء مرورها من وادي دانجور وسلمهم مسدسات لإطلاق إشارات ضوئية أثناء مرور القافلة الإسرائيلية وفي اليوم السادس عشر من مايو ظهرت أربع عشرة مصفحة ورافعة وخزان ماء فأطلقت الإشارات الضوئية وفتحت المدفعية المصرية نيرانها

على الآليات فأعطبت ستة منها وما أن توقف القصف حتى سارع المجاهدون بأسلحتهم إلى الآليات وذهل اليهود واستسلموا دون إطلاق عيار ناري واحد سوى سائق الرافعة الذي أصاب برصاصه المجاهد يونس بركة بجراح نقل على إثرها إلى مستشفى غزة، وكانت نتائج المعركة ثلاثة وعشرين قتيلاً إسرائيلياً وسحبت المصفحات إلى عراق سويدان مقر الكتيبة سلمت بعدها إلى الجيش المصري، وفي المساء زار الورداني مع ضباط ممثلين عن الأسلحة مركز الكتيبة وأثنوا على المجاهدين الذين كانوا قد تسلموا الفالوجا وقصرها الذي غادره الإنكليز والذين لا يتجاوز عددهم عشرة عساكر.

بعد هذه المعركة تسلم قيادة المنطقة المقدم أحمد عبد العزيز فنقل قسماً من المجاهدين الليبيين إلى بئر السبع والقسم الآخر إلى بيت لحم ونصبت خيامهم في مكان اسمه قبة راحيل المشرفة على القدس واتخذ أحمد عبد العزيز مقر قيادته في بناء من ثلاثة طوابق كتب عليه منزل ولسون (سابقاً) وفي ذلك الحين وصل الجيش المصري مدينة بيت لحم منتشراً خلف أسوارها على مسافة إثنتى عشر كيلومتر كما وصلت الكتيبة اليمنية إلى تبة غرب صفافا سميت بتبة اليمن فيما بعد. ووصل المجاهدون السودانيون إلى بيت صفافا. ثم نقل أحمد عبد العزيز قيادته إلى مقر قيادة الجيش المصري في قرية شرفات والتي كان يرأسها اللواء المواوي بك.

استرداد قرية صفافا:

علمت كتيبة عمر المختار بسقوط قرية بيت صفافا فقررت قيادتها استرداد القرية فتحركت قوة من خمسين مجاهداً بإتجاه بيت صفافا مخترقة قرية بيت جالا وانتشروا حول القرية مشرفين على مداخلها وهاجمت

الكتيبة الثانية القرية من خلف فوقع الإسرائيليون بين فكي كماشة فسقط منهم أربعة وعشرون قتيلاً وجرح الكثيرون وولى الباقون هاربين واستشهد من المجاهدين إبراهيم الزوبي وجرح إثنا عشر مجاهداً نقلوا إلى مستشفى بيت لحم.

إحتلال قرية بيتر وقصرها:

بعد إعلان الهدنة خرق اليهود وقف إطلاق النار وتوجهوا إلى قرية بيتر الواقعة على قمة جبل عين كارم لاحتلالها وسارع المجاهدون الليبيون لدخول قرية بيتر مروراً بعين جالا ولدى وصولهم إليها تبين لهم أن الصهاينة قد احتلوا قصراً عالياً فيها وراحوا يطلقون النار في كافة الاتجاهات وأحاط المجاهدون بالقرية والقصر منتشرين بين الأشجار وتسللت مجموعة منهم إلى القصر من بابه الخلفي والذي كان مفتوحاً وانهالوا على الصهاينة بالقنابل اليدوية والرشاشات فقضوا عليهم جميعاً وكانوا ثمانية من الشباب الصهيوني يضعون نجمة صهيون وسنبلة قمح على صدورهم وحضر القائد أحمد عبد العزيز ليبارك لهم نجاح العملية ثم عادوا إلى مركزهم في شرفات فرحين بنصر الله وتأييده.

نجدة الليبيين في معركة العسلوج:

حضر المجاهد الليبي سالم السركس إلى إخوانه في الكتيبة الثانية يشكو إليهم عدم دعم الجيش النظامي لهم في بئر السبع فتحركوا لنجدة إخوانهم بعد أن تركوا قوة صغيرة لحراسة مقرهم في شرفات وفي الطريق أخبرهم بعض المصريين من كبار السن أن المجاهدين الليبيين يشتبكون مع اليهود في العسلوج فيم المجاهدون شطر العسلوج وكان اليهود يهدفون فتح ثغرة ينفذون منها إلى النقب خلف خطوط المصريين وفاجأهم مجاهدو الكتيبة الثانية بنيران أسلحتهم الرشاشة فولوا هاربين تاركين

وراءهم عدداً كبيراً من القتلى والأسلحة وسقط من الليبيين ثلاثة شهداء مثل بهم اليهود أشنع تمثيل سلخوا وجوههم وقطعوا أيديهم وآذانهم وهم غازي بو دبوس وفتحي علبة وعلي جبريل الدرنادي وجرح المجاهد محمد عبد النبي ايعيو وسلمت العسلوج للجيش المصري في صباح ١٩٤٨/٧/١٠.

معركة الثلوج:

في ليلة الخامس من شهر آذار الشديد البرودة والكثيرة الثلوج سمع المجاهدون إطلاق أعيرة نارية أثناء فترة الهدنة الثانية فاتصل المجاهدون في الكتيبة الثانية بقائدهم أحمد عبد العزيز وبالمجاهدين السودانيين واليمنيين فوجدوا الخطوط مقطوعة فتوقعوا غدر اليهود فتحركوا باتجاه بيت لحم وفي قبة راحيل شاهد أحد المجاهدين دواباً تتحرك وما أن تأكدوا من هذا المشهد حتى فتحوا نيران أسلحتهم عليها واستمرت المعركة زهاء ساعتين اسفرت عن هزيمة الصهاينة وقتل ثلاثة وثلاثين منهم مع حميرهم وبغالهم التي كانوا يختفون وراءها أما خسائر المجاهدين فكانت خمسة عشر شهيداً واثنى عشر جريحاً وتسابق سكان بيت لحم وبيت جالا والمراقبون الدوليون والضباط المصريون وقائدهم أحمد عبد العزيز إلى مكان الحادث ليشاهدوا بطولة المجاهدين ونصرهم المبين.

معركة الثأر:

قرر المجاهدون الليبيون الانتقام لشهدائهم فنظموا أنفسهم وساروا في الوادي الذي تنطلق منه نيران الصهاينة فلم يجدوا أحداً وتابعوا تمشيطهم حتى وصلوا إلى تقاطع واديين فشاهدوا مستعمرة هيش هاعفودا على اليسار فقرروا مهاجمتها وشاهدوا في طرقها حظيرة تضم البغال والحمير والبقر فساقها المجاهدان القرابويلي ومحمد العقوري فتنبه

الصهاينة وأصلاهم المجاهدون ناراً حامية انتهت بالقضاء على كل المقاتلين المتواجدين في القرية وغنموا أسلحتهم وعتادهم.

وتقديراً لجهود المجاهدين فقد أصدر القائد أحمد عبد العزيز أمراً بترقية الملازم ادريس أحمد بوشناف إلى رتبة نقيب متطوع والملازم علي بو هادي إلى رتبة ملازم أول متطوع والملازم سليم الزواري إلى ملازم أول متطوع والمجاهد الغماوي الطيرة إلى ملازم متطوع والمجاهد محمد جعاكة إلى عريف متطوع.

تطورات في صف القادة:

في صباح ١٣/٨/١٩٤٨ أذاعت القيادة العامة نبأ استشهاد القائد أحمد عبد العزيز على يد عسكري في الجيش المصري بحجة أنه لم يسمع كلمة السر من القائد أحمد عبد العزيز الذي كان برفقته الوردياني ومحمد زكريا وصلاح سالم في سيارة جيب عسكرية مما جعل المؤلف يجزم بأن اغتياله كان مؤامرة مدبرة فهو القائد المعروف من الجميع وضمن سيارة عسكرية معروفة ومع ضباط معروفين في نفس المنطقة وأن ادعاء عدم سماع كلمة السر حجة واهية يتذرع بها الرؤساء للتخلص من المخلصين من مرؤوسيهم وقد عين بدلاً عنه المقدم أركان حرب عبد الجواد طبالة.

معركة المالحة:

في الثامن والعشرين من الشهر الثاني حضر الصاغ معروف الخضري والضابط حمدي واصف وأبلغا الكتيبة الثانية بالتوجه إلى قرية المالحة المهجورة جنوبي القدس لمحاولة الإسرائيليين احتلالها وكانت المالحة مركز تسابق المجاهدين والإسرائيليين وتمكنت إحدى مجموعات المجاهدين من دخول المالحة وراحت تضرب تجمعات الصهاينة وتلتف حولهم تاركة لهم فرجة للهروب منها فلاذوا بالفرار تاركين خلفهم أحد

عشر قتيلاً مع الأسلحة والذخيرة واستشهد من الليبيين محمد اجويلي والهادي سلطان المعداني وجرح سليم الزواري.

الإنسحاب إلى سيناء:

وفي ابريل من عام ١٩٤٩ وصل المعسكر بقرية شرفات سيارات نقل تابعة للجيش المصري ووصل معها القائد معروف الخضري الذي أبلغهم أمر القيادة بالاستعداد للسفر إلى سيناء وكانت مأساة شعر بها كل مجاهد لمنعه من الجهاد ولضلوع رجالات كبار في مخططات المستعمرين الذين وعدوا اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

أما الكتيبة الثالثة الليبية فقد شاركت بالجهاد مع اللواء الرابع عشر السوري بقيادة الرائد عمر القباني أما الكتيبة الثالثة فقد شاركت في الجهاد مع الجيش المصري في منطقة المجدل بقيادة محمد نجيب وكان قائد الكتيبة أحمد عطية الضابط المصري الشجاع.

مما تقدم يلاحظ ما يلي:

١ ـ وضع المجاهدين تحت إشراف وسيطرة الجيوش النظامية لكي تبقى ملتزمة بالخطة السياسية العامة.

٢ ـ إن هنالك عدة قرى خالية من أصحابها عرب فلسطين بطلب من الأمم المتحدة ومعرفة الجيوش النظامية لكي يتم تسليمها إلى اليهود لدخولها في منطقة التقسيم.

٣ ـ يلاحظ أن هدف القيادة العليا المحافظة على مخطط التقسيم وذلك بعدم السماح للمجاهدين بالبقاء بالقرى التي يهاجمونها وبعدم السماح للصهاينة باحتلال أراض جديدة خارج حدود التقسيم وهذا ما صرح به الهاشمي القائد العام لوفد الإخوان السوريين والذي نقله لنا الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري.

الإخوان المسلمون الفلسطينيون والأردنيون

«من كتاب التيار الإسلامي في فلسطين لمحسن محمد صالح»

تتابع إنشاء فروع الإخوان في فلسطين قبل حرب ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ فأنشئت فروع في قلقيلية، واللد، ونابلس (برئاسة الشيخ مشهور ضامن)، وطولكرم، والمجدل[١]، وسلواد (تولى مسؤليته عبد الرزاق عبد الجليل)[٢]، والخليل (ومن أبرز أعضائه: د. حافظ عبد النبي، وعيسى عبد النبي، وراشد سلهب)[٣].

وقد تتابع إنشاء فروع الإخوان المسلمين في شمال ووسط وجنوب فلسطين حتى زادت هذه الفروع ـ كما يذكر الشيخ حسن البنا نفسه ـ عن عشرين فرعاً[٤].

هل كان للإخوان المسلمين الفلسطينيين قيادة واحدة:

من مجمل استقرائنا للأحداث، ومن خلال المقابلات التي أجريناها مع العديد من الإخوان: يوسف عميرة، وعبد الرزاق عبد الجليل، وكامل الشريف، ومحمد عبد الرحمن خليفة، وجدنا أنه لم تكن «للإخوان

---

(١) يوسف عميرة، مقابلة. الكويت: ٦ نوفمبر ١٩٨٥، وبيان نويهض، مرجع سابق، ص ٥٠٤ وأيضاً:

Ammon Cohen, op. cit. p. 144.

(٢) عبد الرزاق عبد الجليل، مقابلة. الكويت: ٦ سبتمبر ١٩٨٥.

(٣) محمد عبد الرحمن خليفة، مقابلة. عمّان: ٣٠ أكتوبر ١٩٨٥.

(٤) صلاح شادي، صفحات من التاريخ: حصاد العمر، الطبعة الثانية، (الكويت: شركة الشعاع للنشر، ١٩٨١)، ص ٦٢.

المسلمين» في فلسطين قيادة واحدة تمثلهم جميعاً في بدايات التأسيس في فلسطين على الأقل، ويرى الإخوان الذين قابلناهم أنه لم تكن لإخوان فلسطين قيادة موحدة حتى نهاية حرب فلسطين عام ١٩٤٨، ويرى يوسف عميرة وكامل الشريف أن ذلك يرجع إلى إنشاء الإخوان في فلسطين عام ١٩٤٦ لم يأخذ بُعده الطبيعي في النمو والتطور بسبب الاحتلال البريطاني وأساليبه الإرهابية والقمعية وعدائه لقوة المسلمين وحركتهم، وكذلك لتعاظم المؤامرة اليهودية لتحقيق طموحاتها في بناء الوطن القومي في فلسطين، ولم تكد تمضي أكثر من سنة ونصف على التأسيس حتى أعلن قرار تقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وانشغل الإخوان في فلسطين بشكل أساسي في الجهاد وقتال اليهود في المناطق التي يسكنون فيها، وشبّه كامل الشريف شعب «الإخوان» في فلسطين بأنها كانت كالجزر المعزولة عن بعضها إذ لم يسمح لها الوقت بأن تكون تحت قيادة واحدة[1].

ويبدو أن سبباً آخر قد أسهم في ذلك وهو أن إخوان فلسطين كما يرى محمد عبد الرحمن خليفة، وكما ترى بيان نويهض كانوا يتبعون حركة الإخوان في مصر مباشرة في بداية الأمر[2] وقد يصح هذا باعتبار أن حركة الإخوان في فلسطين كانت ما تزال في مرحلة التأسيس حيث

---

(١) يوسف عميرة، مقابلة. الكويت: ٦ نوفمبر ١٩٨٥، وكامل الشريف، مقابلة. عمّان، الأردن: ٢٨ أكتوبر ١٩٨٥ (كامل الشريف: من أصل مصري من سيناء من مدينة العريش، يحمل الجنسية الأردنية، أحد قادة الإخوان البارزين في حرب ١٩٤٨ في فلسطين، وزير الأوقاف الأردنية السابق، رئيس مجلس إدارة جريدة الدستور الأردنية حالياً).

(٢) محمد عبد الرحمن خليفة، مقابلة، عمّان، الأردن: ٣٠ أكتوبر ١٩٨٥، وبيان نويهض، مرجع سابق، ص ٥٠٤.

تحتاج إلى مزيد من العناية والمتابعة وهو ما لاحظناه من كثرة تردد الكثير من الإخوان المصريين البارزين على فلسطين.

ويذكر يوسف عميرة أن ما سبق لا يمنع بأن يكون هناك نوع من التنسيق والزيارات المتبادلة بين فروع الإخوان في فلسطين، كما كانت هناك لقاءات دورية لرؤساء الفروع في فلسطين (نواب الشُعَب) حيث كانوا يلتقون بين فترة وأخرى لقاءات دورية، ولم يكن عليهم أمير معين وإنما كان يتولى مسؤولية اللقاء رئيس فرع المدينة التي يجتمع فيها الإخوان[1].

وربما يصح ما ذكر سابقاً على بدايات التأسيس، إلا أن المؤتمر الذي عقده الإخوان الفلسطينيون في أكتوبر ١٩٤٦ يوحي بظهور بدايات العمل المنظم الموحد للإخوان على مستوى فلسطين[2]، كما أن وثيقة صادرة عن مؤتمر الإخوان المسلمين في حيفا في ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧ تؤكد وجود مكتب إداري للإخوان في فلسطين يزاول مهماته في الإشراف على الشعب وترتيب نظام الأسر والجوالة وتأليف مجالس للمناطق[3]، مما يدل على أن حركة الإخوان المسلمين في فلسطين قد أخذت بعدها المرتب والمنظم ولكن في فترة متأخرة نسبياً لأن القرارات صدرت عن المؤتمر قبل شهر واحد فقط من صدور قرار التقسيم واندلاع حرب فلسطين.

مؤتمرات الإخوان المسلمين في فلسطين:

أ ــ مؤتمر الإخوان المسلمين في حيفا (أكتوبر ١٩٤٦):

في ١٨ أكتوبر ١٩٤٦ عقد «الإخوان المسلمون» الفلسطينيون مؤتمراً

(١) يوسف عميرة، مقابلة. الكويت: ٦ نوفمبر ١٩٨٥.
(٢) بيان نويهض، مرجع سابق، ص ٥٠٣.
(٣) نفس المرجع، ص ٧٩٤.

عاماً في حيفا حضرة ممثلون عن لبنان والأردن، وقد تقرر فيه:
- اعتبار حكومة فلسطين مسؤولة عن الوضع السياسي المضطرب.
- تأييد الجامعة العربية.
- تأييد مطالب مصر بالجلاء ووحدة النيل.
- عرض قضية فلسطين على مجلس الأمن.
- تأييد المشاريع التي ترمي إلى إنقاذ الأراضي.
- عدم الأعتراف باليهود الطارئين على البلاد.
- تعميم شعب «الإخوان المسلمين» في فلسطين[١].

ب - مؤتمر الإخوان المسلمين في حيفا (أكتوبر ١٩٤٧):

بعد عام من انعقاد المؤتمر السابق عقد «الإخوان المسلمون» مؤتمراً آخر كبيراً في حيفا في ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧ وقد اتخذت القرارات التالية:

١ - يعلن «الإخوان المسلمون» تصميمهم على الدفاع عن بلادهم بجميع الوسائل واستعدادهم للتعاون مع جميع الهيئات الوطنية في هذا السبيل.

٢ - يعلن المؤتمرون باسم هيئة الإخوان المسلمين في سائر الأقطار الممثلة استنكارهم لكل محاولة تعلل العرب والمسلمين بتحقيق الأهداف الوطنية عن طريق مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة بعد أن أسفرت المحاولات الكثيرة عن حقيقة هذه المنظمات الدولية وأنها ليست إلا ثوباً خالصاً لمطامع الدول الكبرى المستعمرة.

٣ - يعلن المؤتمرون أن هيئة الإخوان المسلمين ستحمل نصيبها كاملاً من تكاليف النضال.

---

(١) نفس المرجع، ص ٥٠٣.

٤ ــ يعلن مندوبو الإخوان المسلمين في شرق الأردن أنهم على استعداد كامل لحمل نصيبهم في تحرير فلسطين.

٥ ــ يعلن المؤتمر تعميم نظام الأسر في جميع فلسطين وأن المندوب الذي اختاره المكتب الإداري في فلسطين يزاول هذه المهمة فعلاً وعلى الإخوان أن يكونوا عوناً في تنفيذ القانون العام.

٦ ــ مطالبة المكتب الإداري بعقد اجتماع سريع لفرق الجوالة في شُعب فلسطين لاختيار مراقب عام يشرف على شؤونها الإشراف الدقيق.

٧ ــ يحيي المؤتمر أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك العرب ورؤساء جمهورياتهم وحكوماتهم والهيئة العربية العليا وفضيلة الأستاذ المرشد العام ويشكر لهم اهتمامهم بأداء الواجب المقدس ويسأل الله تعالى أن يوفقهم إلى خير الإسلام والعروبة وأن يجعلهم دائماً أهلاً للآمال المعلقة عليهم.

٨ ــ يجدد المؤتمرون البيعة على أن يكونوا الجند البررة الصادقين لدعوة الإخوان المسلمين حتى يتم الله نوره ويجمع شمل المسلمين والعرب على كلمة الخير في ظل العزة والكرامة.

٩ ــ على مكتب المؤتمر إذاعة هذه القرارت وإنابة وفد لمقابلة الهيئة العربية العليا في شأن الأحوال الحاضرة.

١٠ ــ تأليف مجالس المناطق حسب النظام الذي وضعه المكتب الإداري للإخوان المسلمين.

١١ ــ يبتهل المؤتمرون إلى الله تعالى أن ينجي مصر من وباء الكوليرا وأن يحقق [النصر] لجميع الشعوب الإسلامية والعربية الشقيقة.

١٢ ــ الاتصال بالهيئة العربية العليا للبحث في بعض الشؤون

الوطنية العامة[1].

ونلاحظ في هذه القرارات مدى جديتها وقوتها ومتابعتها للأحداث السياسية والواقعية حيث كان للقرارات السياسية نصيب الأسد فيها، كما نلاحظ المضمون الجهادي الذي تمخضت عنه هذه القرارات والتي كانت متفوقة في مضمونها وطبيعتها عن الاتجاهات السياسية السائدة في تلك الفترة، وبالإضافة إلى ذلك فهناك العديد من القرارات التي رتبت العمل الإخواني المنظم في فلسطين تحت قيادة واحدة، إلا أن هذه القرارات لم تأخذ بعدها في التنفيذ بسبب ظروف الحرب التي استجدت بعد ذلك بقليل.

نشاط الإخوان المسلمين في فلسطين:

وقد نشط الإخوان المسلمون في فلسطين بين فترة الإنشاء (مطلع ١٩٤٦) وبين قرار التقسيم (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) في نشر دعوتهم وتأسيس شعبهم وفروعهم وافتتاح المكتبات والأندية وإلقاء المحاضرات[2].

ونشطوا ـ باعتراف الرواية الإسرائيلية الرسمية لحرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ بشكل كبير ودعوا العرب إلى رفع راية «التمرد» (ضد اليهود والإنكليز) حتى أن المؤسسات القومية اليهودية احتجت واشتكت عليهم للسلطات البريطانية[3].

جوالة الإخوان المسلمين الفلسطينيين:

وأنشأ الإخوان فرقاً للكشافة والجوالة كانت من أفضل الفرق في

(١) نفس المرجع، ص ٧٩٤. (انظر نص القرارات في ملحق الوثائق، ص ٥١٥).
(٢) نفس المرجع، ص ٥٠٤.
(٣) حرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، ص ١٤.

فلسطين وكان من أبرزها فرقة جوالة يافا التي كان من قادتها يوسف عميرة، وكانت تقوم باستعراضات في يافا كما قامت بزيارة قلقيلية، وكان من أبرز أنشطتها على المستوى الخارجي الزيارة التي قامت بها إلى مصر والتي شارك فيها ٧٢ جوالاً فلسطينياً، حيث مكثوا في مصر شهراً نزلوا في معسكر الملك فاروق في حلوان ثم مركز الشبان المسلمين، وكانوا خلال تلك الفترة يترددون على المركز العام للإخوان في مصر، وقد زار أربعة منهم (أحدهم يوسف عميرة) الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين الذي نصحهم بالإلتزام وتنفيذ الأوامر والطاعة[١] .

كما قامت جوالة الإخوان في يافا بزيارة للأردن اشترك فيها حوالي ٧٠ جوالاً وقد رافقهم في جولتهم أعضاء المكتب الإداري لفرع يافا، وقد قابلوا أثناء جولتهم ملك الأردن عبد الله بن الحسين، وكان في نية جوالة يافا القيام بزيارات سنوية أخرى إلى سوريا والعراق ولكن ظروف الحرب حالت دون ذلك[٢] .

توحيد منظمتي الفتوة والنجادة:

وقد ساهم الإخوان المسلمون في توحيد أكبر منظمتين شبه عسكريتين في فلسطين هما «منظمة النجادة» و «منظمة الفتوة» حيث كان الصراع والتنافس قد احتدم بينهما بشكل يخل بالوحدة الوطنية في مواجهة البريطانيين واليهود، وقد توحدت المنظمتان فيما بعد واختير باتفاقهما المجاهد «محمود لبيب» وكيل الإخوان المسلمين حينئذٍ للشؤون العسكرية مسؤولاً عن تنظيم هذه التشكيلات التي توحدت تحت إسم «منظمة الشباب العربي» وأخذ يحاول تنفيذ برنامج حافل لتدريبها وتنظيمها لكن لم

(١) يوسف عميرة، مقابلة. الكويت: ٦ نوفمبر ١٩٨٥ .

(٢) يوسف عميرة، مقابلة. الكويت: ٦ نوفمبر ١٩٨٥ .

تمض فترة وجيزة حتى تنبهت السلطة البريطانية لدور الحركة الإسلامية وخطورته فقامت بمطاردة دعاة الإخوان المسلمين وشبابهم وأمرت الصاغ «محمود لبيب» بمغادرة البلاد[1] .

وفي الصفحة ٣٢ من كتاب جماعة الإخوان لعوني جدوع العبيدي يفصّل هذا المسعى فيقول: ذكر المجاهد عبد الحليم الجيلاني قائد منطقة الخليل وجنوب القدس أنه تلقى رسالة من الحاج أمين الحسيني يطالبه فيها بالسفر إلى مصر برفقة كامل عريقات مؤسس فرقة الفتوة ومحمد نمر الهواري مؤسسة فرقة النجادة وتم اللقاء مع الحاج أمين والشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان ومحمد علوية باشا ومحمد صالح حرب باشا تم الاتفاق فيه على دمج المنظمتين باسم منظمة الشباب العربي الفلسطيني وعيّن الأخ الصـاغ محمود لبيب رئيساً للتنظيم وعيّن رؤساء التنظيمين السابقين مساعدين له.

الإخوان المسلمون والحاج أمين الحسيني:

كانت هناك علاقات طيبة بين زعيم فلسطين في تلك الفترة الحاج أمين وبين مرشد الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا[2] ، ويذكر كامل الشريف أنه كان هناك تنسيق واسع جداً بين الحاج أمين الحسيني وحسن البنا على المستوى السياسي وقد سمع منهما ذلك شخصياً، وكان التنسيق يشمل نواحي تعبئة الشعب النفسية، والإعلام وجمع السلاح، ويضيق بأنه كان هناك تنسيق كامل على الساحة العسكرية بين الإخوان المسلمين وبين

---

(١) كامل الشريف، مرجع سابق، ص ص ٣٣ ـ ٣٤، وصبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص ص ٢٨٠ ـ ٢٨١، ومحمود عبد الحليم، مرجع سابق، ص ص ٤١٤ ـ ٤١٥.

(٢) بيان نويهض، مرجع سابق، ص ٥٠٤.

منظمة الجهاد المقدس التي يشرف عليها الحاج أمين، أثناء حرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨، وأنه قد اجتمع مع حسن سلامة قائد منطقة يافا عن منظمة «الجهاد المقدس» لتنسيق عملهما وذلك بتعليمات من الشيخ حسن البنا والحاج أمين الحسيني[١]، كما يذكر يوسف عميرة أن الحاج أمين كان يحترم الإخوان وآراءهم وكان كثيراً ما يستشيرهم[٢].

ومن مقال الحاج أمين في رثاء حسن البنا رحمه الله تعالى قوله:

لقد كان للشيخ حسن البنا واتباعه ومريديه في نصرة فلسطين والدفاع عنها جهود مشكورة وأعمال مبرورة، كلها مآثر ومفاخر سجلها لهم التاريخ بحروف من نور وقد بذلوا على ثرى فلسطين مع إخوانهم المجاهدين من أبناء الأمة العربية والإسلامية دماء ذكية ومهجاً غالية واستشهد منهم عصبة كريمة كانت من الرعيل الأول الذين نفروا خفافاً وثقالاً لنجدة فلسطين (الحاج أمين ص ٣٨٥). (ويقول بيان نويهض في كتابه القيادات والمؤسسات ص ٥٠٤) ما يلي:

كان اهتمام الإخوان بتحرير فلسطين اهتماماً صادقاً ومرتكزاً على الإيمان الديني العميق ومنذ إعلان قرار التقسيم ابتدأوا يجسدون اهتمامهم الكامل بالتحرير تجسيداً عملياً فاتخذوا من مقرهم بالقدس مقراً للجهاد وانطلقوا على الصعيد العربي يحثون المسئولين العرب على اعتماد الحل العسكري وعلى بذل كل الممكن من أجل عملية التحرير.

دور الإخوان المسلمين الأردنيين في حرب فلسطين:

يحدثنا عن هذا الدور الأخ عوني جدوع العبيدي في كتابه جماعة

---

(١) كامل الشريف، مقابلة. عمّان، الأردن: ٢٨ أكتوبر ١٩٨٥.

(٢) يوسف عميرة، مقابلة. الكويت: ٦ نوفمبر ١٩٨٥.

الإخوان المسلمين فيقول: في عام ١٩٤٧ تأسست جماعة الإخوان المسلمين في الأردن وقد جرى انتخاب المكتب الإداري لهذه الجماعة من السادة الحاج عبد اللطيف أبو قورة مراقباً عاماً وأحمد بك طراونة نائباً للرئيس والحاج بديع دروزة أميناً للصندوق ومسلم النابلسي سكرتير القلم وممدوح الصرايرة سكرتيراً وممدوح سبتي كركر مراقباً والشيخ يوسف البرقاوي ورياض الجقة، والحاج عبدو صبحا أعضاء.

وقد تم الاتصال بين الحاج عبد اللطيف أبو قورة المراقب العام الأردني وبين المرشد العام للإخوان في مصر الشيخ حسن البنا للتعاون في نشر الدعوة والتعريف بها ولتوحيد جهود العاملين للإسلام لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين فأرسل البنا أخوين مصريين من كبار الدعاة هما سعيد رمضان وعبد الحكيم عابدين وتلت هذه الزيارة زيارات وضح خلالها هؤلاء الدعاة أهداف الدعوة ووسائلها ودور المسلمين في تحمل مسؤولياتهم تجاهها وتوحيد جهودهم للوقوف في وجه المتآمرين عليها وقد نشرت أنباء تحركاتهم ومحاضراتهم جريدة الجزيرة الأردنية التي يرأس تحريرها الأستاذ محمد تيسير ظبيان كما غطت الجزيرة أنباء تحرك الشيخ عبد المعز عبد الستار في فلسطين حيث حضر حفل افتتاح المركز العام في حي الشيخ جراح بالقدس، لقد شكل إخوان الأردن كتيبة أبي عبيدة الجراح برئاسة الشيخ عبد اللطيف أبو قورة يساعده الضابط المتقاعد الأخ ممدوح الصرايرة وقد كان ضابط الارتباط من الجيش الأردني معهم الضابط عبد القادر باشا الجندي وعدد أفراد الكتيبة مائة وعشرون مجاهداً منهم مئة من الإخوان الملتزمين والباقي من الشعب الأردني المسلم.

وقد ساهم في تسليح هذه الكتيبة بسخاء كل من الحاج عبد اللطيف أبو قورة وعبدالله أبو قورة وأبو صلاح حسن الشربجي وصبري الطباع وآخرون.

أما سلاح هذه الكتيبة: فبنادق وثلاثة مدافع رشاشة ومدفع هاون ٢ بوصة وقد انتدبت لهم قيادة الجيش الأردني إثنى من ضباط الصف لاستعمال هذه الأسلحة ولتدريب المجاهدين على استعمالها.

دخلت هذه الكتيبة فلسطين بتاريخ ١٩٤٨/٤/١٤ وتمركزت في عين كارم قرب المالحة بناء على طلب الملك عبدالله الذي استنجد به وجوه المالحة. وقد خاضت هذه الكتيبة عدة معارك في كفار عصيون ورامات راحيل وعين كارم وصور باهر وقدمت بعض الشهداء منهم الأخ سالم المسلم المبسلط من بني صخر وبشير سلطان من الرصيفة.

يقول الأستاذ عارف العارف في كتابه النكبة ص ١١٢. وراح العرب يعنون بصور باهر أكثر من عنايتهم من قبل ويحصنوها نظراً لموقعها الاستراتيجي الهام بين القدس وبيت لحم لذا أرسلوا إليها عدداً من المناضلين ثم انضم إليهم بعد قليل جماعة من الإخوان المسلمين الأردنيين يقودهم رئيسهم في عمان عبد اللطيف أبو قورة. وعندها دخلوا بيت لحم برفقة إخوانهم المصريين بقيادة أحمد عبد العزيز الذي انتدب أحد ضباطه اليوزباشي محمود عبده للدفاع عنها فكان لدفاع الإخوان المسلمين عن مقدسات النصارى في بيت لحم أكبر الأثر لدى سكانها ثم خلفه في قيادة حاميتها الملازم الأول خالد فوزي من الإخوان المصريين الذي صد الهجوم اليهودي على صور باهر وأخرجهم من المرتفع المطل عليها والمسمى بقبة اليمن بتاريخ ١٩ تشرين أول فسميت بعد تخريرها بقبة الإخوان المسلمين.

وممن شهد باشتراك إخوان الأردن في تحرير فلسطين الملك عبدالله برسالته الموجهة إلى رئيس تحرير الجزيرة الأردنية الأستاذ تيسير ظبيان قال فيها:

في ١٥ أيار ١٩٤٨ أتم الجيش الأردني تعبئته العسكرية لخوض المعركة واشتركت فيها جماعات تمثل: نادي الفضائل الإسلامية والإخوان المسلمون وعشائر الحويطات وبني صخر وعرب البلقاء والعدوان والحديد والجنود القدماء.

وقد حدثنا الأستاذ كامل إسماعيل الشريف عن احتلال الإخوان لرامات راحيل التي دك حصونها مجاهدو الإخوان المسلمين بقيادة الأخ المصري أحمد لبيب ترجمان وكان للإخوان الأردنيين دور فعّال في هذه المعركة.

ويحدثنا الحاج محمود صرايرة فيقول: لقد تمكن الإخوان من الاشتراك في أكثر من معركة كمعركة رامات راحيل ومعركة القطمون بقيادة الأخ إبراهيم أبو دية.

وفي آخر يوم من انسحاب قوات الانتداب البريطاني من القدس حاول الإخوان الأردنيون تخفيف الضغط الذي أحدثه اليهود على القدس وبيت المقدس لاحتلاله فأرسلوا ممدوح الصرايرة مع اثنين من إخوانه إلى بيت لحم لرسم خطة التعاون فاتفقوا أن يطلقوا الرصاص بالهواء ليوهموا اليهود بالهجوم عليهم فيوقفوا زحفهم على القدس وقد ساهم في ذلك إخوان الأردن وسرية مانكو وسرية قوات الجهاد المقدس وقد بادلهم اليهود إطلاق النار واستشهد في تلك الليلة الأخ إبراهيم أبو دية حيث كان مرابطاً بالغرب من مار الياس.

وقد تمكن الإخوان السوريون المرابطون حول بيت المقدس والأردنيون في عين كارم بالتعاون مع تنظيم الجهاد المقدس والمتطوعين الآخرين من إحكام الحصار حول يهود القدس والمستعمرات الغربية. وسلم الإنكليز مواقعهم في القدس لليهود بتاريخ ١٥/٧/١٩٤٨ فقاموا

بهجمات على القدس واستبسل الإخوان في الدفاع عنها وأجبروا الحي اليهودي في القدس على الاستسلام.

انتقل الإخوان الأردنيون بعد ذلك إلى المالحة لدعم إخوانهم المتبقين فيها ثم هاجموا عمارة اليشار المقابلة للمالحة قرب مستعمرة أيتا كيرم خسر اليهود خلالها الكثير من الأفراد والمعدات.

وفي إربد تسلم الأخ أحمد الخطيب مسؤولية العمل الجهادي في فلسطين وقد بلغ عدد المتطوعين معه مئة أخ من إربد وحدها وكان يشترك في كل معركة حوالي عشرين مجاهداً يقومون مع بعض إخوان عمان بمهاجمة المستوطنات القريبة المحاذية على طول نهر الأردن ويعودون في اليوم الثاني إلى بيوتهم.

وكان للمجاهد عثمان نصيف دور فعّال في هذه العمليات إضافة إلى تبرعه بسيارته وماله في شراء الأسلحة.

ومن العمليات التي قاموا بها احتلال سفح قرب طبريا واستمروا في عملياتهم حتى بعد وقف القتال بعشرة أيام حيث أعيد المجاهدون إلى بلدانهم وتوقف الجهاد في أرض الإسراء والمعراج ونفذ مشروع التقسيم.

وقد كلف الأخ أحمد الخطيب برئاسة لجنة لجمع التبرعات منه ومن الأخ حسن الغرايبة ونايف أبو عبيد لشراء السلاح للمجاهدين فجمعوا عشرة آلاف دينار وكلف بالسفر مع أخيه نايف أبو عبيد إلى مصر لشراء الأسلحة والتقى بالمركز العام للإخوان المسلمين مع لجنة أخرى من الأخوين أمين شقير والحاج عبد الرحمن أبو حسان شكلت لنفس الغرض وقد ساعدهم إخوان مصر في شراء الأسلحة من المنصورة ومن الصحراء الليبية من مخلفات الحرب العالمية الثانية.

وفي دمنهور صادرت قوات الأمن هذه الأسلحة وبعد مساع كبيرة

وتدخل الجامعة العربية أفرج عن السلاح وسلم إلى جيش الإنقاذ ولم يحصل مجاهدو. الإخوان منه إلا على اليسير.

بعد توقف القتال أصبحت مهمة الإخوان في الأردن إحياء قضية فلسطين حتى لا تنسى وكشف مخططات الصهاينة وأسيادهم في الاستيلاء على أرض فلسطين وطرد ما تبقى من أهالي من هذه المنطقة، دعا فضيلة المراقب العام لإخوان الأردن الشيخ محمد عبد الرحمن خليفة إلى مؤتمر القدس عام ١٩٥٣ حضره عدد قليل من علماء العالم الإسلامي لا يتجاوز العشرين. وفي عام ١٩٥٤ جدد الدعوة لهذا المؤتمر حضره ست وتسعون عالماً من كبار علماء العالم الإسلامي وصادف موعد المؤتمر مع زيارة الملك الحسن ملك المغرب إلى عمان فحضر إحدى جلسات هذا المؤتمر تحدث فيه الزعيم المغربي علال الفاسي كما أصدر الإخوان جريدة الكفاح الإسلامي رأس تحريرها الأخ الأستاذ يوسف العظم غير أنها لم تدم طويلاً.

واستمر الإخوان في إحياء قضية فلسطين في خطبهم في المساجد وفي المناسبات وفي التصريحات ثم إلى الجهاد كلما سنحت لهم الفرصة دون كلل أو ملل شأنهم شأن إخوانهم في بقية الأقطار العربية.

ذكريات الشيخ عبد المعز عبد الستار
عن دور الإخوان الفلسطينيين في حرب فلسطين

في حديث جرى في مدينة الدوحة في رمضان من عام ١٤١٠ هجري ١٩٩٠ ميلادي

يقول الشيخ عبد المعز إن أول من تحدث في قضية فلسطين الشيخ محب الدين الخطيب في مجلته الفتح والشيخ محمد رشيد رضا في مجلته المنار والشيخ حسن البنا في جريدة الإخوان المسلمون والحاج أمين الحسيني الذي كان يصدر التصريحات ويعقد المؤتمرات ويقود الثورة التي بدأها عز الدين القسام وكان رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين فكان يرسل المعلومات عن المعارك وعن انتهاك حقوق الشعب الفلسطيني والأذى الذي يصيبه من اليهود وحكومة الإنتداب البريطاني إلى الشيخ محب الدين وهو ينشرها بدوره في مجلته كما ينشر أسماء المتبرعين وصور المجاهدين مما يثير روح الجهاد في النفوس المؤمنة وقد ألفنا لجنة لجمع التبرعات برئاسة الشيخ شحاتة إبراهيم يساعده الحاج علي النيلي تاجر أخشاب وكانوا يرسلون التبرعات عن طريق محب الدين الخطيب كما ألفنا لجنة من طلاب الثانوية والصناعية والمعهد الديني تقوم بجمع التبرعات وتوزيع المنشورات وتقود المظاهرات وتطالب بمقاطعة الإنكليز واليهود وتنبه المسلمين إلى القيام بواجبهم المقدس تجاه فلسطين. وقد أصدر الإخوان منشوراً سجلوا فيه أسماء يهود القاهرة ليحذرهم الناس وراقبوا تحركاتهم مما كان له أكبر الأثر لدى الجماهير المسلمة وردود

فعل لدى الحكومة الخاضعة للنفوذ البريطاني. ولما صرح رئيس وزراء مصر حين عودته من مباحثاته في أوربا أنه رئيس وزراء مصر وليس رئيس وزراء فلسطين رداً على سؤال أحد الصحفيين له عن بحثه في موضوع فلسطين فرد عليه الإخوان بمظاهرة صاخبة أعلنوا فيها أن قضية فلسطين هي قضية العرب والمسلمين وبتنظيم دقيق بدأت المظاهرة في تمام السابعة صباحاً من شارع فؤاد الأول قرب بناء لبعثة أمريكية بهتاف الله أكبر و لله الحمد عاشت فلسطين عربية مسلمة هز جنبات القاهرة وفوجىء الشعب كما فوجىء مركز الشرطة في المنطقة بهذه المظاهرة.

وما هي إلا لحظات حتى وصلت سيارات الشرطة لقمع المظاهرة ولكن شباب الإخوان لم يقاوموا الشرطة بل صعدوا بأنفسهم إلى سيارات الشرطة المكشوفة وهم يهتفون لفلسطين وللإسلام والمسلمين مما أذهل الشرطة والجماهير معاً.

وكنا نقوم بإلقاء الخطب في المساجد ونضع اليافطات في الشوارع الرئيسية تعلن حق الفلسطينيين في أرضهم وواجب المسلمين في الحفاظ عليها وقمنا بجمع التبرعات في المدن والقرى وكنا نأخذ الحبوب من المزارعين الذين لا يملكون المال ثم نجمعه ونبيعه في مضافة العمدة ونرسل ثمنه للمجاهدين الفلسطينيين عن طريق الشيخ محب الدين الخطيب. كان التعاون قائماً بين كافة الإسلاميين في هذا الشأن. ولقد شاهدنا من البذل والتضحية لدى الفقراء ما لا نجده لدى الأغنياء واطمأننا إلى أن هذه الأمة إلى خير ولكن الضعف في القيادة.

وفي إحدى القرى التقينا بالأخوين محمد البنا ومحمود عبد الحافظ وعرفنا أنهما من الإخوان وكانا يقومان بواجب التوعية ودعونا لزيارة المركز العام وهناك التقينا بالأخ محمد عبد الحليم أحمد وكان المرشد

العام في رحلة دعوية في الصعيد بدل أن يكون في المصايف في فصل الصيف. وقد شاهدنا اهتمام الإخوان بالمسلمين في كافة أنحاء العالم فكان هناك غرفة لنشاط الطلاب وأخرى للعمال وأخرى لفلسطين وأخرى لأوربا وحجرة لأفريقيا وهكذا مما زادنا ثقة بهذه الجماعة وحين سافرنا في بعثة طلابية للحج كان حسن البنا رحمه الله في وداعنا في المحطة وهناك تعارفنا عليه وعانقنا ودعا لنا بالدعاء المأثور استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك زودك الله بالتقوى. ادع لنا يا أخي فكان لوداعه أثر محبب إلى نفوسنا.

وشاهدنا من معاملة إخوانه ما جعلنا نشعر أن الإسلام يبعث من جديد فكانوا ينكرون ذاتهم ويخدمون الحجيج ويساعدون المحتاج فحمدنا الله أن بعث الله في هذه الأمة من يرجع بها إلى تعاليم ربها بعد أن غفل عنها المسلمون. وتوثقت صلتي بالإخوان والحمد لله وفي عام ١٩٤٦ قرر الإخوان المشاركة في احتفالات جلاء الفرنسيين عن سورية ووصلت الإخوان دعوة للمشاركة بهذه المناسبة من رئيس الجمهورية السورية شكرى القوتلي الذي يعرف جهاد الإخوان في فلسطين. فأرسل حسن البنا بعثة طبية برئاسة الأخ الدكتور محمد سليمان كما أرسلني والأستاذ أحمد السكري ممثلين عن الجماعة وفي هذه الأثناء وبعد أن جهزت جواز سفري أعلنت اللجنة الدولية عن توصيتها بتقسيم فلسطين في مارس ١٩٤٦ مما أثار الحزن والأسى في ربوع العالم الإسلامي، عندها طلب إلي الإمام حسن البنا أن أتوجه إلى فلسطين بدل الذهاب إلى سوريا ذلك لأساهم في رفع معنويات الشعب الفلسطيني إذ لا يجوز أن نتركه وحده في محنته وفي اليوم الثاني من تلقي الأمر كنت في السادسة صباحاً في غزة وفي التاسعة في يافا وخطبت في مسجدها الكبير ورفعت من معنويات المصلين وأفهمتهم إنهم ليسوا وحدهم في المعركة فتحمس

المسلمون وخرجوا من المسجد بمظاهرة صاخبة عبرت عن عزمهم على استرداد الحق ورفض الظلم. وكان معظم أعضاء الهيئة العربية العليا لتحرير فلسطين خارج فلسطين مما ساعد على ظهور خلاف بين جمال الحسيني وراغب النشاشيبي امتد إلى خلاف بين الأسرتين فسارعنا لرأب الصدع واستعنا بكبار الشخصيات العربية والفلسطينية وطوقنا الخلاف قدر المستطاع، وكانت يافا في ذلك الوقت كأنها قرية صغيرة إلى جانب تل أبيب المدينة الكبيرة العصرية وكان يفصل بينهما شارع فقط ولما زرت القدس وصليت الفجر في المسجد الأقصى لم يكمل المصلون صفاً واحداً بينما كان اليهود يتجمعون حول جدار المبكى يبكون ويخدشون في الجدار وشبابنا العرب المسلمون يضحكون منهم ولم يأبهوا لهذا الشعور الديني الذي دفعهم إلى احتلال فلسطين. وكان شباب اليهود يقبلون على التدريب العسكري وينضمون للمنظمات الإرهابية بينما ترى الشباب الفلسطيني لاهيًا مائعًا لا يهتم بشيء سوى بترفه وملذاته. كان الشباب اليهودي حتى في مصر يتدرب على السلاح على مسمع ومرأى من رجال الحكم. فلقد شاهدتهم في نادي المكاري اليهودي في القاهرة من شرفة تطل على النادي بأم عيني يتدربون على السلاح كما وأن مساكن اليهود الجديدة كانت مصممة على أساس عسكري حربي.

أمام هذا الإستعداد والدعم البريطاني لليهود وأمام تشتت المسلمين وضياعهم كتبت للإمام الشهيد أن فلسطين صائرة إلى اليهود إن لم تتغير الأوضاع وكذلك صارحت إمام المسجد الأقصى وكبار الشخصيات الفلسطينية وعقدنا العزم على الاهتمام بالشباب وإعداده لمعركة المصير وعلى ضرورة توحيد الجهود وجمع الكلمة وتوحيد الصف. وقد رغب معظم المهتمين بالقضية الفلسطينية أن يوحدوا جهودهم باسم الإخوان نظراً لأنه التنظيم العربي الوحيد الذي اعتبر قضية فلسطين قضيته في ذلك

الوقت وحتى عصرنا الحاضر.

ففي يافا افتتحنا داراً للإخوان المسلمين ضمت خيرة الوجهاء والعلماء المهتمين بالقضية الفلسطينية منهم الحاج ظافر الدجاني رئيس الغرفة التجارية والحاج محمد الغلاييني والحاج مصطفى الغلاييني والحاج حمدي كردية وكانوا من خيرة من قدم ماله وجهده في سبيل الإسلام وفي سبيل فلسطين وكان من رجالات يافا المشهورين الحاج حامد أبو لبن والأخ عبد الرزاق محمود وكان مثال البذل والتضحية.

وفي حيفا كان فيها الشيخ محمد نمر الخطيب مدير البلدية ورئيس جمعية الإعتصام وهو من العلماء العاملين فاقنعناه أن يضم جمعية الاعتصام إلى الإخوان لتوحيد الجهود وتنظيم العمل الجماعي فوافق ولكن صديقه الشيخ تقي الدين النبهاني رفض بإصرار وأثناه عن عزمه. فزرنا الشيخ تقي الدين في منزله في الخليل وبقينا في نقاش حتى وقت متأخر من الليل وهو مصر على موقفه وحجته في ذلك أن الإخوان المسلمين مستهدفين من الإنكليز ولا بد أن توجه لهم ضربة فإذا اتحدنا لا بد أن يصيبنا ما يصيبهم فتركناه وزرنا الشيخ عبد الرحمن... وهو رئيس جمعية خيرية فحولها إلى جمعية للإخوان المسلمين.

وفي القدس أنشىء مركز للإخوان برئاسة إسحق النشاشيبي ولم يكن أهلاً لهذا المنصب وكذلك كان سكرتير المركز لا يعرف عن العمل الإسلامي شيئاً وكانوا يلقبونه أورثة أغلو وكان إسمه إسحق لا أذكر كنيته وكان آخر من يظن به الخير ولا أعلم كيف دبر الأمر وكيف تم انتخابهم ومن الذي جاء بهم حيث بقي المركز في عهدهم وكأنه ناد رياضي فحسب.

ولكن إخوان يافا كانوا يتلافون تقصيرهم ويقيمون المحاضرات

ويساهمون في إعداد الشباب وتوجيههم وأخص منهم الشيخ محمود الطاهر وكان رجلاً صالحاً. وممن ساهم في الاهتمام بشباب القدس الشيخ اسحق الحسيني مدير الأوقاف وكان رجلاً مخلصاً وغيوراً على محارم الله وأرض فلسطين.

وفي القدس كلفني الإخوان بإلقاء خطبة الجمعة في المسجد الأقصى وما هي إلا دقائق حتى قطعت الإذاعة بث خطبة الجمعة إمعاناً من حكومة الإنتداب في تجهيل المسلمين في قضيتهم المصيرية.

وحين افتتح إخوان القدس مركزهم في حي الشيخ جراح تكلم فيه أحمد طاهر أمين سر الجماعة في حيفا والشيخ أسعد إمام الحسيني والشيخ عبد الحميد السايح وناصر النشاشيبي والشيخ عبدالله غوشة والشيخ محمد صبري عابدين والسيد جمال الحسيني رئيس الحزب العربي نائب رئيس الهيئة العربية العليا وقد أعلن أنه تمنى انتشار دعوة الإخوان في فلسطين منذ زمن بعيد وأعلن انضمامه للجماعة كما تحدث الشيخ عبد المعز عبد الستار ممثلاً عن إخوان مصر موضحاً غاية الإخوان وأهدافهم ووسائلهم وموقفهم من قضية فلسطين.

وفي الخليل تبنى العمل الإخواني الحاج عبد الجليل عقيل وصبري عقيل وكانا من خيرة الدعاة وكذلك الحاج عدوي وكانوا من أتباع الحاج أمين الحسيني وكان من المجاهدين العاملين الشيخ عبد الحي عرفة وقد بت في منزله ليلة ثم بلغني أن الإنكليز هدموا منزله لتعاونه مع المجاهدين وفي تلك الأثناء أصدرت حكومة الإنتداب البريطاني قانوناً أسموه قانون حماية الفلاح وفي الحقيقة كان قانون تسلط الفلاح منع المالك بموجبه إخراج الفلاح من أرضه حتى لو امتنع عن دفع الآجار لسنوات كانت الغاية منه دفع الملاك لبيع أراضيهم ما داموا لا يستفيدون منها شيئاً. وفعلاً بدأ أصحاب الأراضي ببيع أراضيهم وكان معظمهم من الموارنة، آل

لطف الله وآل سرسق الذين باعوا حوالي ٤٠ قرية في مرج بن عامر من خيرة الأراضي وكان المشترون هم اليهود الذين تصل إليهم أموال جمعياتهم ومؤسساتهم الصيهونية في أوربا وأمريكا.

وقد انتشرت تجارة الأراضي وكثر السماسرة وكان بعضهم من الأردن من الشراكسة فأصدر العلماء فتوى بتحريم بيع الأرض المسلمة لليهود كما هدروا دم كل من يساهم في ذلك وكان السماسرة موصومين بالخيانة ومحكوما عليهم بالموت فقد بيعت أراضي بيسان كلها ولم يبق منها إلا القليل وقد قتل في ذلك الحين أحد السماسرة من قبل العناصر الوطنية وعقدنا إجتماعاً للمزارعين في جنين نبهنا فيه إلى خطورة بيع الأراضي

أما جنين والخليل فلم يبع أهلها شبراً واحداً من أرضهم وكان الإخوان يتشبثون في الأرض فأنشأوا مصنعاً للغزل والنسيج دعوا لإفتتاحه الحاج أمين الحسيني فقال لهم استعدوا للدفاع عنه وإلا فأذكركم بقول الشاعر:

لا تثمروا المال للأعداء إنهمُ إن يظهروا يأخذوكم والبلاد معه

في الوقت الذي كان يخيم فيه الحزن على فلسطين نتيجة توصية اللجنة الدولية بتقسيم فلسطين كانت عمان تعلن الأفراح والاستعداد لتنصيب الأمير عبد الله ملكاً على شرقي الأردن وفي هذه الأثناء جاءتنا دعوة لحضور حفل التتويج فذهبت مع قادة الإخوان ظافر الدجاني ومحمد الغلاييني ومصطفى الغلاييني وحمدي كردية وأديب أبو ضية وكان له موقف مع الملك. وصلنا عمان ونزلنا ضيوفاً عند رئيس الإخوان آنذاك الشيخ عبد اللطيف أبو قورة وكان تأسيس الإخوان في عمان حديثاً كما حضر معنا إخوان القدس ودمشق ولما حاولنا الإعتذار عن حضور الحفل ألح رئيس الديوان الملكي عباس باشا كردي بإصرار على حضورنا ولما

دخلنا القصر كان في استقبالنا كلوب باشا بملابسه العربية ولما دخلنا على الملك لم نعرفه فقد استبدل العقال المربع بعمامة، ولما عرفناه وعرفنا قال لكلمة عجيبة قال: الإخوان المسلمون هم معجزة رسول الله ﷺ ورحب بنا فأهداه الأخ أديب أبو ضبة شعار الإخوان سيفان ومصحف مع آية واعدوا.

وفي اليوم الثاني دعينا إلى صالة سينما الحمراء في عمان وكانت عمان صغيرة جداً وكلفت بكلمة وأثناء الإحتفال تكلم عبد الرحمن عزام مندوب الجامعة العربية وأحد السفراء الذي أسف في خطابه وطعن بالسلطان عبد الحميد. ثم جاء دوري في الكلام وكنت قد تأكدت من وصول الحاج أمين الحسيني الذي كان متخفياً إلى القاهرة ونزل بضيافة الحكومة المصرية. فاستهليت كلمتي بالحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين والسلام على الحاج أمين مجاهد القرن العشرين. وكان بين الملك والحاج أمين خصومة فضجت القاعة بالتصفيق والتكبير.

بعد الإحتفال طلبت اللقاء مع أمين عام الجامعة العربية واتفقنا على زيارته في مقر إقامته في قصر إسماعيل باشا الدبيسي فقد كان بيته مضافة للسفراء والوافدين من أهل الشأن وفي هذا اللقاء سألت عبد الرحمن عزام ما الأمر أفراح في عمان وأحزان في فلسطين دولة عربية تقام في الأردن ويهودية في فلسطين فقال لنا: اعتمدوا على أنفسكم ولا تنتظروا العون من أحد وكأنه يعرف اللعبة.

وفي اليوم التالي سافرنا إلى غزة والتقينا في الجامع الكبير بالشيخ لا أذكر اسمه من آل الشوا والتقينا بزملائنا الأزهريين الشيخ محمود شاوي وإسماعيل تنينة وشكلنا نواة التنظيم الإخواني.

وكانت يافا وغزة عماد العمل الجهادي وقد أسند التدريب العسكري وأعمال المقاومة إلى صبحي بك الخضرا من يافا وكان ضابطاً في الجيش

العثماني واشتغل في المحاماة وكان صديقاً لرئيس الجمهورية السورية شكري بك القوتلي وكان يتعاون مع محب الدين الخطيب ومع الحاج أمين الحسيني الذي كان ضابطاً في الجيش العثماني كذلك وقد كلف الأخ عبد البديع بتأمين الأسلحة بالتعاون مع الأخ سعيد عبده من الخليل الذي اشترك في ثورة ١٩٣٦ مع حسن سلامة وهو من بلدة عرب نصير في الصحراء الشرقية وتعاون معهم الدكتور الأخ أبو بكر نور الدين والمهندس الأخ مصطفى...

وفي الجامعة الأزهرية أنشأنا لجنة للشؤون الإسلامية ساهم فيها الشيخ مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان في سوريا تعنى بشؤون العالم الإسلامي كقضية فلسطين والظهير المغربي والجزائر وغيرها وكنا نصدر منشوراً كل أسبوع يعرف المسلمين بقضايا إخوانهم في العالم ويتلخص دورنا في الجهاد الفلسطيني بما يلي:

١ ــ جمع السلاح والذخيرة والعتاد ونقله إلى أرض فلسطين.

٢ ــ جمع التبرعات المالية وإرسالها إلى قيادة المجاهدين.

٣ ــ التوجيه المعنوي والتوعية وبعث روح الجهاد وإرسال المتطوعين.

٤ ــ المساهمة في التدريب العسكري والأعمال العسكرية ضد القوى الصهيونية المعتدية.

٥ ــ النشاط السياسي والدبلوماسي والشعبي وإقامة المؤتمرات وإرسال البرقيات وتحريك المظاهرات بما يخدم القضية الفلسطينية.

ولقد كان التعاون والتنسيق قائماً بين الإخوان المسلمين والحاج أمين الحسيني في كافة المجالات كما ساهم الإخوان في كافة اللجان التي تشكلت لهذا الغرض وانضم كافة الإخوان الفلسطينيين إلى قيادة الحاج أمين الحسيني وقد خصص الأخ الحاج إبراهيم المثني داراً لاستضافة المتطوعين وتعهد بالإنفاق على زوارها وكانت مركزاً لتجميع وتدريب

المتطوعين حتى إذا اكتمل الفوج الأول أرسل لفلسطين واستقبلت الدار الفوج الثاني وهكذا.

واستنفر الإخوان المسلمون إخوانهم للجهاد في فلسطين فتطوع عدد من إخوانهم ضباط الجيش المصري كأحمد عبد العزيز ومعروف الخضري وأبو المكارم عبد الحي وحسن حمودة وعبد المنعم عبد الرؤوف وغيرهم كثير. كما ساهم الأخ يوسف طلعت في نقل الأسلحة إلى فلسطين وكان الدخول إلى سينا يحتاج إلى جواز سفر كأي بلد آخر وفي أحد المرات سأل العسكري الأخ يوسف ماذا معك في الكيس فقال له أقفال. ولما سئل يوسف ماذا تعمل لو فتشها وظهرت أنها سلاح فقال: إما أن يقلبها الله أقفالاً أو يفجر السلاح في وجهه. إنها ثقة كبيرة بالله وقلوب عامرة بالإيمان.

كما اتخذ الإخوان داراً في العباسية لتجميع السلاح يضم ورشة لإصلاحه وإرساله صالحاً للاستعمال إلى المجاهدين في فلسطين، كان أحدهم يبيع جاموسته ليشتري السلاح ويوصي بإعالة أسرته ريثما يعود كما تعاون مع الحاج أمين الحسيني كبار الشخصيات الإسلامية منهم صالح حرب باشا والبشير الإبراهيمي وعبد الرحمن عزام وحسن البنا والفضيل الورتلاني وعبد الكريم الخطابي. وفي أحد اللقاءات بينما كانوا يبحثون في تأمين السلاح قال الأمير عبد الكريم الخطابي مستغرباً هذا السؤال: نحن كنا نقاتل المستعمرين بالسلاح الذي نأخذه من أيديهم.

وقال حسن البنا رحمه الله تعالى الذي كان يدرك أبعاد القضية:لقد دخلت الجيوش العربية فلسطين لتسلمها إلى اليهود وهذا ما اجتمعت عليه الآراء.

نشاط إخوان غزة الجهادي قبيل العداون الثلاثي حتى نهايته

بعد ثورة يوليو بحوالي سنة ونصف بدأ إخوان غزة ينظمون عمليات عسكرية تهاجم اليهود في الأراضي المحتلة عن طريق البر والبحر فتزرع الألغام وتنسف المنشآت وتخرب خطوط الماء والكهرباء وهكذا. أدى ذلك إلى قصف وحشي إسرائيلي للأسواق والمناطق السكنية في غزة وإلى هجمات على القوات المصرية عندها حاولت الإدارة المصرية أن تضبط هجمات الفدائيين الإسلاميين فجعلتها تحت إشراف مدير المخابرات المرحوم مصطفى حافظ ولكن الإخوان لم يرضخوا لهذا الإشراف مما أدى إلى مطاردتهم وملاحقتهم واعتقل الرأس المدبر لهذه الهجمات الأخ خليل الوزير حيث لقي من التعذيب في إدارة المباحث المصرية في سرايا غزة ما الله به أعلم. ثم أفرج عنه بعد أسبوع بكفالة مالية وكان لا زال طالباً في المرحلة الثانوية.

الإخوان ومشروع الإستيطان:

واستأنف الأمريكان مشروعهم في توطين اللاجئين الفلسطينيين في سيناء مع حكومة الثورة المصرية واتفقتا على إسناد المسؤولية المشتركة عن إدارة الأبحاث والدراسات الخاصة بالمشروع المحدد في الإتفاقية إلى المجلس الدائم لتنمية الإنتاج القومي ممثلاً للجانب المصري وإلى مكتب وكالة الغوث في القاهرة ممثلاً للوكالة وقد تم هذا الإتفاق خلال شهر

تشرين الأول أكتوبر ١٩٥٣ وقد كلفت اللجنة المصرية وكالة الغوث بتنفيذ ذلك المشروع الذي كان يرمي إلى زراعة خمسين ألف فدان في الشمال الغربي لسيناء لتوطين اللاجئين فيها لزراعتها كما اقترح المشروع قيام نوع من الحكم المحلي مع أخذ التجمعات التي انتظم اللاجئون على أساسها بعين الإعتبار بحيث يكون أبناء العشيرة الواحدة والقرية الواحدة في مستوطنة واحدة (عن كتاب غزة لحسين أبو النمل ص ٨٥ـ ٨٦) كما نقلت جريدة البيان الصادرةفي دبي عدد ٩٢٢ ص ١٤ ما نشرته الصحف الأمريكية عن بعض الإتصالات المصرية الأمريكية عام ١٩٥٥ حول هذا المشروع، وأمام غضبة الشعب الفلسطيني على هذا المشروع أصدر نائب الحاكم المصري في قطاع غزة بياناً للصحف المحلية بتاريخ ١٩٥٣/٥/٢٨ أعلن فيه أنه قد أرجىء البحث في هذا الموضوع وأنه قد تمت المقابلة بين قائد القوات المسلحة والحاكم الإداري العام للمنطقة. إنتهت إلى أن موضوع إسكان اللاجئين هو محل إعادة نظر في الوقت الحاضر ولن تتخذ إجراءات إلا بما يحقق أماني الفلسطينيين وآمالهم (عن قطاع غزة ٤٨ ـ ٨٥) ويعلق مؤلف الدراسة التي نشرها مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية على البيان الذي أصدره نائب الحاكم العام بقوله: كان نائب الحاكم الإداري لا يقول الحق لأن الحكومة الثورية المصرية كانت إقترحت إعتبار نهر النيل كمصدر لمياه الري للأراضي الواقعة مباشرة شرق قناة السويس ونتيجة لهذا الاقتراح أتمت الوكالة في ٣٠ يوليو ١٩٥٣ اتفاقية برنامج مع الحكومة المصرية أتاحت الإحتفاظ بمبلغ ثلاثين مليون دولار لأغراض أبحاث المشروع في شبه جزيرة سيناء وغزة والباقي ليستعمل في الإنشاء والاستيطان إذا ما أثبتت الدراسات الأولية أن هناك مشروعات عملية يمكن القيام بها وأن تخوف اللاجئين وأهالي القطاع له ما يبرره. (قطاع غزة٨٥).

ويقول الدكتور عبد الله أبو عزة في كتابه مع الحركة ص ٣٣: واستطيع أن أضيف إلى ما ذكره مركز الأبحاث الفلسطيني أنني رأيت بنفسي ملف مشروع سيناء عندما نقلت للعمل في مكتب المدير العام لوكالة الغوث في غزة عام ٥٨ وأنني لم أتمكن من الاطلاع على كافة محتوياته لأنه كان في عهدة سكرتيرة المدير.

ولم يستطع الإخوان السكوت على هذه المشاريع التصفوية فكان لا بد أن يحركوا الشعب للمطالبة بإلغائها وأن يصعدوا عملياتهم الجهادية داخل الأرض المحتلة، مما كان له أكبر الأثر في التراجع عن هذا المشروع.

يقول الدكتور أبو عزة في كتابه ص ٣٤: لقد أعطى هذا النشاط الإخواني ثماره المرجوة فإثر كل عملية تسلل ونسف كانت إسرائيل بهمجيتها تغير على إحدى النقاط العسكرية على طول حدود القطاع، مما اضطر الحكومة المصرية إلى تشكيل الكتيبة الفلسطينية للدفاع عن قطاع غزة وجعلت قادتها قرب رفح.

وفي مساء ١٩٥٥/٢/٢٨ قامت إسرائيل بهجوم كبير على موقع صغير للقوات المصرية قرب غزة ووضعت كميناً على طريق غزة - رفح إلى الشمال قليلاً من مخيم البريج للاجئين ليعترض أي نجدة تأتي من الكتيبة الفلسطينية المعسكرة في رفح وعندما وصلت النجدة فجر الإسرائيليون براميل البترول التي وضعوها في عرض الطريق المسفلت فقتل كافة أفراد النجدة كما دمروا حامية محطة غزة ونسفوا مركز ضخ المياه فكانت خسائر فادحة دفعت الشعب الفلسطيني للخروج بتظاهرات صاخبة في كافة أنحاء قطاع غزة ضد حكومة الثورة المصرية التي أهملت الدفاع عن قطاع غزة تتهم جمال عبد الناصر بالخيانة والتقصير وتنادي

بسقوط مشروع سيناء وقد ساهم في هذه التظاهرات كافة أفراد الشعب الفلسطيني بما فيهم الشيوعيون الذين حضروا برئاسة زعيمهم معين بسيسو إلى المسجد العمري لأول مرة وخرجوا بالمظاهرات إلى جانب الإخوان المسلمين خصومهم التقليدين مناقضين مواقفهم من القضية الفلسطينية المجاهرة بالتعاون مع الرفاق الماركسيين اليهود. فما كان من السلطة المصرية إلا أن قمعت المظاهرات بالقوة فقتل وجرح عدة أفراد كما اعتقلوا العشرات من الإخوان المسلمين والشيوعيين ورحلوهم إلى سجن القاهرة ومع هذا التصدي من الحكومة المصرية للمتظاهرين إلا أنها اضطرت لاتخاذ خطوتين إيجابيتين.

١ ـ التراجع عن مشروع سينا لإسكان اللاجئين وصرف النظر عنه.

٢ ـ أدخلت قوات كبيرة من الحرس المصري إلى قطاع غزة فما كان من اليهود اللئام إلا أن غيروا استراتيجيتهم فبدأوا يقصفون بمدفعيتهم الثقيلة المناطق المدنية والشوارع المزدحمة بالسكان وإن كانت لا تخلو من بعض المناوشات مع القوات المصرية بالأسلحة الرشاشة. إلى أن وقع العدوان الثلاثي. بعد خمسة عشر يوماً من تعسف المحتل الصهيوني بتجميع الناس وضربهم والإساءة إليهم، بدأ الإخوان بالتحرك والإتصال ببعضهم وإعادة تشكيلهم التنظيمي. وبعد مضي أقل من شهر على الإحتلال دعا الإخوان الشعب إلى إضراب عام احتجاجاً على استمرار الاحتلال وممارستها وقد تم توزيع منشور ليستنهض همة الشعب للمقاومة. كان ذلك في آخر كانون ثاني/يناير/١٩٥٧ ونفذ الإضراب بالفعل وكسرت قوات الإحتلال أبواب المتاجر وسرقت الأشياء الثمينة وعثرت أثناء ذلك على بعض المناشير ونتيجة التعذيب عثروا على آلة النسخ وألقي القبض على العناصر القيادية والنشيطة من جماعة الإخوان المسلمون منهم: داود أبو جبارة ـ سعيد المزين، عبد الله أبو عزة غالب

الوزير ـ محمد أبو دية ـ منير عجور ـ هاشم الخازندار. وبعد أربعين ليلة خرج المستعمرون من قطاع غزة واستلم جنود الأمم المتحدة قطاع غزة وأفرج عن الإخوان المسجونين. وخشية أن يبقى قطاع غزة تحت إدارة الأمم المتحدة كما هو مقرر له فقد حمل الإخوان الأعلام المصرية وخرجوا بمظاهرات ينادون بعودة الحكم المصري ونتيجة الضغوط الشعبية التي استمرت أسبوعاً كاملاً سقط خلالها بعض الشهداء برصاص القوات الدولية وافقت الأمم المتحدة على إدارة مصرية مدنية على قطاع غزة وسمي حاكمها الحاكم الإداري بدل الحاكم العسكري.

شباب الإخوان يؤسسون منظمة فتح

شغف بعض إخوان غزة بمقاومة الإستعمار الصهيوني دفعهم إلى التفكير في تأسيس منظمة عسكرية تقاوم العدو الصهيوني ومشاريعه الاستيطانية مستبدلين الفكرة الإسلامية بفكرة القومية الفلسطينية. ففي تموز من عام ١٩٥٧ وزع الأخ خليل الوزير بياناً على إخوانه القياديين يدعو الإخوان فيه إلى إقامة تنظيم خاص بجانب تنظيمهم بحيث لا يحمل التنظيم لونا إسلامياً في مظهره وشعاراته وإنما يعمل تحت شعار تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح وعلى الراغبين بالعمل في هذا التنظيم أن يخلعوا ثيابهم الإخوانية أو الحزبية ويلبسوا بدلاً منها ثياباً فلسطينية. كما عليهم أن يمتنعوا عن الدعوة لأية عقيدة أو أيدلوجية حزبية وأن لا يقفوا مع أو ضد أية دولة عربية (عن مع الحركة الإسلامية ٧١ ـ ٧٢) وقد تحمس لهذا المشروع الاخوان سعيد المزين وغالب الوزير وتبين فيما بعد أن عدداً من الإخوان المرموقين قد انضموا إلى منظمة فتح التي تأسست عام ١٩٥٨ سراً بينما ظلوا على ولائهم الظاهري للإخوان منهم الإخوة سليم الزعنون ـ صلاح خلف ـ أسعد السفطاوي وآخرين. ولما شعر الإخوان بخطورة هذا التحرك حرصوا على إبقاء هذه العناصر بعيدة عن التنظيم بحجة أنها عناصر مكشوفة وليس من المناسب إشراكهم في تنظيم سري. ويقول الدكتور أبو عزة في كتابه ص ٧٥: والحقيقة أن موقف الإخوان كان متأثراً بنظرة المرحوم هاني بسيسو الذي كان يشك في انضباط أصحاب الفكرة الجديدة ويتهمهم بالمراوغة الذي يجرح صورة

الاستقامة حسب المقاييس المثالية الإخوانية. وبدأ تحرك هؤلاء واتصالهم بالقواعد والحوار مع إخوانهم الفلسطينيين المقيمين في الدول العربية الأخرى حسمه رد الإخوان على أفكارهم بمذكرة مطولة تبلغ عشرين صفحة فولسكاب عمموه على إخوانهم عام ١٩٦٠ يتلخص بما يلي:

١ ـ إن الإخوان الفلسطينيين الذين تفتحت عيونهم على إخوانهم المصريين والسوريين يخوضون معارك الجهاد المقدس في فلسطين والذين يؤمنون بأن قضية فلسطين لا تحل إلا بالجهاد لعلى استعداد لتجميد نشاطهم الإسلامي وتحويله من أجل تحرير فلسطين بشرط أن يقدم إخوانهم دعاة التحرير خطة عمل يحتمل في غالب الظن أن يكتب لها النجاح أما أن نترك العمل للإسلام للدخول في مغامرات غير مدروسة ولم يراع فيها الاستفادة من خبرة الماضي فهذا مرفوض.

٢ ـ إن الظن بأن التحرر من الإسلام يزيل الحواجز بين التنظيم الجديد والجماهير وهم كبير لأن التاريخ أثبت أن الجماهير لا تتجاوب ولا تنقاد في القضايا الإسلامية خاصة إلا للإسلام فلقد سارعت في الماضي للالتحاق بكتائب الإخوان في فلسطين وسارعت في الحاضر للتعاون مع منظمة حماس الإخوانية لأنها ترفع راية الجهاد الإسلامي ذلك لأن الجهاد على غير عقيدة الإسلام أو دون عقيدة ما أمر خطير يجعل إيمان صاحبه في خطر لأن الله لا يقبل الجهاد إلا إذا كان خالصاً لوجهه الكريم. فالإسلام هو معين الجهاد الدائم والأمل الدافع للإقدام إما إلى النصر وإما إلى الشهادة.

٣ ـ أما الإعتقاد أن البعد عن الإسلام أو الإخوان يرضي الحكام إن وقفت منهم المنطقة موقف الحياد فهو وهم آخر لأن الحكام في عام ١٩٤٨ لم يسمحوا لقواتهم أن تتحرك متراً واحداً خارج حدود التقسيم ولا

للمجاهدين الذين يعملون تحت إشرافهم نظراً لخضوعهم للضغوط الدولية لذا طالب حسن البنا رحمه الله تعالى أن يترك تحرير فلسطين للجماهير الإسلامية ويكفي الحكام أن يقدموا الدعم للمجاهدين فلم يستجب لطلبه. كما تناسى هؤلاء أن الحكام لن يرضوا عن المنظمات العسكرية إلا إذا خضعت لقيادتهم كما أنهم لن يسمحوا لهم بدخول الأرض المحتلة من أراضيهم لئلا يورطوهم بمشاكل ليسوا مستعدين لها.

٤ ــ لقد نسي هؤلاء أن التخلي عن الإسلام يسمح لأصحاب العقائد الفاسدة والمأجورين والطامعين بالتسلل إلى صفوف المنظمة يعيثون فيها فساداً ويحرفونها عن مسارها ويخرجون بها عن أخلاق الإسلام ومبادىء الإسلام كما يتربصون بهم ويكيدون لهم كخصوم عقائديين لهم. لقد قامت بعض ثورات التحرير الإسلامية فاستشهد القادة الإسلاميون المخلصون واستلم زمام أمرها بعد النجاح الإشتراكيون كما حدث أن قام إنقلابيون في بعض الدول العربية وتعاونوا مع أقرب الناس إلى أفكارهم وما هي إلا أشهر حتى أصبح الانقلابيون خارج الحكم.

٥ ــ أما تشبيه حركة فلسطين بقضية الجزائر فهذا قياس مع الفارق لأن وضع الجزائر القانوني والدولي يختلف عن وضع فلسطين ففرنسا في الجزائر تعتبر دولة مستعمرة في وجهة النظر الدولية أما فلسطين فقد اعطت الدول العظمى لليهود شرعية التملك حين أصدروا قرار التقسيم لذا فهم يحرصون على سلامة إسرائيل حرصهم على سيادتهم باعتبارها الدولة التي تحقق مصالحهم في الشرق الأوسط كما تختلفان بالأهداف فأهداف الاستعمار الفرنسي في الجزائر إقتصادية أما هدف الصهيونية فهو استيطاني ديني وشتان بين الهدفين كما أن الشعب الجزائري يعيش على أرضه الواسعة بينما يعيش الفلسطينيون خارج أرضهم التي لا يسمح لهم بمهاجمة الصهاينة فيها.

لذا كان لا بد من العمل لدعوة الإسلام وتكثير أنصارها وإعدادهم لتكوين القاعدة الصلبة التي تنتظر الفرصة المناسبة للتحرير. يدعمهم مسلمو العالم الإسلامي أجمع والحكومات المخلصة، فما على الإخوان إلا أن يحددوا موقفهم إما باختيار الإسلام والتحرير على أساسه وإما باختيار غير طريق المسلمين والتعاون مع أخلاط الناس عقيدة وفكراً للتحرير وإقامة دولة قومية لا يشترط الإسلام أساساً لقيامها. لذا رفض الإخوان الإزدواجية بينهم وبين المنظمة وبعد حوار وجدال حسم الموقف بخروج أصحاب المشروع من تنظيم الإخوان إلى تنظيم فتح وكان ممن تبع فتح من المقيمين في قطر كل من: رفيق النتشة ـ محمود عباس ـ سليمان الشرفا ـ كمال عدوان ـ يوسف النجار ـ خالد الحسن الذي كان سكرتير الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى المراقب العام لإخوان سوريا ثم إلتحق بحزب التحرير ثم بمنظمة فتح. ومن المقيمين في الكويت: صلاح خلف، د/عبد الله الدنان، ياسر عرفات خليل الوزير د/عادل عبد الكريم وهو الذي إقترح للتنظيم إسم فتح وعلي الحسن الذي كان من إخوان سوريا ثم عمل مع نجيب جويفل عميل المخابرات المصري وأنور حمادة ـ وعبد المجيد طرابلسي على إقصاء السباعي عن قيادة الإخوان حين لجوئه إلى لبنان إبان حكم الشيشكلي وقسم جماعة الإخوان في سوريا كما سعوا لقسمها في مصر فباءت مساعيهم بالفشل.

كما أسسوا مجلة تدعو لأفكارهم وتعبر عن رأيهم أسموها فلسطيننا وكلفوا الأخ اللبناني الدكتور توفيق حوري لترخيصها بإسمه عام ١٩٦٨ وإستلام رئاسة تحريرها وقد حاول إسلاميو فتح الاتصال بقواعد الإخوان لشدهم إلى تنظيمهم كما حاول الإخوان توضيح وجهة نظرهم لإخوانهم لكي لا يتورطوا مع فتح ثم هدأت الأمور وبدأت علاقة طيبة مع قادة فتح استمراراً لصلاة الود القديمة تمثلت بإستئناف التزاور وبالدعم المادي وبعدم تعرض

أي طرف للأذى وما دام التحرير هو الهدف المشترك للطرفين فلا يعكر علاقتهم اختلاف الوسائل.

ترى هل حقق الإخوة في فتح أهدافهم:

الواقع يثبت أن الإخوان كانوا بعيدي النظر فتوقعاتهم حدثت فعلاً.

١ ــ إن التهاون في أمر العقيدة والأخلاق أثناء قبول المقاتلين أدى إلى تصرفات سيئة وممارسات غير إسلامية وتعديات شملت حتى رجال الأمن في البلد التي تؤويهم مما دفع السلطات الأردنية إلى توقيف نشاطهم ومنع تسلطهم وطردهم خارج البلاد بالقوة. كما أقدموا على تدمير معسكر للجهاد أقامه الحاج أمين الحسيني عام ١٩٦٣ فقتلوا من فيه وسلبوا سلاحه وأمواله. وقد حدثني من أثق بدينه أنه كلف من قبل الحاج أمين بنقل رسالة لأبي يوسف مفادها أن قتلى المعسكر شهداء وأن سلاحهم سيستخدم ضد إسرائيل لذا نرجو إرسال المال. ووعد أبو يوسف بالعمل على رده ولكنه لم يفلح. لقد سردت هاتين الحادثتين على سبيل المثال لا الحصر لأنني لا أرغب بإحصاء أخطاء الآخرين.

٢ ــ محاولة إرضاء الحكام دفعهم لقبول بعض العناصر التي ترضيهم لتنقل لهم صورة مطمئنة عن المنظمة فقد رفضوا قبول الضابط الكبير عبد المنعم عبد الرؤوف لاختلافه مع عبد الناصر وعينوا نجيب جويفل مستشاراً عسكرياً.

٣ــ ترى هل سمح لهم بدخول فلسطين من أراضي الدول المجاورة؟ لا أظن ذلك لأن حكام الدول العربية ليس لديهم مخطط لتحرير فلسطين كما صرح بذلك عبد الناصر فَلِمَ يتحملون إذاً ردود الفعل الصهيوني نتيجة هجمات الفدائيين؟ كما أنهم لا يأمنوا على حكمهم من وجود قوات مسلحة ليست موالية لهم. صرح بذلك ياسر عرفات حيث

قال (إن بعض الأنظمة التقدمية رددت الإتهام بأننا نريد توريط الدول العربية وقيل إننا كعملاء لحلف السنتو نتآمر لإحراج الأنظمة التقدمية لإسقاطها فوق ساحة القضية الفلسطينية. وبعد ٥ حزيران قيل لنا إذا أطلقتم رصاصة واحدة اعتبرناكم مجرمين وخونة إن عملكم غير المسؤول الآن سيؤدي إلى تدمير الأمة العربية). أنظر طلال سلمان مع فتح والفدائيين إصدار دار العودة ففيه التصريح كاملاً.

٤ ـ ماذا كانت النتيجة؟ خسروا آلاف المقاتلين وخسرنا آلاف الدنمات من الأراضي العربية ورضوا بدولة محدودة منزوعة السلاح وبدأوا ينادون بالحل السلمي بدل الحل العسكري. أين شعاراتهم يوم بدأوا تنظيمهم من شعاراتهم حين إنتهوا. ومن يتحمل مسؤولية إزهاق الأرواح التي استشهدت طالما سينتهي بهم المطاف إلى هذا التخاذل والضعف والاستسلام.

دعم الإخوان لمجاهدى فتح

١ ـ عرف الإخوان الحاج أمين الحسينى على محمد يوسف النجار أحد قادة فتح كوسيط بين القيادة والحاج أمين بغية دعمهم.

٢ ـ ساعدهم الحاج أمين بالمال فدفع ٢٠٠٠٠ ليرة على دفعتين.

٣ ـ عرفهم على حكام السعودية ليساعدوهم فكانت أول دولة عربية تقدم لهم المساعدة.

٤ ـ انضم الإخوان إلى الجبهة المساندة لفتح وعلى رأسهم القاضى فيصل مولوى وإبراهيم المصرى والتقوا مع ياسر عرفات وأبو المكارم عبد الحى.

٥ ـ توسط لهم لشراء صواريخ أرض جو لدى أحد رؤساء الدول العربية.

٦ ـ أنشأت فتح مجلة فلسطين واستلم رئاسة تحريرها الأخ: توفيق حوريه لأن الترخيص يجب أن يكون باسم لبنانى.

الإخوان في معسكر الجهاد عام ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ م

بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ أصيب العالم العربي والإسلامي بخيبة أمل وإحباط شديدين نتج عنهما ردود فعل سلبية وإيجابية تمثلت بكثرة الحركات الفدائية وبانفتاح منظمة التحرير الفلسطيني فتح وبتحرك روح الجهاد لدى الإسلاميين لمقاومة العدو الإسرائيلي واسترداد الأراضي السليبة. وأصبحت الأردن تعج بالمنظمات الفدائية المختلفة الأفكار والنزعات وكانت فتح أقوى هذه المنظمات وقد قررت في خطتها الجديدة تكثير أنصارها فأنشأت الجبهة المساندة وعرضت على الإخوان الإلتحاق بمعسكراتها بصفاتهم الإخوانية وهي تعلم من هم الإخوان في معارك الجهاد عام ١٩٤٨ فاستجاب لطلبهم الإخوة السودانيون والكويتيون والمصريون المقيمون خارج مصر والأردنيون وبعض السوريين برئاسة الشيخ مروان حديد والتحق الفوج الأول بمعسكرات فتح غير أنهم لم يحتملوا أسلوب المدربين الفظ وشتائمهم المنكرة. لذلك طالبوا قيادة فتح بتخصيص معسكر خاص لهم وإلا فسينسحبون من معسكر فتح فاستجابت منظمة فتح لطلبهم وأنشأت لهم معسكراً خاصاً باسم فتح جميع عناصره من الإخوان، يدرب فيه الأخ عبد العزيز العلي والضابط اليمني الجنوبي محمد سعيد باعباد والضابط الفلسطيني إبراهيم غزي أبو الحسن وكان من خيرة المدربين ومن مؤسسي حركة فتح. وبدأ التدريب على مرحلتين شهر ونصف تدريب عسكري وشهر ونصف تدريب على السلاح وقد عرف معسكرهم باسم معسكر الشيوخ وعرف بأن عناصره من الإخوان لوجود

عدد من القياديين المكشوفين بين صفوفهم مثل الدكتور اسحق فرحات والدكتور عبد الله عزام ومحمد صالح عمر الوزير السوداني السابق وتردد إخوان الأردن عليه وقد كسب مجاهدو معسكر الشيوخ ثقة الأهالي المحتكين بهم والجيش الأردني المجاور لهم لتميزهم بالإخلاص والشجاعة والفداء وبدأت الأفواج تترى، وكلما إجتاز الإخوة التدريب بنجاح وزعوا على المراكز الحدودية للرصد والقيام بأعمال عسكرية داخل الأراضي المحتلة وأصبح للإخوان عدة مراكز على الحدود في العلوق والأزرق وعجلون وجرش وإربد والأغوار. وقد استدلت المخابرات الإسرائيلية إلى معسكرهم في العلوق من عملائهم على الحدود فقررت القضاء عليهم فهاجمهم المعسكر سرب من الطائرات الإسرائيلية فى تمام الساعة السادسة والنصف من صباح أحد أيام عام ١٩٦٩ لعلمهم أن إجتماع العمل الصباحي يبدأ في الثامنة صباحاً فقدمت موعد الهجوم لتقضي على الإخوان وهم في فراشهم ولكن الله خيب ظنهم، فقد كان المعسكر خالياً إلا من الحرس.

وكان الإخوان وعددهم ست وتسعون مجاهداً يتدربون خارج المعسكر منذ الخامسة صباحاً والذي شاهد آثار الهجوم الجوي على المعسكر يجزم وبكل تأكيد أن الإخوان لو كانوا ضمن المعسكر لما نجا منهم أحد مما يؤكد لطف الله بهم.

لقد شارك من إخوان السودان خمسون أخاً منهم إثنان وعشرون يحملون شهادة الدكتوراه وست وعشرون يدرسون الدراسات العليا وإثنان مدرسان وقد زارهم الدكتور الترابي أميرهم ثلاث مرات في قواعدهم كما ساهم من الإسلاميين في سوريا تسعماية وخمسون مجاهداً منهم مائتان وخمسون مجاهداً من الإخوان ومايتان وستون من مدينة حماة وحدها وقد حاولت الجبهة الشعبية القضاء على الإخوان فسرقت لهم سيارتين من على

باب المركز الإسلامي في الزرقاء وتحرشوا بعدد من الإخوان فكالوا لهم الصاع صاعين وقتلوا اثنين من مقاتليهم وأسروا واحداً ولم يتركوه إلا بعد أن تعهدوا بعدم التعرض لهم ثانية. ساهم في وقف الأعمال العدوانية للجبهة الشعبية تهيبهم من الصدام مع منظمة الفتح التي تعتبر معسكر الشيوخ من معسكراتها.

عملية الحزام الأخضر: لقد ساهم الإخوان في عملية الحزام الأخضر قرب الحمة الأردنية حيث كان لليهود مركز عسكرى لا يرى منه إلا سطحه وبعض النوافذ العليا (بركس) يزوده الصهاينة بالطعام والذخيرة بواسطة طائرة هيلوكبتر يفصله عن الأردن جبل شبه عامودي يستحيل النزول منه. فنزل إليه المجاهدون بسلالم من حبال وهاجموا المركز الصهيوني وأبادوا جميع من بداخله وكان عددهم ستة عشر عسكرياً، وهرب في هذه المعركة بعض المتفعين ملقين بأسلحتهم وقنابلهم أرضاً فأحضرها لهم مجاهدوا الإخوان وعادوا يصعدون السلالم فرحين بنصر الله. ولما تم اللقاء بعد المعركة تعلل الهاربون بأسباب واهية من محض خيالهم فما كان من مجاهدي الإخوان إلا أن قدموا لهم أسلحتهم وقنابلهم التي لم يستخدموها فكشف زيفهم وإرتفع الإخوان بأعين القادة والمقاتلين والحمد لله رب العالمين.

مذكرات الدكتور عبدالله عزام
عن معسكر الشيوخ

ويسرني أن أنقلكم إلى مذكرات الدكتور عبد الله عزام التي سجلها في كتابه حماس صفحة ٨٤/ ١٠٠ لتعرفوا ماذا يفعل الإسلام في نفوس أنصاره حيث يجعلها تستعذب الموت في سبيل الله.

بعد هزيمة العرب سنة ١٩٦٧ تقدمت حركة فتح ووسعت كوادرها ونادت بالناس وتقدم إليها كثير من الناس ولكن معظمهم غثاء وتأخرت الحركة الإسلامية ولكنها قدمت ثلاث سرايا وكان لها أربع قواعد وكانت تحت اسم فتح وكان الناس يطلقون عليها (قواعد الشيوخ) ولقد أبلت بلاء حسناً وكنت أميراً في إحدى القواعد (قاعدة بيت المقدس في مرو).

والحق أن السرية الأولى التي تقدمت وكنت منها كانت نماذج رفيعة وكان من بيننا مجموعة من الإخوة السودانيين على رأسهم الوزير السوداني محمد صالح عمر الذي استشهد فيما بعد في جزيرة «أبا» بقذائف الطيران المصري.

وكانت على خلق عال، وأدب إسلامي جم، وقد كتبت بعض ذكرياتها في رسائل من القلب إلى القلب في مجلة الجهاد ـ رسالة الإخلاص والزهد والإخوة والمحبة ـ كانوا يرفضون أن يحدثوا عن معاركهم خوفاً من الرياء ولئلا ينقص ثوابهم، كان القائد الشهيد صلاح حسن يربينا بعمله دون قوله، وكان أخوه أبو خليل يعتبرنا أخوة له ولسنا تلاميذ، وكان قائدنا العام عبد العزيز علي له في قلوبنا هيبة وأيما هيبة،

وحباً ومودة لا نظير لها.

ويقيت مجموعات الشيوخ تشق طريقها بين الأعاصير الهوجاء التي تريد أن تقتلعها من جذورها ونحن نقيم علائق طيبة مع الجيش الأردني الذي كان يحترمنا أيما احترام حتى كان خلف رافع ـ قائد اللواء ـ المسؤول عن حراسة الحدود ـ الغور يوقف سيارته إذا رأى شاباً من شبابنا.

ذكريات الرفيد وحرثا:

وكان بيننا وبين الأهالي صلة وثيقة ومحبة عميقة، خاصة الذين كانت قواعدنا في أكنانهم، وأخص بالذكر آل عبيدات ـ في الرفيد وحرثا ولقد احتضنونا كأننا أبناؤهم ويودون لو يضعونا في أجفانهم وقلوبهم. ولقد وقفوا وقفة طيبة عندما دخل الجيش الأردني لضرب قواعدنا فقالوا: نحورنا دون المس بهم وصدورنا دون إيذائهم، قالوا: عرفناهم لأبنائنا معلمين ولمساجدنا أئمة وخطباء، ولقرانا ولمزارعنا حراساً أمناء، والحق أن ذكر الرفيد لا يمكن أن يأتي النسيان عليه ـ والله أعلم ـ ما دام لنا عين تطرف أو قلب ينبض. ولقد كان أحد أبنائهم أحمد قد عرفنا من خلال حديث أهله وقريته وعشيرته عنا فأحبّنا عنْ بعد ثم ارتقى مناصب عليا في الدولة حتى تسلم رئاسة الوزراء فكان خير مدافع عنا إذا كثرت الأقاويل أو اشتدت علينا الحملات.

ولقد خاض الإخوة معارك كثيرة: وكان الجيش الأردني خير متعاون معنا إذ أننا صدقناه فصدقنا وعاملناه بالرجولة الإسلامية فعاملنا بالمروءة والنخوة البدوية.

معركة المشروع:

وإن كنت أنسى فلا أنسى معركة المشروع (روتنبرغ) التي دخلناها.

وكنت فيها وكان معنا أبو مصعب السوري الذي تحامل على جراحه البالغة التي أصابته في المعركة بجانبي فجاء قائد الكتيبة الأردني واقتحم النيران الملتهبة من جراء القذائف المتصببة وأصابته شظية وجرح القائد ولكنه أنقذ أخانا وأوصله إلىٰ المستشفى حيث أشرف على الموت وهيموجلوبين الدم.

معركة ٥ حزيران سنة ١٩٧٠:

ستة من إخواننا منهم أبو إسماعيل، مهدي الإدلبي الحموي، إبراهيم (بن بلة)، وبلال الفلسطيني وفي أرض مكشوفة تصدوا لدبابتين وكاسحة ألغام وكان دايان أرسل مراسلاً كندياً وأمريكياً ليطوف بهم على الحدود ويريهم أن العمل الفدائي قد إنتهى وإذا بجند الله يخرجون لهم كالجن المؤمن من باطن الأرض وانهالت القذائف وجرح الصحفيان واعترف اليهود باثني عشر قتيلاً ولكن قتلى الأعداء أكثر من هذا بكثير.

وقد ضج الإعلام العربي وخاصة فتح بهذه العملية الرائعة في رابعة النهار ضحى يوم ٥ حزيران واستشهد ثلاثة من إخواننا منهم الحبيب مهدي الإدلبي أحد أبناء قاعدتي وبلال المقدسي من قاعدة/ غزة.

عملية سيد قطب:

ولقد كان الأخ أبو عمرو (صلاح حسن) يعد لعملية بالصواريخ يسميها عملية سيد قطب ضد دورية من عدة دبابات ورتب الخطة وأشرف على المكان وزرع الصواريخ التي سيطلقها بالكهرباء ولكن المنية كانت له بمرصد إذ كمن له اليهود قرب المشارع ودارت بينهم معركة سقط فيها أبو عمرو شهيداً واستشهد معه محمود البرقاوي، وزهير سعدو (من حماة)

ومن الموافقات العجيبة أن تاريخ الشهادة كان في نفس اليوم الذي استشهد فيه سيد قطب ٢٩ أغسطس (آب) سنة ١٩٧٠.

وهكذا فاز أبو عمرو بالشهادة ـ كما نرجو من الله ولا نزكي على الله أحداً ـ قبل ضرب العمل الفدائي في الأردن بعشرين يوماً.

وشيعت جنازته بوداع مهيب في مطار عمان واستقبلت في مطار الكويت حيث يسكن أهله وكان يوماً من أيام المسلمين في الكويت.

وأما جنازة زهير فقد قمت بنقلها إلى حماة في سوريا ومكثت هناك عدة أيام في ضيافة الشيخ مروان حديد وقد قدمت جنازة أخرى إلى حماة وأنا هناك وهي جنازة (نصر عيسى) شقيق الدكتور رشيد عيسى الذي قضى معنا في فلسطين فترة طيبة يرعى إخوانه من شباب حماة وقد عاش معنا في هذه الفترة في فلسطين الأخ عبد الستار الزعيم.

وبدأ الاستعداد لضرب العمل الفدائي: واجتمعنا ـ نحن الإخوة المسؤولين ـ عن الشباب وقررنا فيما إذا اصطدم الجيش مع الفدائيين أن لا ندخل في هذا الصراع الذي لا طائل من ورائه ونخشى أن نصيب دماً حراماً (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم) وكذلك المعركة ليست واضحة والراية عمية وليست إسلامية خاصة وأن العمل الفدائي قد اجتاحه طوفان من الغثاء وأصبح الكثير منه زبداً رابياً فلم يكن قتال الجيش أمراً مقبولاً شرعاً ولا عقلاً ولا مصلحة.

فآثرنا الوقوف على الحياد، ولقد دار حديث حول الأخطار التي تكتنف المرحلة القادمة والغموض الذي يلف الليالي المقبلة، ولكن عين الله كانت ترعى هذه المجموعة فقلت للإخوة إطمأنوا فلن يضيعنا الله ولن تكون نهاية هذه الصفوة السحق تحت جنازير الدبابات الأردنية، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ وفي الحديث

الصحيح «ثلاث حق على الله عونهم: الغازي في سبيل الله، والناكح يريد العفاف، والمكاتب (العبد) يريد الأداء».

ولقد كان فضل الله علينا عظيماً، إذ رعانا بعين رعايته وأحاطنا بعنايته فلم يمسّ أحد منا بأذى رغم أن كثيراً من المدنيين قتلوا وعذبوا وسجنوا وأهينوا.

الشهداء: واستشهد من أبناء الحركة الإسلامية ١٣ شهيداً منهم رضوان كريشان ورضوان بلعة الدمشقي ومحمد سعيد باعباد الضابط اليماني وأبو الحسن إبراهيم الغزي وهو من مؤسسي حركة فتح، وكان من خيرة المدربين في معسكر العلوك.

رأي في جهاد الحركة الإسلامية سنة ١٩٦٩:

وألحق أن الدعوة قصرت من ناحيتين:

الأولى: أنها تأخرت في التحرك للجهاد وسبقتها المنظمات العلمانية والقومية الشيوعية التي يجمعها جميعاً العداء للإسلام ومحاربة الخط الإسلامي.

إذ قلما كنت تجد آنذاك مصلياً في المنظمات ولعلك تستطيع أن تدرك السوء البالغ الذي كانت تحياه المنظمات والدرك الهابط الذي كانت تتخبط فيه أنه في ٤ نيسان سنة ١٩٧٠ (الذكرى المئوية لميلاد لينين المئوي) إتفقت المنظمات جميعاً دون استثناء على أن تحتفل ولمدة أسبوع بهذه الذكرى المجيدة المشرفة؟؟ واشترك وزير الأوقاف الأردني آنذاك بالترتيب للاحتفال وفي الإسهام في إنجاحه.

وبإمكانك بعد هذا أن تتصور الضيق البالغ الذي كان يأخذ بخناقنا ـ أبناء الحركة الإسلامية ـ ونحن نعيش في هذا الوسط المظلم المكفهر.

وأذكر أنني طلبت لمحاكمة عسكرية لأنني انتقدت جيفارا فقلت للمثقف الثوري وهو يمثل الإدعاء العام (من هو جيفارا؟ فقال مناضل شريف، فقلت: له: ما هو دين فتح؟ فقال: فتح لا دين لها، فقلت له: أما أنا فديني الإسلام وجئت لأجاهد في سبيل الله وأما جيفارا فهو تحت قدمي هذا).

وهذا الغثاء لم يكن موجوداً سنة ١٩٤٨ لأن الحركة الإسلامية آنذاك كانت سيدة الموقف ورمز الصمود والنجم المتألق على الساحة الفلسطينية، وذلك لأنها سبقت الناس إلى الجهاد وبقيت ثابتة حتى عصفت بهم النوائب التي ساقها الله على يد حكامهم العرب يومئذ.

فإذا كانت الحركة الإسلامية تعيب على المنظمات الثورية يساريتها وانحرافها وتخبطها وإغواءها للشباب فما ذاك إلا لغياب الحركة الإسلامية.

وجدير إذا الليوث توارت أن يلي ساحها جموع الثعالب

والعامل الثاني: لتبجح أهل الباطل وانتفاشهم وانتفاخهم أن عدد المسلمين كان قليلاً في منظمة فتح، لقد كانت المنظمات اليسارية تسب الله ورسوله عمداً أمامنا ليغيظونا، وقد كانت بجانبنا جبهة ديمقراطية (نايف حواتمة) فكانت كلمة السر في الليل أثناء الحراسة شتم الله أو النبي أو الدين، وكنا أحياناً نلتقي في تجمع فنقف لنؤذن فيصطفون مقابلنا يرددون:

إن تسل عني فهذي قيمي أنا ماركسي لينيني أممي

والحق أنه لولا الله ثم لافتة فتح لمزقونا إرباً إرباً أو لمنعونا من الجهاد في سبيل الله.

إعتذار:

ونحن نعتذر للحَركة الإسلامية أن رأسها كان رهن الأغلال والقيود في سجون عبد الناصر وقد أعلن هذا الطاغوت من فوق قبر لينين سنة ١٩٦٥ أننا ألقينا القبض على سبعة عشر ألفاً من الإخوان المسلمين ولئن عفونا المرة الأولى فلن نعفو المرة الثانية، ولقد صب عليهم من العذاب ما لم تره حركة في الأرض أبداً. يقول الأستاذ محمد قطب: (راجعت تاريخ الإضطهاد في البشرية فلم أر جماعة أضطهدت وعذبت مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر اللهم إلا ما كان من محاكم التفتيش في إسبانيا التي أبادت المسلمين) ويحضرني في هذا المجال كلمة كتبها أحمد رائف في كتابه البوابة السوداء قال: (فتح علينا السجان ذات يوم باب الزنزانة فقلنا له: يا أفندم هذا شاب مات هذه الليلة من آثار التعذيب فرد علينا قائلاً: يا أولاد الكلب حنودي وشنا فين من الريس ما متش إلا واحد هذه الليلة).

هكذا وبكل صفاقة وتبجح إنه يشعر بالخجل من الرئيس عبد الناصر لأنه لم يمت ليلتها إلا واحد.

المـلاحقة التي لا تكف عن ضرب التجمعات الإسلامية:

وبعد أن رفع السادات فكيّ الكماشة عن الحركة الإسلامية واستيقظت الأجيال وبدأت الصحوة الإسلامية تقوى في مصر وقد جاءت على قدر من الله ثم كانت ثمرة طبيعية لصبر الحركة الإسلامية الأم على المحن والضربات، هنا انتبه أعداء الله مرة أخرى وبدأوا يحذرون من التيار الإسلامي الذي بدأ يقوى بإذن ربه.

فجاءت الضربات المتلاحقة: الفنية العسكرية التي انتهت بإعدام صالح سرية وكارم الأناضولي، ثم قضية التكفير والهجرة (جماعة المسلمين) والتي تمت بتعليق شكري مصطفى ـ رئيس الحركة ـ وخمسة

من أصحابه على الأعواد.

ثم جاءت أحداث سنة ١٩٨١ وقتل السادات وتلاحقت قضايا تنظيم الجهاد، لا يكاد يمر عام إلا وعمليات السحق والإبادة تلاحق رؤوسه وتطحن قادته.

وفي فلسطين:

لقد كانت الأجهزة الصهيونية واليهودية قد نظمت أبناء فلسطين في الحزب الشيوعي اليهودي (راكاح) منذ وقت مبكر ١٩٢٠ على يد (روز شتاين) و (جابوتينسكي - أستاذ بيغن) و (أفرويوخ (أبو زيام) صديق لينين) وقد تولى رئاسة الحزب الشيوعي الفلسطيني من سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٩ م.

وأبرزت الشيوعية اليهودية إميل توما سكرتيراً لنقابة العمال الشيوعية في حيفا وإميل حبيبي سكرتيراً لها في الناصرة وفؤاد نصار سكرتيراً لها في يافا.

وكان الجميع يطالبون بإقامة دولة يهودية لليهود في فلسطين ويرون أن قتال اليهود الشرفاء رجعية دينية متعاونة مع الإمبريالية وأدخلت إسرائيل توفيق طوبي وإميل حبيبي في الكنيست الإسرائيلي وكذلك أبرز اليهود محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد والأخيران في مجلس الكنيست الإسرائيلي وكان محمود درويش وسميح القاسم يحملان العلم الإسرائيلي في مؤتمر صوفيا الدولي.

يقول رفيق رضا مساعد خالد بكداش: صحيحة قيادة الحزب الشيوعي اللبناني السوري (كانت قيادة الحزب الشيوعي بمثل حماس ابن غوريون على بعث الدولة اليهودية في فلسطين فإسرائيل في نظرهم واحة ديمقراطية في الشرق).

وقال فهد/ سكرتير الحزب العراقي (مرحباً بإنشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين واشترط لها الاشتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية) انظر التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص ١٧١.

وكانوا يقولون عن اليهود (شعب له حق الحياة كما لنا حق الحياة).

واستمر اليهود يبرزون أعداء الإسلام ثم تبنت الثورة الفلسطينية من أبرزتهم أجهزة الإعلام اليهودية مثل محمود درويش الذي يقول (أنا من قرية عزلاء منسية وكل رجالها في الحقل والمعمل يحبون الشيوعية).

وكان نشيد الثورة الذي يتردد على لسان كل طفل فلسطيني (أنا يا أخي آمنت بالشعب المضيع والمكبل وحملت رشاشي لتحمل بعدنا الأجيال منجل).

فالقتال في فلسطين لتحمل الأجيال (المنجل والمطرقة «الشاكوش») شعار الشيوعية.

ويقول محمود درويش (وصرنا نقرأ مبادىء الماركسية التي أشعلتنا حماساً وأملاً وفي سنة ١٩٦١ دخلت الحزب الشيوعي فتحددت معالم طريقي).

ولذا ليس غريباً أن يكتب درويش (نامي فعين الله نائمة عنا وأسراب الشحارير)، ويقول (فسبحان التي أسرت بارودتي إلى يدها) تعالى الله عما يشركون.

العودة إلى الله في فلسطين المحتلة:

بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ نفض الشباب في فلسطين المحتلة أيديهم من الأصنام التي تعلقت بها الأوهام، ويئس الجيل من الطواغيت التي عبدوها ردحاً من الزمن، وبدأوا يبحثون عن مخرج ويتلمسون عقيدة يعتنقونها بعد

أن سقطت كل الشعارات وتهاوت كل المنارات فهداهم الله عز وجل إلى الإسلام ولم يجدوا خيراً من قرآنهم الذي فيه الروح والحياة والنور والهدى ومن سنة نبيهم ﷺ التي فيها الرشاد والحكمة.

الدعاة من أبناء الحركة الإسلامية:

ويدأ أبناء الحركة الإسلامية بعد سقوط الضفة الغربية يدخلون المنطقة المحتلة سنة ١٩٤٨، ومن بين هؤلاء أحمد ياسين والشيخ محمد فؤاد أبو زيد وسعيد بلال وأحمد الحاج على إبراهيم أبو سالم... وقد نفع الله بهم كثيراً وصارت الجموع تدخل في دين الله أفواجاً، وخلصت من تلك الأسمال البالية التي ضاقت بها ذرعاً فخلعت ثياب الشيوعية والقومية والناصرية والاشتراكية وعادت إلى الله تقول:

(آيبون تائبون لربنا عائدون):

عبد الله نمر درويش: وهذا الشاب يحتاج كتاباً كاملاً لنوفيه حقاً فهو من أبناء كفر قاسم التي شهدت المذبحة المشهورة وكان عضواً بارزاً في الحزب الشيوعي ثم رجع إلى الله ودرس في المعهد الشرعي في نابلس ثمّ أصبح معلماً في أم الفحم التي كانت معقلاً خطيراً من معاقل الشيوعية وبدأ أبناؤنا يعودون إلى الله ويخرجون من الشيوعية ويحملون الدعوة الإسلامية حتى غيروا أسم البلد إلى (أم النور) وتحدى عبد الله نمر كاهانا وعبد الله يردد دائماً (نحن شعب الله المختار)، وقد تحولت أم النور إلى حصن شاهق من معاقل الإسلام.

ولقد بدأ عبد الله سرايا الجهاد واكتشفها اليهود مما جعلهم يرتعدون رعباً وفزعاً وضيقوا على عبد الله وحددوا إقامته ومنعوا حركته.

إرهاصات جهاد الإنتفاضة:

كنت أحس منذ سنوات أن اليهود يتوجسون خيفة من هزة قادمة بسبب الزلزال الذي حدث في أفغانستان وكنت ألمح من خلال التشديدات التي تجريها أجهزة الأمن الإسرائيلي على كل قادم من باكستان. وزاد رعبهم عندما وجدوا أفواج الشباب العربي تفد إلى أفغانستان وبدأ الشهداء يتساقطون فانتفضت إسرائيل هلعاً وحركوا أجهزة الحكم الغربية وأمريكا حتى تشدد على منح التأشيرات إلى باكستان ثم الأوامر الصارمة التي ألقيت على شركات الطيران العالمية أن لا تقل على ظهرها راكباً إلا بعد التأكد من التأشيرة.

وكتب شخترمان اليهودي الأمريكي عن الجهاد الأفغاني (ما الذي فعلناه؟ لقد أيقظنا العملاق) واشترط اليهود في معاهدة جنيف إغلاق المعسكرات الأفغانية في باكستان حتى لا يتدرب فيها الشباب العربي.

وفي المقابل كان التيار الإسلامي من أبناء الصحوة الإسلامية الذين تأثروا بالحركة الإسلامية الأم في فلسطين يرددون في أناشيدهم أعلام الجهاد الأفغاني الذين أصبحوا رمزاً للتضحية وعنواناً للعزة والمجد والفداء.

وفي أهازيجهم الوطنية الفلسطينية (أخي يا سياف الروس منك تخاف أخي يا حكمت يار على العدا مثل النار) (بنا نريد) رجال تعد أجيال، تقوم الليل، تهد جبال كسياف الصامد).

وقد بدأ الشباب يتلقفون كتاب (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) ويطبعونه ويوزعونه وقوات الأمن الإسرائيلي تتابعه وتطاردهم.

موقف الشعب الأفغاني: وأما الشعب الأفغاني المسلم فهو ينظر إلى قضية فلسطين أنها قضية عقيدة ودين باعتبار المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ولذا فإن بعضهم يدعو الله عز وجل

(اللهم افتح على أيدينا كابل ولا تمتنا إلا في بيت المقدس).

وكثيراً ما يردد سياف وحكمت يار ورباني أن قضية فلسطين هي أهم قضايا العالم الإسلامي.

وإن كنت أنسى فلا أنسى موقف الأخ أحمد شاه الذي عقد صفقة سلاح مع تاجر أسباني وبعد أن تمت الصفقة طلب التاجر الأسباني من أحمد شاه أن يوقع على ورقة يتعهد فيها أن لا يستعمل السلاح ضد اليهود فرفض وألغى الصفقة فقال التاجر: وهل تريدون استعمالها ضد اليهود؟ قال: لا ولكنك تريدني أن أوقع على ورقة أتعهد فيها إيقاف حرب شنها رب العزة على اليهود منذ بضعة عشر قرناً، وألغى الصفقة وعاد فقال التاجر (ما رأيت شعباً أعز منكم رغم فقركم).

بداية جهاد الإنتفاضة:

بدأ بعمليات عسكرية قام بها تنظيم الجهاد الذي يقوده عبد العزيز عودة وفتحي الشقاقي في غزة ومناطقها وكذلك بعض العمليات التي قامت بها سرايا الجهاد، وبعض الشباب الراجع إلى الله ضمن فتح، مثل عملية حائط المبكى التي هزت اليهود ثم حصلت عملية جباليا التي داس فيها يهودي أربعة من أبناء المخيم إنتقاماً لأخيه، ثم تحرك المسلمون وأبناء فلسطين قاطبة وقام أحمد ياسين رمز صمود الحركة الإسلامية وبدأ يحرك أبناء الحركة الإسلامية وبدأ الشارع الفلسطيني يرجع إلى الله على أصداء نغم الله أكبر، خيبر خيبر يا يهود، دين محمد سوف يعود، واشترك في هذا الجهاد جميع الطبقات والفئات من أبناء فلسطين وبدأت المنظمة تدخل الأموال لدعم الانتفاضة ولكن (حركة المقاومة الإسلامية: حماس) قد برزت بشكل منظم واضح وأخذت تشتد يوماً بعد يوم ويصلب عودها ويقوى تيارها وبدأت تستحوذ على اهتمام الجماهير وإعجابهم بسبب

التزامها ونظامها ونحن نرقب ذلك اليوم الذي يتحول فيه الحجر بأيدي حماس إلى رصاص ويتبدل الحجر وتحل القنبلة والبندقية وهذا سهل بأمر الله إذا وجد الشباب الذين ينتزعون سلاحهم من أيدي أعدائهم ويقاتلونهم به ونرقب اليوم الذي تهتز الأرض فيه تحت أقدام اليهود وتزيغ فيه أبصارهم ونبتهل إلى الله أن يفتح لنا ثغرة إلى فلسطين نزاول فيها عبادة القتال وفريضة الجهاد وما ذلك على الله بعزيز ﴿ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً﴾.

قيام الدولة الفلسطينية:

وعندما أعلنت حماس عن هويتها وأنها فرع من حركة الإخوان المسلمين إنتفضت الدنيا كلها هلعاً وتداعت دول الكفر من كل ناحية ويسرعة كالبرق الخاطف إجتمع المجلس الفلسطيني بإيحاء من هذه الدول وأعلن قيام الدولة الفلسطينية التي ليس لها شبر أرض تقف عليه، فهي معلقة في الهواء وليس بيدها أية ورقة ضاغطة على اليهود فلا المواقف العسكرية القوية التي تحسم القضايا ولا الأرض الصلبة التي تستوي قائمة عليها.

وخلال أسبوع تعترف بها خمسون دولة تقريباً ثم فطنت أمريكا أنها تسرعت بالاعتراف فأخرجت مسرحية تأشيرة أبي عمار لدخول أمريكا، واعترفت المنظمة بدولة إسرائيل على مرأى من العالم كله وقال أبو عمار: هل يرضيكم هذا؟

فقالت أمريكا: لا بل لا بد من أن تقرأ الكلمات التي نكتبها لك وكتبت له الكلمات وأعاد قراءتها على شاشة التلفاز على مرأى ومسمع من الدنيا كلها، ومع هذا كله لا زالت إسرائيل رافضة أن تجتمع بالمنظمة، واعترف بالمنظمة حتى الآن أكثر من مائة دولة.

وصورة أخرى مشرقة تقابلها من فوق ذرى الهندوكوش من أولئك الأبطال الذين دوخوا روسيا فولت على أعقابها خاسرة، وقد مزق شملها وتشتت جمعها واندحرت على أدبارها خاسئة ذليلة تحدث لمن بعدها من دول الكفر قائلة:

(انج سعد فقد هلك سعيد):

فقد طلب ريغان بنفسه مقابلة حكمت يار ورفض فأرسل له رسالة مع ابنته مورين ريغان فرفض مقابلتها ودعي من الكونجرس ورفض مقابلته، وقابل يونس خالص ريغان وعرض عليه الإسلام، ورفض خالص مقابلة كوردوفيز مندوب الأمم المتحدة أكثر من مرة، وأعلن مجددي أننا لن نقابل روسيا، وعندما طلب فورنتسوف وكيل الخارجية الروسية مقابلة رباني إشترط عليه شروطاً:

١ ــ أن تكون المقابلة في أرض إسلامية كالسعودية وباكستان.

٢ ــ أن لا تتضمن المباحثات شكل الحكومة القادمة.

٣ ــ أن يدخل الوفد الروسي إلى القاعة قبل الوفد الجهادي حتى يقوم الروس للمجاهدين.

٤ ــ أن لا يصافح المجاهدون الروس.

وقبل الشروط كلها وطلب فورنتسوف من رباني أثناء المباحثات أن يدخلوا ثلاثة وزراء مسلمين من حكومة نجيب في دولتهم ريثما يتم خروج القوات الروسية حتى يحفظوا ماء وجوههم أمام العالم فقال المجاهدون:

(إن الإسلام لا يعطي حق الحياة للشيوعي (من بدل دينه فاقتلوه) فكيف يعطي حق الحكم للشيوعي)؟

وهربت روسيا من أفغانستان لا تحمل بيدها ورقة واحدة موقعة من

المجاهدين، ولا أظن أن المجاهدين حتى الآن قدموا ورقة التماس واحدة لأية دولة من دول العالم الكبرى غربية أو شرقية.

ومع هذا كله: فقد قامت دولة المجاهدين في أفغانستان فوق ٩٠٪ من أرض أفغانستان وسيوفهم لا زالت تقطر دماً من أعدائهم ومعاركهم التي يخوضونها الآن لتصفية شراذم الشيوعيين الذين يشهقون شهقات الموت لم يشهد لها نظير في شراستها وعنفوانها.

ومع هذا كله لم تعترف بهم إلا السعودية والبحرين والسودان وماليزيا.

جزاهم الله خيراً.

أما الدولة الفلسطينية فقد أنيط بها مهمة إخماد نار جهاد الإنتفاضة وإطفاء نورها، وعبثاً يحاولون.

قواعد الشيوخ

١ ـ وعن قواعد الشيوخ يحدثنا الأستاذ عبد الله عيسى في كتابه «متفجرات في مكتب شامير» من صفحة ٢١ ـ ٢٦ فيقول. . .

قواعد الشيوخ. . .

في مرحلة مبكرة من بداية الثورة الفلسطينية حاول قادة حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» الاتصال بكافة القوى السياسية والشخصيات الوطنية والإسلامية الفلسطينية لاستقطابهم لصالح الحركة الناشئة، وعلى الرغم من أن معظم هذه القوى لم تفرح بولادة هذا المولود الغامض في حينها، فقد نجحت بعض هذه الإتصالات، وفشل البعض الآخر لأسباب عديدة، أو لعل المثير في الأمر أن شخصيات عديدة غيرت آراءها في حركة «فتح» بعد نجاحها الساحق والسريع على الساحة الفلسطينية وسيطرتها على منظمة التحرير الفلسطينية وحسمها المعركة السياسية لصالحها! وربما أسهمت الجذور الإسلامية لقادة حركة «فتح» في فتح حوار هادىء وبنّاء مع حركة الإخوان المسلمين التي يحس قادتها بمرارة نحو «جمال عبد الناصر» الذي تنكر لهم بعد مساعدتهم له في ثورة الثالث والعشرين من يوليو وكذلك نحو حركة «فتح» التي كان بعض قادتها أعضاء في حركة الإخوان.

ولم ينس هؤلاء علاقة القادة الفلسطينيين بحركة الإخوان في الخمسينات، وأصرّوا على القول دائماً بأن الثورة الفلسطينية بدأت إسلامية

وستنتهي إسلامية! وتجسّد هذا الطموح خلال السنوات الأخيرة بإعلان حركة «حماس» داخل الأرض المحتلة وفي تلك المرحلة نجحت «فتح» تحديداً في استقطاب معظم القوى والشخصيات الفلسطينية ولا سيما بعد معركة «الكرامة» لأنها طرحت نفسها كحركة للشعب الفلسطيني لتحرير وطنه بدون أيديولوجية معينة، وبقيت متنبهة إلى مخاطر السقوط في فخ الأيديولوجية ولم تسقط به رغم الضغوط العنيفة التي تعرضت لها في مراحل عدّة وبقيت ترى في تبني أيديولوجية ما سيؤدي بها إلى التقوقع والابتعاد عن الجماهير ويفقدها ميزتها الخاصة التي استطاعت من خلالها استقطاب هذه القوى بكافة اتجاهاتها السياسية وعجزت باقي القوى الفلسطينية في منظمة التحرير الفلسطينية إلى الآن عن منافستها.

مع بداية العمل الفدائي تولى مهمة الإتصال بحركة الإخوان المسلمين بشكل خاص الشهيدان «أبو إيّاد» و «أبو جهاد» ورفضت حركة الإخوان المشاركة في الثورة الفلسطينية إلاّ بشكل مستقل في قواعد عسكرية خاصة بها وبشكل سري غير معلن، وبعد مفاوضات تم التوصل إلى إتفاق سري بين قيادتي حركتي الإخوان وفتح على إقامة قواعد عسكرية خاصة، تقوم «فتح» بتقديم التجهيزات والأسلحة والخبرة والتدريب، في حين أن إذاعة العمليات يتم بإسم «قوات العاصفة» كما تم الاتفاق على طبيعة هذه العمليات بحيث تقوم حركة الإخوان بتنفيذها بشكل مستقل، وأحياناً بالتنسيق مع الجناح العسكري لحركة «فتح» أي عمليات فدائية مشتركة.

وقد لاقت هذه الصيغة ارتياحاً لدى القيادتين لعدة أسباب، فحركة الإخوان المسلمين تخشى المتاعب في حال كشف مشاركتها في العمل الفدائي، بسبب كثرة الخصوم، والصورة الكريهة التي كان الإعلام المصري يبثها آنذاك حولها، كما أن حركة «فتح» كانت تخشى أيضاً من

جانبها رد فعل الرئيس «جمال عبد الناصر» على هذا الإتفاق خاصة أنه قدم للثورة الفلسطينية تسهيلات كثيرة تتوجت بالزيارة التي قام بها الرئيس «أبو عمار» إلى الإتحاد السوفياتي.

وفعلاً بعد إبرام هذا الاتفاق بدأ التنفيذ الفعلي وتشكلت القواعد العسكرية الإسلامية أو «قواعد الشيوخ» وكان أبرز قادتها «عبد الله عزام» و «ذيب أنيس» و «أحمد نوفل».

والتزم الجانبان طوال فترة العمل المشترك ببنود هذا الإتفاق ولم يذع بيان واحد باسم حركة الإخوان المسلمين، كما لم تكن «قواعد الشيوخ» ثابتة من حيث العدد أو الحجم، فكان يصل عددها إلى ست وأحياناً عشر قواعد.

واستمرت هذه القواعد في العمل بنجاح خلال الفترة «١٩٦٨، ١٩٧٠». ونجحت بالقيام بعمليات فدائية عديدة بعضها خاص بحركة الإخوان المسلمين والبعض الآخر مشترك مع حركة «فتح» من حيث الإعداد والاستطلاع والتدريب والتنفيذ، وعادة ما كانت تتم المشاركة في العمليات الكبرى.

وكانت حركة الإخوان المسلمين ترى أنه من الحكمة أن يتم التنسيق مع حركة «فتح» دون غيرها لأنها الأقرب إليهم، وبالمقابل كانت قيادة الثورة الفلسطينية تأنس لهم لصدق القصد.

وفي تلك الفترة بدأت العلاقة بين الشيخ «عبد الله عزام» وحمدي سلطان وأبو حسن قاسم، من خلال العمل الفدائي، وقام «عبد الله عزام» بالمشاركة مع «حمدي» و «أبو حسن» في العديد من العمليات الفدائية أو الاستطلاع، وكان لا يفصلهم أحياناً عن الموت سوى أمتار، وفي أحدى الليالي كان الشيخ يكمن مع مجموعة من الفدائيين قرب موقع إسرائيلي

للإستطلاع، وألقى أحد الجنود بحجر صغير أصاب رأسه، وصمت ولم يرفع صوته، وتندّر رفاقه فيما بعد بقولهم: الحجر أفضل من الرصاصة. .

هجوم في الجولان:

من أبرز العمليات التي تم تنفيذها وأعلن عنها في قوات العاصفة عملية «دير ياسين» وكانت تستهدف ضرب مستعمرة في الجولان وتدعى «ناحال هجولان» وبدأت العملية مشتركة مع حركة «فتح» من حيث الاستطلاع وتسجيل الأهداف والتنفيذ فتولت مجموعات قطع الطرق المؤدية إلى المستعمرة وأخرىٰ الاقتحام ومجموعات لتغطية الانسحاب، وفي ليلة الرابع عشر من أيلول ١٩٦٩ كانت المستعمرة الإسرائيلية تتحول إلى بركان من حجم الهجوم المباغت فتم تدمير نادي الضباط ومحطة للوقود ومستودعات التموين وسيارات عسكرية إسرائيلية، كما يروي شاهد عيان، استغرقت العملية حوالي ساعة ونصف بعد أن تم عزل المستعمرة من قبل القوات المهاجمة من الجهتين الشمالية والجنوبية وذلك بعد منتصف الليل وقد إعترف العدو بقتيل واحد واثني عشر جريحاً محاولاً التقليل من شأن العملية وخسائره فيها، في حين يروي أحد المشاركين بها إلى أن مشاهدات المجموعة الفدائية أحصت حوالي ستين قتيلاً إسرائيلياً وكانت خسائر المجموعة الفدائية شهيداً واحداً وثلاثة جرحى فقط.

ويتذكر الشيخ ذيب أنيس هذه المرحلة التي أشرف خلالها مع الشيخين «عبد الله عزام» و «أحمد نوفل» على هذه القواعد فيقول:

في ليلة الحادي والثلاثين من آب ١٩٦٩ كانت عملية أخرى يتم تنفيذها بالتعاون مع حركة «فتح» إستهدفت ثلاث مستعمرات إسرائيلية متقاربة «ياروينا» «بيت يوسف» و «بيت يور». وتم الهجوم في ليلة واحدة وكانت أصداؤها مدوية واتفق على تسميتها بعملية الحزام الأخضر.

كذلك تنفيذ عمليات أخرى عديدة قبل أن يتم إلغاء الاتفاق في عام ١٩٧٠.

٤ ــ وفي لبنان أصدرت حركة الإخوان المسلمين توصية إلى جماعاتهم بعدم قطع خيوط الاتصال مع حركة «فتح» وبقيت العلاقة معنوية والاتصالات محدودة رغم أنها كانت ترى في حركة «فتح» الأقرب إلى الخط الإسلامي كما ذكرنا.

هذه المشاركة في الثورة الفلسطينية أسهمت في قيام حركات إسلامية على الساحة الفلسطينية في مرحلة لاحقة مثل حركة «حماس» وهذا يتناسب مع النوايا المعلنة لفتح عند قيامها، و «حماس» قامت لتصحح المسيرة ولتنادي قيادة «فتح» بالعودة إلى الأصل.

ومن أبرز القوى الإسلامية التي تشكلت على الساحة الفلسطينية والقريبة من حركة الإخوان المسلمين هي حركة الاتجاه الإسلامي المجاهد، «سرايا الجهاد» وتوثقت علاقاتها مع الإخوان المسلمين ولا سيما مع الشيخ «عبد الله عزام» واستمرت حتى وصوله إلى أفغانستان. انتهى.

ويربط الأستاذ عبد الله عيسى في كتابه المذكور بين إغتيال القادة العسكريين في منظمة التحرير حمدي سلطان وأبو حسن قاسم ومروان كيالي الذين اغتيلوا في قبرص وبين اغتيال عبد الله عزام لاشتراكهم في الإعداد لتفجير مكتب شامير وتدريب المجاهدين الفلسطينيين في معسكرات تدريب المجاهدين الأفغان.

ويعلل ذلك فيما يلي:

١ ــ ففي تشرين أول ١٩٨٧ تسربت معلومات إلى سرايا الجهاد

الإسلامي من مصادر متعددة مفادها أن المخابرات الإسرائيلية تبحث بشكل جدي عن أسماء الأربعة.

٢ ـ حاولت المخابرات الإسرائيلية استدراج الشيخ عبد الله عزام إلى فخ معين ولكنه كان منتبهاً له فنجاه الله من الكمين.

٣ ـ أجرت السفارة الأمريكية اتصالات مع الحكومة الباكستانية تطالب بوقف تدريب الشباب الفلسطيني في معسكرات المجاهدين الأفغان من خلال الشيخ عبد الله عزام. كما طالبت بإبعاده عن باكستان فلم تفلح.

٤ ـ نظراً لتغلغل المخابرات المركزية الأمريكية في أفغانستان حاولت عام ١٩٨٨ من خلال السفارة الأمريكية في باكستان، إدانة الشيخ عبد الله عزام لتعمل على إبعاده فلم تفلح، فلم يبق أمام المخابرات المركزية الأمريكية إلا أن تمد يد العون للموساد الإسرائيلي الذي تمكن بعد دراسة طويلة وضع خطة محكمة قضت على الشيخ عبد الله عزام.

٥ ـ وبنفس الأسلوب الإسرائيلي الذي اغتيل به زملاؤه الثلاثة في قبرص.

٦ ـ تستر الحكومة الباكستانية عن القتلة حيث أوقفت التحقيقات في اغتيال الشيخ عزام فجأة، وتهاونت الشرطة الباكستانية في البحث عن المجرمين، نتيجة الضغوط الخارجية.

٧ ـ رفض وزير الداخلية الباكستاني طلباً تقدم به قاضي حسين أحمد لمناقشة قضية إغتيال عبد الله عزام في مجلس الشيوخ المنعقد في كانون أول ١٩٨٩ واعتبرها قضية إقليمية تهم بشاور فقط وهذا دليل آخر على رضوخ الحكومة الباكستانية للضغوط الخارجية.

إن ما أورده الأستاذ عبد الله عيسى مؤشرات واضحة على قناعته

ودليل واضح على صدق الشيخ عبد الله عزام في الجهاد لتحرير أراضي المسلمين المحتلة دون التميز بين أفغانستان وفلسطين، ودليل على تعاون أعداء الإسلام مهما اختلفت مصالحهم على القضاء على روح الجهاد في الأمة المسلمة مهما كلف الثمن، إذ ليس للمستعمرين أصدقاء دائمون إنما لهم مصالحهم الدائمة يتقلبون معها حيث تكون.

حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين
(حماس)

ظهرت تحركات ومظاهرات وإضربات في الأرض المحتلة بين الحين والآخر ولكن ما إن ظهرت حركة الإنتفاضة بتاريخ ١ محرم ١٤٠٩ الموافق ١٨ آب ١٩٨٨ حتى استمرت أكثر مما كان متوقعاً لها، ويعزو بعض المطلعين سبب استمرارها إلى تبني الإخوان المسلمون لها. ذلك لأنهم لا يخضعون إلى الضغوط الدولية والسياسية ولأن عقيدتهم تأبى عليهم القبول بانصاف الحلول ولا الاعتراف بالحلول السلمية التي تمنح المغتصب شرعية تملك جزء من الأرض السليبة. لذا فقد تجاوب الشعب الفلسطيني معها بعد أن يئس من الشعارات التي طرحها دعاة التحرير وبعد أن شاهدوا التنازلات التي رضخوا لها ولنتعرف الآن إلى حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية حماس من ميثاقها.

المادة الأولى:

في المنطلقات الفكرية: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الإسلام منهجها منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان وإليه تحتكم في كل تصرفاتها ومنه تستلهم ترشيد خطاها.

المادة الثانية:

حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين

بفلسطين وحركة الإخوان المسلمين تنظيم عالمي وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث.

المادة الثالثة:

تتكون البنية الأساسية لحركة المقاومة الإسلامية من مسلمين أعطوا ولاءهم لله فعبدوه حق عبادته ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ وعرفوا واجبهم تجاه أنفسهم وأهليهم ووطنهم فاتقوا الله في كل ذلك ورفعوا راية الجهاد في وجه الطغاة لتخليص البلاد والعباد من دنسهم وأرجاسهم وشرورهم.

المادة الرابعة:

ترحب حركة المقاومة الإسلامية بكل مسلم اعتقد عقيدتها وأخذ بفكرها والتزم بمنهجها وحفظ أسرارها ورغب أن ينخرط في صفوفها لأداء الواجب وأجره على الله.

الماة الحادية عشر:

استراتيجيتها: تعتقد حركة المقاومة الإسلامية أن أرض فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة لا يصح التفريط بها أو بجزء منها ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية ولا يملك ذلك رئيس أو كل الرؤساء ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواء كانت فلسطينية أو عربية.

المادة الثانية عشر:

الوطنية جزء من العقيدة الإسلامية وليس أبلغ في الوطنية ولا أعمق من أنه إذا وطىء العدو أرض المسلمين فقد صار جهاده والتصدي له فرض عين على كل مسلم ومسلمة تخرج المرأة لقتاله بغير إذن زوجها

والعبد بغير إذن سيده.

المادة الثالثة عشر:

تتعارض المبادرات وما يسمى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية (كالقبول بمشروع التقسيم) مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية، فالتفريط في أي جزء من فلسطين تفريط في جزء من الدين ولا حل للقضية الفلسطينية إلا بالجهاد.

بدء الإنتفاضة

واقع المسلمين في الأرض المحتلة:

لقد استطاعت الحكومة الصهيونية أن تعمل على تدجين الشعب الفلسطيني كي ينسى قضيته ويرضى بالأمر الواقع واتخذت لذلك وسائل متعددة منها التدخل في التعليم لطمس بعض المعالم القومية الإسلامية كما سعت لإفساد أخلاق الجيل وإبعاده عن دينه. وشجعت العمال العرب على العمل في مصانع الصهاينة فأدى ذلك إلى هجرة اليد العاملة إلى المصانع مما أضعف الصناعات والزراعة الوطنية. اشترت بعض النفوس الوضيعة للاستعانة بهم في كشف أي تحرك وطني وشجعت على هجرة العرب إلى الخارج واليهود إلى الداخل فقد نزح من الضفة والقطاع حوالي ٢٤٢٨٧ نسمة من سبتمبر ١٩٦٧ حتى يناير ١٩٦٨ حسب إحصائيات رسمية «مؤسسة الدارسات الفلسطينية» وكان لا بد للإخوان أن يتحركوا على إتجاهين:

الإتجاه الأول: الإنشغال بتصحيح العقيدة وتقوية الإيمان في النفوس وبث روح الجهاد والإهتمام بالأفكار الفاسدة الوافدة وبيان تهافتها وعدم صلاحيتها وتفوق الإسلام عليها وتعاونوا مع المسلمين الصادقين في بناء الكثير من المساجد وإنشاء الجامعات الإسلامية ولجان الزكاة والتكافل الاجتماعي ونشروا الكتب الإسلامية حتى أصبح الفكر الإسلامي هو الاتجاه الواضح لدى الشباب المثقف والحمد لله رب العالمين.

أما الإتجاه الثاني: فهو تنمية روح المقاومة والتصدي لأفراد السلطة الصهيونية في مختلف المناسبات ولكنها أعطت الاتجاه الأول الأولوية لأهميته في تأمين القاعدة الصلبة المؤمنة المقاتلة إذ لا فائدة من السلاح في يد الجبناء والمتخاذلين. وقد ساهمت في كل المظاهرات والإضرابات والصدامات وقدمت العديد من الشهداء ففي مظاهرات جامعة بيرزيت عام ١٩٨٦ قدمت الحركة شهيدين من خيرة إخوانها هما صائب أبو الذهب وجواد سليمة كما أقدم الإخوان في ١٧/٥/٩٨٧ على مهاجمة سجن غزة المركزي حررت فيها ستة من الشباب المسلم في عملية الشجاعية الشهيرة التي أذهلت العدو الإسرائيلي. وكان لا بد من كسر حاجز الخوف من اليهود فقرر الإخوان المجابهة.

قرار المجابهة:

اتخذت قيادة الدعوة الإسلامية قراراً بدعوة كافة عناصرها في كافة أماكن تواجدهم في فلسطين المحتلة إلى المشاركة في المظاهرات والصدامات مع العدو المحتل بل والدعوة للمظاهرات والصدامات معه وذلك في صيف عام ١٩٨٥ (عن الانتفاضة المباركة ص ٤١).

ثم شكلت القيادة الإخوانية الهيكل التنظيمي المسؤول عن العمل الصدامي لمجابهة القوى الصهيونية ووزعت المسؤوليات وعينت القيادات الرديفة بحيث تضمن إستمرار الانتفاضة وعدم توقفها حين اعتقال بعض قياداتها في الأسر وحددت إستراتيجيتها وعلاقتها مع كافة القوى العاملة على الساحة الفلسطينية. ثم بدأت ببث روح الجهاد والتضحية وراحت تستعد لمجابهة لا نكوص بعدها ودعت كافة أبناء الشعب الفلسطيني إلى ممارسة دوره في مجابهة المستعمرين فالتهبت الأرض في كافة أرجاء فلسطين وخاصة في غزة حيث خرج المصلون بعد صلاة الجمعة يوم

٨٨/١٢/١١ بمظاهرة صاخبة وصل صداها إلى كافة مدن ومخيمات فلسطين وأصدرت حماس بيانها الأول بتاريخ ١٩٨٧/١٢/١٥ دعت فيه الشعب إلى التلاحم في تصعيد الإنتفاضة المباركة وهددت العدو الإسرائيلي والمستوطنين الصهاينة بأنها ستواجههم بأعنف مما يتوقعون إن هم لجأوا إلى أسلوب العنف. كان ذلك بعد أن عبأت شعور الجماهير إثر استشهاد أربعة فلسطينيين في حادثة المقطورة التي نفذها أحد اليهود حيث تحولت مراسم تشييع جثمان الشهداء إلى مظاهرة صاخبة وصدامات عنيفة مع القوات الإسرائيلية في مخيم جباليا بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٨ ضمت خمسة آلاف متظاهر ثم تبعتها أحداث ومظاهرات في كافة أنحاء القطاع ففي ٨٧/١٢/١٥ خرجت مظاهرة من مسجد الخلفاء وإنضم إليها الكثيرون من أبناء المخيم وأحاط المتظاهرون بقوات الجيش الإسرائيلي واصطدموا معه بالحجارة وتصدى لهم الجيش بالرصاص فاستشهد الأخ خالد عمار أبو طاقية وفي رفح بتاريخ ١٩٨٧/١٢/١٦ بعد صلاة المغرب صدر نداء من مسجد تل سلطان ينبه الأهالي إلى حصار اليهود لأهل الحي وسارع أهل الحي واصطدموا مع القوات المسلحة وفي يوم الجمعة خرجت مظاهرة تستنكر هدم منزل الشهيد عطوه أبو سمهدانة الذي اغتال جندياً إسرائيلياً وفي ٨٧/١٢/١٨ شهدت القدس أضخم مظاهرة ضمت عشرات الألوف واشتبك المتظاهرون مع قوات الإحتلال عند باب العمود فأصيب العشرات برصاص العدو وفي ١٩٨٧/١٢/١٩/١٨ اشتدت المواجهة بين شباب الخليل وقوات العسكريين والمستوطنين إثر محاولة المواطنين إقتحام الحرم الإبراهيمي وفي ٨٧/١٢/٢٠ فرض حظر التجول على المدينة إثر تدمير سيارة عسكرية قرب مبنى البلدية وقد أوردت صحيفة النهار المقدسية نقلاً عن مركز الأبحاث بالجيش في عددها بتاريخ ١٩٨٨/٣/١٥ إن الجنود الصهاينة تصدوا لـ ٤٤٥٤ حادثة في الضفة الغربية و لـ ١٣٠٣

حادثة في القطاع كما وألقيت ثماني قنابل يدوية أصابت سبعة منها قوات الإحتلال. هذا فضلاً عما لم يعترف به العدو من أحداث. وصعدت الحكومة الإسرائيلية وسائل القمع وصعد المسلمون أعمالهم البطولية واستمرت الأحداث تتوالى والبطولات تتعاظم ولا يمكننا أن نسجل كافة الأعمال البطولية لأنها تحتاج لكتاب مستقل ولكننا ذكرنا بعضها على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الحصر. إسمع إن شئت إلى ما كتبته صحيفتا القدس والنهار المقدسيتان في عددهما الصادرين في ١٩٨٨/٦/١٦ إحصائية منقولة عن مجلة صهيونية قولها: إن معدل حوادث الصدام بين العرب والجيش بمعدل تسعة عشر حادثة يومياً وإن قتلى العرب ١٥٦ شخصاً وأضافت أن ٤٢٣١ مظاهرة جرت في الأرض المحتلة و ٢٢ حادثة طعن بالسكين وألقيت ٨٨٧ زجاجة حارقة وجرت ٢١٥ عملية إحراق سيارات ومؤسسات صهيونية و ٤٠ حادث وضع عبوات ناسفة. هذا ما اعترف به العدو الإسرائيلي نفسه.

المشاركون في الانتفاضة:

الذي لا شك فيه أن الإخوان المسلمون هم الذين بدأوا الإنتفاضة ونتيجة دراسة وتخطيط بدأت بالأعداد الفكري والإيماني ثم بالإعداد النفساني لكسر حاجز الخوف من لقاء العدو الإسرائيلي فكانت الانتفاضة. ثم تأتي مرحلة المقاومة المسلحة ولقد ضبطت بعض الأسلحة لدى أخوة من قطاع غزة فتحمل الأخ الشيخ أحمد ياسين قائد حركة المقاومة مسؤوليتها ليبعد المخاطر عن إخوانه الآخرين.

وهذا لا يعني أن الإخوان هم وحدهم الذين يقومون بمجابهة المستعمرين الصهاينة، لقد تجاوب الشعب الفلسطيني بكافة إتجاهاته ومنظماته حتى المنظمات والأحزاب التي كانت تعلن عن قناعتها بعدم

جدوى مقاومة ومجابهة الاستعمار الصهيوني والتي كانت تدعو للتعايش معه بسلام كالحزب الشيوعي مثلاً فقد اضطرت للالتحاق بالمقاومة لكي لا توصم بالخيانة ولكي لا تفقد ثقة الشعب بها وهذا ما يؤكد أن حماس هي التي بدأت الانتفاضة قبل غيرها ومما لاشك فيه أن اشتراك كافة فئات الشعب بالمقاومة عزز الانتفاضة وزادها قوة وصلابة وجعل خطرها على المستعمرين كبيراً وليس ذلك على الإخوان بغريب فهم أول من تصدى للصهاينة عام ١٩٤٨ وكسبوا خلالها ثقة الشعب الفلسطيني والعربي والإسلامي ومن المشاركين في الإنتفاضة:

١ ـ تنظيم الجهاد الإسلامي: وهو ليس تنظيماً جماهيرياً بل هو تشكيل عسكري تموله الحكومة الإيرانية وتحظى بالتالي بولائه لها مما حسر التأييد الشعبي عن اتباعه. ويكاد ينحصر تواجده في قطاع غزة وعلى نطاق محدود وهم أقرب المنظمات إلى منظمة فتح لالتقائهم في فكرة إمكانية لقاء الدين والعلمانية ويختلفون مع حماس لأن قادتها يصرون على أن الإسلام هو الحل الوحيد لمشكلة فلسطين وأن الجهاد هو الطريق الوحيد للتحرير. وأشهر قادة تنظيم الجهاد في غزة عبد العزيز عودة وفتحي الشقاقي.

٢ ـ حزب التحرير الإسلامي: فلقد ساهم بالانتفاضة وتبنى أسلوبها والدعوة للمشاركة فيها بل يقال إنه قاد مظاهرة في المسجد الأقصى ويعتبر هذا تحول جذري في خطته وهم يشاركون فتح قناعاتها كتنظيم الجهاد.

٣ ـ جماعات صغيرة وعلماء: ومسلمون مستقلون استجابوا لنداء الجهاد وساهموا كل حسب طاقته.

٤ ـ القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة: وتضم منظمة التحرير الفلسطينية ـ والجبهة الشعبية ـ والديمقراطية وقد أعلن الحزب الشيوعي

إنسحابه منها وأنكرت منظمة الجهاد علاقتها التنظيمية بهم وهذه الأخيرة تسعى لتجاهل دور حماس في الانتفاضة وتفرض على نشاطها تعتيماً إعلامياً إرتاحت له الجهات الاستعمارية والتزمت به ولكن الحقيقة وإن حجبت بعض الوقت فلن تحجب كل الوقت وما هي إلا أن بدأت أخبار حماس ونشاطاتها تغزو وكالات الأنباء العالمية والحمد لله رب العالمين.

أما تواجد هذه المنظمات فهو كما يلي:

١ ـ قطاع غزة محسوم جماهيرياً لصالح حماس.

٢ ـ في الضفة الغربية تشارك القوى الأخرى حماس في قيادة الجماهير غير أنه بتصاعد الانتفاضة واستمرارها أصبحت حماس تتمتع بتأييد جماهيري لا نظير له في قرى ومخيمات رام الله وجنين وقراها ومخيماتها والخليل وقراها ومخيماتها وفي نابلس والقدس. ويقل تواجدها في بيت لحم وقراها وفي طول كرم وقراها وإن كان بدأ التأييد الشعبي لصالح حماس أخيراً في طول كرم ولا زالت الإنتفاضة مستمرة والحمد لله تعالى.

وهي بحاجة لدعم المسلمين المادي والمعنوي لأنها تحمل عبء الجهاد عنهم ولأنها أعادت الأمل للنفوس بعد أن كاد يتملكها اليأس.

رأي في الصلح مع اليهود

قال تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ [المائدة: ٧٢].

منذ أن أعلن وعد بلفور وتم تقسيم فلسطين وفتاوي العلماء المسلمين تتوالى معلنة تحريم بيع أرض فلسطين المسلمة لليهود وتعلن تحريم مهادنتهم على اقتسامها وتأثيم المسلمين المتهاونين في تحريرها. قد يستغرب البعض هذا الموقف نظراً لأن الإسلام يدعو للمسالمة ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ ولتوضيح هذا الالتباس أقول مستعيناً بالله تعالى:

أ ــ ما جنح اليهود للسلم في يوم من الأيام أبداً وما صدقوا يوماً في طلبهم للصلح إلا إذا كانوا ضعفاء ويريدون أن يتقووا على عدوهم خلال هذه الهدنة. ذلك لأن الغدر طبيعة متأصلة فيهم ولتأكيد ذلك إرجع إلى تاريخهم القديم.

(١) لقد احتالوا على الله وكادوا لرسله فقد أُمروا بالامتناع عن الصيد يوم السبت وكثرت الأسماك في هذا اليوم فما كان منهم إلا أن حجزوا الأسماك يوم السبت واصطادوها يوم الأحد. قال تعالى: ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ [الأعراف: ١٦٣]. لقد حاولوا قتل سيدنا عيسى وصلبه كما حاولوا قتل الأنبياء من قبله يقول تعالى: ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً

كذبوا وفريقاً يقتلون﴾ [المائدة: ٧٠].

(٢) خيانة عهد رسول الله محمد ﷺ وغدرهم به: لقد أمنهم رسول الله ﷺ في المدينة وأعطاهم حقوقهم كاملة في وثيقة المدينة المشهورة ولكنهم ما لبثوا أن اعتدوا على نساء المسلمين وحاولوا قتل رسول الله ﷺ بالسم ورمي حجر عليه من فوق السطح كما انقلبوا على المسلمين وغدروا بهم يوم الخندق وبدأ يهود خيبر بالاستعداد للمعركة الفاصلة مع المسلمين فعاجلهم رسول الله ﷺ وأجلاهم عن جزيرة العرب جزاء مكرهم وخياناتهم المتكررة قال تعالى: ﴿**أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون**﴾ [البقرة: ١٠٠].

(٣) لما عجز اليهود عن مجابهة المسلمين وجهاً لوجه لجأوا إلى التخريب من داخل الصف واستطاع عبد الله بن سبأ اليهودي المتظاهر بالإسلام أن يوهم المسلمين بصدق إسلامه وادعى حب آل البيت فأله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فغضب عليه وحاول قتله. ثم استطاع ابن سبأ أن يضع نواة الفرق الغالية التي راحت تسعى في الفتنة بين المسلمين إلى أن تمكنوا من قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه وأحدثوا في الإسلام فتنة لا زالت آثارها حتى عصرنا الحاضر.

ولما عجز اليهود عن شراء أرض فلسطين من السلطان عبد الحميد استأنفوا دورهم في التخريب من الداخل فحركوا يهود الدُنمة المتظاهرين بالإسلام فأنشأوا الجمعيات الوطنية والقومية التي تمكنوا بواسطتها من القضاء على الخلافة الإسلامية وراح أتاتورك يمعن في الإسلام فتكاً وتمزيقاً.

(٤) ولما أدركوا أن سر قوة المسلمين ترجع إلى قوة تعاليم الإسلام حاولوا أن يشككوا المسلمين في إسلامهم فأوعزوا إلى المتخصصين منهم

أن يتحركوا: فطرح ماركس نظريته المادية وفرويد نظريته الجنسية ودارون نظرية التطور، شغلوا المسلمين بها عن دينهم نصف قرن من الزمن حتى كشف الله زيف هذه الترهات فتداعت علمياً وتطبيقاً ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.

(٥) وفي عام ١٩٤٨ استطاعوا أن يتواطؤوا مع بعض الحكام على تقسيم فلسطين وإن أحسنّا الظن فنقول إنهم استطاعوا أن يخدعوا بعض الحكام في الوصول لتحقيق أغراضهم ولم يطلبوا خلال هذه الحرب سوى هدنة واحدة استطاعوا خلالها أن يستوردوا السلاح والمقاتلين وخاضوا بعدها معركة رابحة برعاية ودعم حكومة الإنتداب البريطاني والمتعاونين معها.

(٦) اليهود أمة عدوانية عنصرية يتوهمون بأنهم شعب الله المختار وأن الأميين أتباع باقي الديانات الأخرى خلقوا لخدمة بني إسرائيل لذا سمحوا لأنفسهم باستخدام كافة الأساليب المشروعة وغير المشروعة للتسلط على اتباع الديانات الأخرى فلقد استطاعوا أن يسيطروا على الدول الكبرى بأموالهم ومؤسساتهم الاقتصادية وبجمعياتهم السرية وبالجنس وبوسائل الإعلام التي أسسوها حتى تمكنوا من السيطرة الخفية على العالم. هذه الوسائل جعلتهم أمة محتقرة في أوربا وغيرها وكانت كلمة يهودي مسبة لصاحبها واسمع إن شئت إلى أقوال بعض رجالات الغرب:

يقول أدولف هتلر في كتاب كفاحي ما يلي: (إن اليهود لا يمكنهم أن يؤلفوا منظمة دينية لأنهم لا مثالية عندهم ولأنهم لا يتطلعون إلى ما وراء عالمنا هذا فالتلمود لا يشير بكلمة إلى العالم الآخر) هذا يدل عن انحطاط أخلاقهم أما عن ماديتهم فيقول: (وبدأ اليهودي بقرض الناس مالاً بفائدة فاحشة ولم يكن الآريون قد اعتادوا هذا النوع من القروض فما

تنبهوا إلا بعد فوات الأوان وبعد أن احتكر اليهود التجارة والأعمال الفنية ثم شغلوا في المدن أحياء خاصة بهم مؤلفين دولة ضمن دولة ولكن الربا الفاحش أفقدهم عطف السكان واشتدت النقمة عليهم عندما راحوا يسترهنون الأراضي الواسعة ويتحكمون برقاب مالكيها وفلاحيها مما جعل ضحاياها تتألب عليهم وقد اكتشف في هؤلاء الغرباء طفيليات مزعجة وخطيرة). (كفاحي ـ ١٧٧).

يقول الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي غوستاف لابون في كتابه اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: لم يكن تاريخ اليهود الكئيب غير قصة لضروب المنكرات فمن حديث الأسارى الذين كانوا ينشرون بالمنشار أحياء والذين كانوا يشوون في الأفران فإلى حديث الملكات اللائي كن يطرحن لتأكلهن الكلاب فإلى حديث سكان المدن الذين كانوا يذبحون من غير تفريق بين الرجال والنساء والشيب والولدان. (عن كتاب اليهود في القرآن ص ٤٥).

وما مذابح دير ياسين ورضخ أيدي أطفال الانتفاضة بالحجارة عنا ببعيد لذلك طردوا وحوربوا من معظم دول أوربا للخلاص من شرورهم.

(٧) اليهود أمة استعمارية توسعية: إنها تطمع في ضم البلاد العربية إليها من النيل إلى الفرات إلى المدينة المنورة وقد سجلت هذا الشعار على مدخل الكنيست: حدودك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات وباعتبارها الطفل المدلل لأمريكا فإنها تخالف الأعراف والقوانين الدولية التي تقضي بانسحابها من القطاع والضفة بل إنها تتحدى العالم وتقيم المستعمرات في الضفة والقطاع دون إكتراث بأحد..

بسبب الدعم غير المحدود لها من أمريكا التي تعتبرها مخلب القط لها ومركز إنطلاق للتسلط على العالم العربي والإسلامي.

أما الخطان الأزرقان في علمهما فيشيران إلى النيل والفرات التي تطمح بالوصول إليهما.

(٨) والآن نسأل العقلاء:

أ ـ ما هي الضمانات التي تبرر لنا مصالحة اليهود الصهاينة المفسدين في الأرض الضالعين في الخيانة والمكر والتآمر والذين لا عهد لهم ولا ذمة على كافة حقب التاريخ. والذين لم نعرف عنهم سوى الحقد الأسود على الإسلام والمسلمين والبطش والتنكيل بخصومهم أجمعين. الضعيف عادة هو الذي يهادن ويرغب بالصلح فهل إسرائيل التي تعتبرها أمريكا جزءاً منها والتي لا زالت ألمانيا تدفع لها الأتاوات حتى الآن والتي توجه اقتصاد العالم وتسيطر على وسائل الإعلام فيه هل تعتبرون إسرائيل صادقة بطلب الصلح. ألا ترون أن الفلسطينيين يتراجعون خطوة خطوة عن مطالبهم وهي تزداد تعنتاً وصلابة خطوة خطوة. ألا ترون معي أنه لا عهد لحقود مخادع بطاش تحركه القوى الاستعمارية التي تطمع بالسيطرة علينا. يقول الحكماء من جرب المجرب حلت به الندامة «ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» صدق رسول الله ﷺ.

ب ـ ترى ألا تعتبر أي معاهدة سلم معهم اعترافاً منا بحقهم في الأراضي التي يحتلونها. شتان بين أن نسكت لضعفنا وعدم استطاعتنا إجلاءهم عن بلادنا مع استمرارنا بالاستعداد لمعركة المصير، بين أن نستسلم للأمر الواقع ونمنحهم الشرعية الدولية على امتلاك أراضينا. قد يتعلل البعض بأن أشقاءنا العرب لا يساعدوننا على تحرير الأرض الفلسطينية ونحن ضعفاء فلم يبق أمامنا إلا الحل السلمي فهو أفضل من التشرد والضياع وأقول المهادنة ليست أفضل بل أسهل من المقاومة لا تعالجوا الخطأ بخطأ أكبر ولا تعيدوا تجاربكم السابقة دون الاستفادة منها،

لا تلجأوا إلى الآخرين ليساعدوكم على التحرير ولا تربطوا جهادكم بمساعدتهم.

اعتمدوا على أنفسكم وخططوا لاستعادة أرضكم واستعدوا لمعركة المصير إن كنتم صادقين في التحرير وعندها ستجدون من الشعوب العربية المسلمة ما تقر به أعينكم. خذوا بأسباب القوة حبل من الله وحبل من الناس إعداد مادي عسكري وإعداد روحي معنوي وثقوا أن النصر لكم واعلموا أنه ما خرج مستعمر أو طامع من أرض بالحلول السلمية ،لم يخرج إلا بالقوة. لا تستعجلوا النصر ولا تدعوا الملل يتسرب إلى النفوس مهما طال أمد التحرير فالله معكم ولن يتركم أعمالكم.

ورحم الله الشابي إذ يقول:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر
ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

إن ما يحاول الغرب والشرق فرضه علينا من حلول استسلامية تمكن اليهود في أرض فلسطين لدليل جديد على استمرار ضلوعهم في التآمر بغية الإجهاز على العرب والمسلمين والتمكين لعملائهم الصهيونيين. وإن معظم المواقف الفلسطينية والعربية لتؤكد أن الأمة قد فقدت العزة والكرامة وأماتت روح الجهاد ورضخت لتسلط البغاة المستعمرين و الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومع دفع هذا الكتاب إلى أبواب المطبعة صدر قرار منظمة التحرير بقبول الحل السلمي وبالاعتراف المتبادل بين إسرائيل والمنظمة وبقبول مشروع غزة أريحا أولاً.

لم أستغرب هذا التراجع الكبير من المنظمة فقد اعترفت بإسرائيل ككيان شرعي في فلسطين كما اعترفت إسرائيل بالمنظمة التي حاربتها طويلاً ككيان له الحق أن يعيش على جزء من أرض فلسطين أعزل من السلاح ليس كأي دولة لها سيادة ويكون ذلك بعد مضي خمس سنوات من الحكم الذاتي تحت إشراف وسيادة إسرائيل. أما المستعمرات والقدس

فيمكن التباحث فيها بعد ذلك وهبط الكرم دفعة واحدة على إسرائيل فسمحت للمنظمة باستلام غزة وأريحا قبل مضي السنوات الخمس، ذلك لأن غزة ذات عبء اقتصادي كبير لصغر مساحتها وكثرة سكانها ولأنها عبء عسكري يكلف إسرائيل الخسائر والضحايا، شريطة أن تضمن المنظمة استقرار الأمن في غزة يعني تتعهد المنظمة بالقضاء على المقاومة المسلمة الفلسطينية في غزة بدل أن تتحمل أعباء القضاء عليها إسرائيل. أما أريحا فإنها مدينة مشؤومة كذا ورد وصفها في الكتاب المقدس والذي أراه أن المنظمة لم تقدم على هذه الخطوة إلا لكي تخلص الفلسطينيين من المعاناة التي يلقونها من بعض الأنظمة العربية ولكن الخطأ لا يعالج بخطأ أكبر وسيسجل التاريخ أسماء الذين أقدموا على هذه الخطوة وستحكم عليهم الأجيال المقبلة وفق النتائج التي تترتب على هذا الوفاق إن خيراً فخير وإن شراً فشر. ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

المـراجـع

* الإخوان في حرب فلسطين: كامل إسماعيل الشريف.
* الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ: محمود عبد الحليم.
* مذكرات الدعوة والداعية: حسن البنا.
* مصر وفلسطين: دكتورة عواطف عبد الرحمن.
* قافلة الإخوان:
* مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف: البكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف.
* حماس: دكتور عبدالله عزام.
* النكبة: عارف العارف.
* سجل ذكرياتي: محمد محمود الصواف.
* حضارة الإسلام: دكتور مصطفى السباعي.
* التيار الإسلامي في فلسطين: محسن محمد صالح.
* جماعة الإخوان المسلمون: عوني جدوع العبيدي.
* الانتفاضة المباركة:
* اليهود في القرآن:
* كفاحي: هتلر.
* لقاء مع الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري: عمر الأميري.
* لقاء مع الشيخ عبد المعز عبد الستار: عبد المعز عبد الستار.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

وافقت وزارة الإعلام القطرية على نشره
بموجب كتابها رقم
د . م . ع / ٩٥ ـ تاريخ ٩ / ١ / ١٩٩٤ م